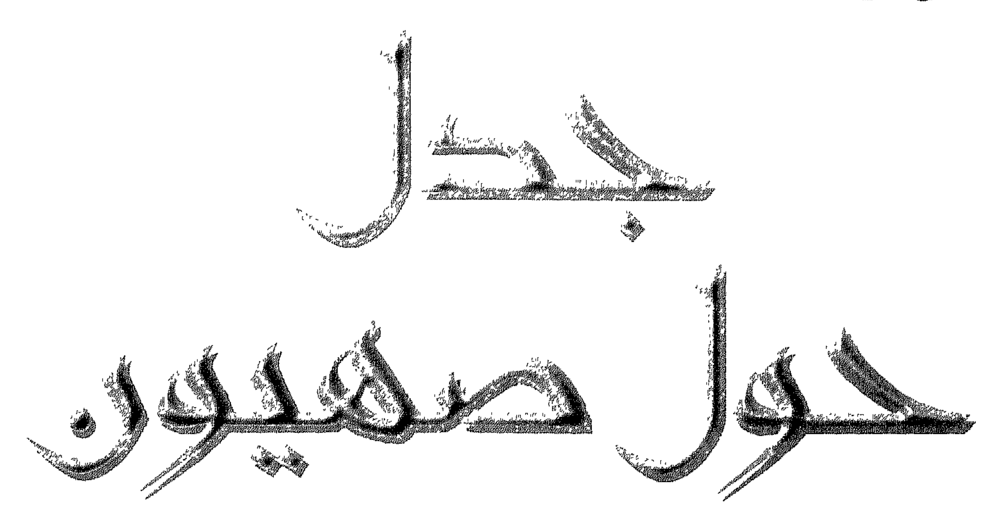
دوغلاس ريـد

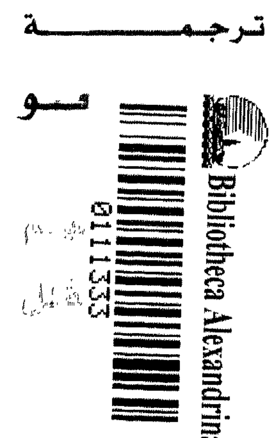


دراسة للمسألة اليهودية منذ ألفين وخمسمئة عام



ترجمـــــة

مـو



طبعة ثانية منقحة

جدل حول صهيون

● ـ «جدل حول صهيون»
● ـ تأليف دوغلاس ريد
● ـ ترجمة غياث كنعو

● ـ الطبعة الثانية ١٩٩٨
● ـ المدقق اللغوي: الأستاذ محمد بشير قدور
● ـ توزيع: دار الحصاد ـ دمشق ـ برامكة ـ شارع فلسطين
هاتف/فاكس ٢١٢٦٣٢٦ ص. ب: ٤٤٩٠

تأليف: دوغلاس ريد

جدل حول صهيون

دراسة للمسألة اليهودية منذ ألفين وخمسمئة عام

ترجمة
غياث كنعو

مراجعة وتقديم
د. محمد محفّل

لكم»[1] ما إن يلعبوا دورهم كمضطهِدين. ومن ثمّ فهو بحد ذاته لم يكن «مضطهِداً» أو «محرراً» وفي الحقيقة، لم يكن وضعه أفضل من «بلاتصر»، وقد تعرضت مملكته بدورها إلى الهلاك والاندثار.

---

(١) ـ توج نبوخذ نصر ملكاً في /٦٠٥/ق.م بعد وفاة والده نابو بولاصار أو (نابو ـ كودوري ـ أو صور /ليحم الإله نابو حدودي/)، كانت الحملة الأولى حسب المصادر البابلية لنبوخذ نصر على سورية في عام /٦٠١/ ق.م. وعن ذلك تقول: في العام الرابع /نحو ٦٠١ ق.م/ جمع ملك اكاد قواته وسار إلى بلاد الحثيين /سورية/ عبر بلاد الحثيين منتصراً في شهر كيسليمو /كانون الأول/ خرج على راس قواته وصار إلى مصر. أستأنف نبوخذنصر الثاني في نهاية عام /٥٩٩/ق.م حملاته على سورية، فأرسل فرقاً ضد القبائل العربية التي كانت تناصبه العداء، وقام عام ٥٩٨ ق.م بحصار أورشليم واحتلالها بسبب تحالف ملكها مع المصريين فأسره ونصب مكانه ملكاً آخر موالياً له. اضطر نبوخذ نصر الثاني إلى العودة مرة ثانية إلى المنطقة عام ٥٨٧ ق.م بسبب محاولات المصريين كسب نفوذ لهم في فلسطين، فطردهم من هناك واحتل أورشليم للمرة الثانية بعد حصار طويل، وسبى بضعة ألاف من سكانها إلى بابل بسبب تعاونهم مع المصريين، بلغت بابل في عهد نبوخذ نصر /٦٠٥ ـ ٥٦٢/ق.م ذروة قوتها ومجدها وازدهارها واصبحت من جديد مركز أمبراطورية قوية ازدهرت فيها الحياة الاقتصادية والعلمية، وخلفه في الحكم ابنه ايل مردوك (الاله مردوك) الذي حكم سنتين فقط /٥٦٢ ـ ٥٦٠/ ق.م واعتلى عرش بابل بعد وفاته القائد العسكري نيرجال شارا وصول (ليحم الاله نيرجال الملك) /٥٥٩ـ ٥٥٦/ ق.م. استلم الحكم بعد وفاة ابنه لاباشي مردوك، الذي حكم فقط ثلاثة أشهر ٥٥٦ ق.م، اغتيل في نهايتها، وعين الفريق المنتصر نابونيد ملكاً على بابل /٥٥٥ـ٥٣٩/ق.م حاول نابونيد الوقوف في وجه قورش، ولكن بعض سكان بابل من الناقمين على مليكها وخاصة كهنة الإله مردوك أو مردوخ. فتحوا الأبواب، مرحبين بالعاهل الفارسي ورأوا فيه مخلصاً لهم وكان ذلك عام ٥٣٩ ق.م، وبسقوط بابل بيد الملك الفارسي قورش الثاني اختفت المملكة البابلية الحديثة من الوجود، كما اختفت قبلها المملكة الآشورية الحديثة، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الشرق العربي القديم هي مرحلة الاحتلال الفارسي الذي دام حتى عام ٣٣٣ ق.م، عندما هزم الاسكندر المقدوني الملك الفارسي داريوس الثالث في معركة اسوس الشهيرة. (نقلاً عن مصدر: تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق.م، تاليف الدكتور عبد مرعي الطبعة الأولى ١٩٩١). المترجم ـ غ.ك.

«وفي الاصحاح الخامس يصف دانيال الحادثة الخارقة التي وقعت في أثناء وليمة أولمها بلتصّر، ويعلق دانيال كثيراً، بان بلتصر هو ابن نبوخذنصر. لم يقع العلماء على اسم بلتصر بين اسماء ملوك بابل، فقد توفي نبوخذنصر في عام ٥٦٢ ق.م، تاركاً العرش لابنه ابيلمير وداخ الذي ملك من عام ٥٦٢ إلى عام ٥٥٦ ق.م، حيث قتله زوج اخته واغتصب العرش، ثم قتل هذا الأخير بعد عام واحد، في معركة ضد قورش، ولكن التاج بقي في عائلة نبوخذنصر، فقد ورثه حفيده ابن ابيلمير وداخ الذي لم يحكم سوى عدة أشهر انتقل التاج بعدها ←

«لو قال لنا شخص في الثلاثينيات إن الصهيونية ستقيم دولتها اليهودية في فلسطين وستُخرج الفلسطينيين من أرضهم ليحل محلهم يهود جاؤوا من بلدان أخرى، لقلنا أصابه مس من جنون... إن هؤلاء المهاجرين من اليهود السوفييت لم يكونوا هم ولا أجدادهم في أية فترة من فترات التاريخ مواطنين في فلسطين، وهم ليسوا من بني إسرائيل وليسوا من الساميين رغم أنهم يتهمون الآخرين المخالفين لهم بالرأي باللاسامية. إنهم بقايا الخزر الذين جاؤوا من مناطق الشرق واستقروا في مناطق جديدة وأقاموا فيها دولتهم. وهذه المناطق هي الآن بعد انهيار دولة الخزر جزء من الاتحاد السوفييتي.»

من خطاب السيد الرئيس حافظ الأسد
رئيس الجمهورية العربية السورية
في ٨ آذار ١٩٩٠

تقديم

نتذكر بمرارةٍ وغضب الضجة التي أثارتها المنظمات والأوساط الصهيونية ومشايعوها، من يهودٍ وغيرهم، ممن عماهم حقدهم الأسود، في فرنسا وأوروبا خاصةً، ثم في مختلف أنحاء المعمورة عامةً، وذلك بعد أن أصدر العالم / الفيلسوف الفرنسي، رُوْجيه غارودي، كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية»؛ ذلك الكتاب الذي كان لي شرف تقديمه لجماهيرنا العربية، على شاشة التلفزيون العربي السوري، في حلقتين اسبوعيتين (حزيران ١٩٩٦)، ثم مساهمتي المتواضعة في تقديم وتعريف مفكرنا /الانسان، بعد مجيئه إلى سورية. (تموز ـ ١٩٩٦)، لجمهورنا المتعطش إلى سماع كلمات وآراء عملاقٍ فكري، هو شاهد عصره، وذلك باعتراف الأعداء قبل الأصدقاء؛ ومن هنا كانت لهمجيتهم المسعورة: محاولة منع نشر الكتاب في البدء، ثم التهديدات المتلاحقة لروجيه غارودي وللأب بيير، الذي تعاطف معه، قبل أن يهاجم رعاعهم الدار التي نشرت الكتاب واحراقها والاعتداء على صاحبها... لا لشيءٍ سوى أن روجيه غارودي فضح زيف المحرقة /المهزلة بحق اليهود، خلال الحرب العالمية الثانية، ولأنه كشف النقاب عن تعاون رموز الصهيونية مع النازيين، في سبيل تنفيذ مخططاتهم، التي راح ضحيتها لاحقاً الشعب العربي الفلسطيني خاصةً ثم أصابت لعناتها بعدئذٍ الوطن العربي عامةً.

ولا ننسى أيضاً قصة توماس طومسون، أستاذ علم الآثار (في جامعة ميلووكي الامريكية) وكتابه «التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي» الذي صدر في عام ١٩٩٤ ، حيث أعاد العالم الامريكي النظر في مختلف الدراسات المتعلقة بالموضوع، والتي صدرت منذ قرنٍ تقريباً، ليدحض مفاهيم وفرضيات أنصار

المدرسة التاريخية /الآثارية التوراتية... وهنا أيضاً... كان الشبح /الغول، الصهيوني/ الماسوني في المرصاد... ففقد الأستاذ طومسون مركزه الأكاديمي، بعد خضوع ادارة جامعته لمختلف أشكال الضغط المادي والمعنوي... والكتاب الذي بين أيدينا، الذي يسعدني أن أقدمه للقارئ العربي، هو (ثالث الثالوث)... وبعد ما ذكرناه أعلاه عن روجيه غارودي وتوماس طومسون، فمن البدهي أن يدرك القارئ ملابسات تأليف الكتاب ونشره بعد موت مؤلفه بثلاث سنوات، واليكم بعض نقاط استدلال:

ـ كتب الكاتب والصحفي الانكليزي (دوغلاس ريد) أو بالأحرى أنهى تأليف «**جدل حول صهيون**»، في عام ١٩٥٦ .

ـ انتقل هذا «الإنسان» إلى رحمة ربّه في عام ١٩٧٥ .

ـ لم يُنْشر الكتاب بالإنكليزية إلا في عام ١٩٧٨ .

ـ تُرْجِم إلى الروسية في عام ١٩٩١ .

هذه الأرقام ليست ألغازاً... سيكتشف القارئ بنفسه ماهية الكتاب... ويترحّم على مؤلفه...

قد لا نوافق المؤلف ـ كطلاب تاريخ ـ على مختلف ما جاء به... وقد أوضح المترجم الأستاذ غياث كنعو في مقدمته بعض ما نقصده... ولكن يجب أن نعترف دون أي تردد، بأن كتاب (جدل حول صهيون)، جديدٌ على قِدم تأليفه، وهو أكثر جِدَّةً وجِدِّية من مئات الكتب الجديدة / البالية، المطروحة في السوق العربية... ولنلفت انتباه القارئ سلفاً إلى اصرار المؤلف على فضح أصول اليهود الشرقيين، (المقصود هنا يهود أوروبا الشرقية وروسيا) ولا يقصد المؤلف اليهود الذين كانوا من أصل مشرقي، أي أولئك الذين عاشوا في ربوعنا فيما مضى، إن كان في مختلف بلدان الشام ـ ومن ضمنها فلسطين ـ أم في الحجاز ومصر واليمن الخ... والأندلس فيما بعد... فاليهود الأوروبيون هم من أصلٍ خزري /مغولي، ويُعْرفون بالاشكنازيم، (نسبةً إلى اشكناز/ ألمانيا، بالعبرية اليديش الأوروبية) ولهجة اليديش مكونة من الألمانية والبولونية والروسية الخ... وتُكْتب بالحرف التوراتي المربع، وأغلبية يهود أوروبا الشرقية وروسيا وكذلك يهود أمريكا من أصل خزري/ مغولي، وكذلك اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين هم من

أصل خزري، ماعدا اليهود الذين كانوا في البلدان العربية، وتسري في أوساط اليهود الأشكنازيم شريعة التلمود المتزمتة... أما السفاراديم فهم اليهود المشرقيون ومن اليهود الذين عاشوا في الأندلس في ظلّ العرب المسلمين ومن الأوروبيين الذين اعتنقوا اليهودية، وبعد رحيلهم عن اسبانيا بعد عام ١٤٩٢ مع فلول العرب المسلمين، انتقل بعضهم إلى المشرق (حيث الدولة العثمانية) أو إلى أوروبا الغربية، كما استقر بعضهم في المغرب وشمال افريقيا، وعُرف اليهود المشرقيون بالقرّائين، يعترفون بشريعة التوراة ويرفضون التلمود... ولكن الغلبة اليوم للصهاينة الأشكنازيم التلموديين.

قد لا تكون الترجمة مطلقة الكمال، فالترجمة العربية منقولة عن النسخة الروسية المنقولة بدورها عن الانكليزية... ومهما يكن، نشكر الأستاذ غياث كنعو لجهده الفائق في عمله... والكمال لله وحده.

الدكتور محمد محفل

دمشق في ١٩٩٦/١٢/٩

مقدمة المترجم

إن المؤلفات والنشرات والوثائق التي ألقت الضوء على «**المسألة اليهودية**» واليهود والصهيونية تفوق من حيث العدد تلك التي تناولت التاريخ البشري بمجمله. والتي مؤدّاها كما يقول الحاخام كوهين في كتابه «التلمود» الذي نشر في فرنسا في عام ١٩٨٦ «إن سكان العالم ينقسمون إلى قسمين فقط هما إسرائيل وبقية الشعوب الأخرى مجتمعة وإن إسرائيل هي الشعب المختار». تلك المؤلفات والنشرات والوثائق كشفت زيف ادعاءات الصهاينة ولذلك فقد تعرضت إلى منع نشرها وطباعتها أو إلى إحراقها وإتلافها بضغط من جماعة التلموديين، وواجه مؤلفوها ضغوطاً مختلفة، أودت بحياة البعض منهم أو الطرد من العمل والمقاطعة وإلى ما شابه ذلك من أعمال؛ كما حدث مؤخراً مع المفكر الفرنسي روجيه غارودي والأب بيير. كان هدف هذه الإصدارات هو الإجابة عن أسئلة متعددة، شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام وتفكير الشعوب وتمحورت حول نقاط مركزية حساسة، حيث جاء في المرتبة الأولى السؤال الأهم من هم اليهود؟ ومن أين جاؤوا؟ وما القدرات التي استمدوها، لكي يبلوروا المواقف التاريخية لمصالحهم؟ وإلى أي درجة تمكنوا من فرض سيطرتهم على مختلف الحكومات والشعوب ولماذا وكيف؟ والمحير في الأمر، هو ما تردده الأغلبية الساحقة من شعوب العالم وتروج له وسائل الإعلام بدورها عن الذكاء والدهاء في مكنونات الشخصية اليهودية.

وبتصوري فإن هذا البحث لم يكن في سبيل إظهار التفوق اليهودي المزعوم «للشعب المختار»، بل لإزاحة القناع عن الأساطير والأباطيل المزعومة عن اليهود واليهودية. ولست هنا بصدد تقديم تحليل تفصيلي للإجابة عن الأسئلة

التي ذكرتها؛ فباعتقادي أن كتاب «**جدل حول صهيون**»[1] برؤيته الشمولية كفيل بإشباع نهم القارئ، واستناداً للدراسات التاريخية يتبين أن اليهود لم يكونوا عبر التاريخ مجموعة قبائل أو مجموعة بشرية قبلية تنقلت من موقع لآخر، بغض النظر عن الدقة في تحديد هذا الموقع أوذاك، وليس لهم علاقة بأي شريعة إلهية، ولا تربطهم أي صلة بالنبي موسى وغيره من الأنبياء. غير أن اليهود كانوا ومازالوا عبارة عن مجموعة خارجة من إطار المجموعات البشرية الأخرى التي كانت معروفة آنذاك، وتكونت هذه المجموعة من أفراد، انفصل كل بدوره عن مجموعته، وما وحد هذه المجموعة، هو التقاؤهم على نقاط معينة ربطوا مصيرهم بها، وكانت هذه النقاط وستبقى على الدوام هي القتل والثأر والانتقام والغدر والخيانة والحيلة، واستطاعوا بصورة أو بأخرى استمالة بعض الشخصيات المغرورة ذات الرؤية القصيرة ودفعها لصياغة تاريخ خاص بها، والذي سمي لاحقاً بتاريخ «اليهود»، حاولت من خلاله الادعاء بانتمائها إلى النبي إبراهيم أو النبي موسى، ومع ذلك سلخت نفسها عن النبي موسى، واتخذت لنفسها إلهاً سمته «يهوه» حيث لا وجود له في التاريخ البشري، مما دفع بالشعوب القديمة إلى نبذ هذه المجموعة وكان حرياً «باليهود» أن يسموا أنفسهم بالموسويين، ولعدم وجود أي رابط لهم مع النبي موسى وتعاليمه، فقد ابتدعوا اسم إله نسبوا أنفسهم إليه وأطلقوا هذه التسمية «اليهود» نسبة إلى «**يهوه**».

---

(١) ـ صِهْيَوْن: يزعم اليهود أن جبل «صِهْيَوْن» مقدس، لأن الهيكل بني عليه، وأنه أقدس مكان في العالم، وأنهم هم الذين اطلقوا عليه اسم صِهْيَوْن، ولهذا يجوز لهم الانتساب إليه فيقال: صِهْيَوْنيون وصهاينة.

إن اليهود كاذبون في زعمهم أنهم هم الذين سموه جبل صِهْيَوْن، وأن كلمة صِهْيَوْن كلمة عبرية يهودية. إن «صِهْيَوْن» اسم عربي كنعاني، أطلقه الكنعانيون العرب على ذلك الجبل، وأنه مشتق من مادة عربية، وجذر عربي لغوي أصيل! ! .

وإذا كان «صِهْيَوْن» اسماً عربياً كنعانياً لذلك الجبل المقدس ـ الذي بني عليه المسجد الأقصى ـ، قبل مئات السنين من بناء الهيكل عليه، فكيف يدعي اليهود أنه اسم عبراني يهودي، وأنهم ينتسبون إليه، فيقال: صِهْيَوْنيون؟ إن هذا نموذج من الأمثلة الدالة على تحريف وتزوير اليهود الكاذبين لمعلومات التاريخ وأخباره وسرقتها من أصحابها، ونسبتها لهم، لإعطائها نسباً يهودياً مزوراً. (نقلاً عن مجلة «فلسطين المسلمة» العدد التاسع، ايلول، ١٩٩٦ ص ٥٢ـ٥٣). المترجم ـ غ.ك.

إن نقطة ضعف اليهود، تكمن في الغباء الذي تحلوا به عبر السنين، وأظهروا أنهم ذوو تاريخ عريق ويغصّ بالأمجاد القائمة على القتل والتدمير والإبادة والخيانة، فهم من ناصب العداء لكل الإمبراطوريات التي عاشوا في كنفها، وهم من صلب السيد المسيح وهم من تحدث الرسول الكريم محمد (ص) عن غدرهم وخيانتهم ومكرهم، وهم من نفذ مذبحة دير ياسين، ومدرسة بحر البقر، ومجزرة صبرا وشاتيلا، والحرم الإبراهيمي وقانا، وهم من اقتلع الشعب العربي الفلسطيني من أرضه وشردوه، دون الاعتراف بوجوده، والأسوأ من كل هذا أنهم يدعون بأن ذلك تنفيذٌ لأوامر الرب، حاشا لله سبحانه وتعالى أن يبيح قتل الإنسان لأخيه الإنسان، فلليهود ربهم الذي يعبدون ويحكم لهم بما يريدون وهم مجردون من الذكاء والإنسانية لا كما يروج البعض، لكنهم بارعون في الحيلة والمكر، والحيلة لا تعني الذكاء، فالثعلب أضعف الحيوانات واجبنها، غير أنه بالحيلة والمكر ينقذ نفسه من المواقف الحرجة، ومن ثمّ فالإنسان الذكي أو العبقري لا يحتاج إلى الحيلة والغدر لكي يثبت ذاته، ومن يسمح لنفسه بالسير على جثث الضحايا للوصول إلى الهدف المرسوم تحت شعار «**الغاية تبرر الوسيلة**» ومقولة «**إن لم تستحِ فافعل ما شئت**» فلا يحتاج إلى ذكاء بل إلى شخصية مركبة بطريقة معقدة لا علاقة لها بالمفهوم الإنساني ولا بالمقومات الإنسانية.

بأي منطق يمكن التعميم أن جميع اليهود الأمريكان والروس والبولونيين والألمان والفرنسيين والتشيك والاثيوبيين والهنغار وغيرهم أذكياء بغض النظر عن الظروف الموضوعية المحيطة بكل واحد منهم؟!..مع العلم أن الإنسان هو ابن بيئته ومجتمعه وظروفه، وهل يعقل اعتبار مواطني هذه الدول وغيرها جميعهم أذكياء بلا استثناء ومن ضمنهم اليهود الذين ينتمون الى هذه البلاد؟ وهل هناك من نظرية علمية في مجال علم الأحياء تؤكد أن شعب بلد ما لا على التعيين ذكي وآخر غبي؟!..إن إطلاق التعميم بهذه الصورة بعيد كل البعد عن المعقول والمنطق العلمي[1].

(١) ــ يقول تيودور هرتزل «وليست الكفاية التي كثر الزهو بها والحديث عنها هي السبب في نجاح اليهود، فقد أصبح من المعروف أن اليهودي إذا ما وضع في ظروف معادلة لظروف إنسان آخر، وأرغم على التقيّد بقيود اللعبة دون الخروج عليها، فإنه لايكون والحالة هذه أكثر ذكاء من سواه». نقلاً عن كتاب «اليهودي العالمي» هنري فورد، ترجمة خيري حماد ــ دار الآفاق الجديدة ــ بيروت عام ١٩٩١ ص٤٧ . المترجم ــ غ.ك.

لاشك في أن التاريخ الإنساني مليء بالصراعات والحروب، والمجازر والإبادة فلماذا كل هذا التهويل والتطبيل عن اضطهاد ما يسمى «اليهود» منذ «فرعون»، مروراً «بنبوخذنصر» و«القياصرة الروس» و«هتلر»، مع العلم بأنه لم يحصل شيء من هذا القبيل؛ و«نبوخذنصر» لم يقم بسبي «اليهود» لكونهم يهوداً، بل نقل مجموعات مختلفة تعاونت مع المصريين القدماء ضده، وهو الذي كان يحلم ببناء إمبراطورية مترامية الأطراف وشاسعة المساحة، وأول من مد يده إلى «هتلر» هم اليهود، ولا يستطيع أحد أن ينفي عرا الصداقة والتعاون ما بين الصهيونية والنازية صاحبتي نظرية العرق النقي، ويبدأ الصراخ والنحيب حول اضطهاد اليهود ببدعة جديدة في الوقت الذي لم يعد بـإمكان الصهيونية الافتراء والادعاء باضطهاد اليهود في الاتحاد السوفييتي، فقد كان اليهود تغلغلوا في أجهزة هذه الدولة وهيئات الحزب، ولم يكن التقوقع اليهودي بسبب اضطهادهم من قبل الآخرين أو نبذهم، بل بسبب الأساليب السرية والخفية المتبعة في تعاليم التلمود والماسونية والصهيونية. ولا يذكر لنا التاريخ حادثة واحدة تعرض فيها اليهود في الوطن العربي عبر مئات السنين لأي اضطهاد أو ملاحقة، وكان الزمن كفيلاً باندماجهم في المجتمعات التي ضمّتهم لولا اعتناق امبراطورية بكاملها للعقيدة اليهودية في ظروف تاريخية معينة مما سمح لهذه المجموعة أن تبعث من جديد.

إن كتاب «**جدل حول صهيون**» لمؤلفه «دوغلاس ريد»، الذي أنهى تأليفه في عام ١٩٥٦ ولم ير النور إلا في عام ١٩٧٨ باللغة الإنكليزية، بعد وفاة المؤلف بثلاث سنوات، بسبب الحصار الذي فرضته عليه القوى الظلامية، ليترجم بعدها إلى اللغة الروسية عام ١٩٩١ ، ما هو إلا خير دليل على مجموعة الأحداث التاريخية التي مازلنا نعيش فيها، إذ استطاع المؤلف بحسّه المرهف ورؤيته الموضوعية للأحداث من دراسة «المسألة اليهودية»؛ إذ يؤكد المؤلف بأنه لولا ظهور شخصية «قورش» على مسرح الأحداث آنذاك لما كان هناك اليوم ما يسمى «**بالمسألة اليهودية**».

الكتاب ليس عبارة عن سرد تاريخي لما يسمى «بالتاريخ اليهودي»؛ فهو دراسة مبنية على إسقاطات مجهرية لحوادث تاريخية، انعكست سلباً على

التاريخ الإنساني منذ انهيار بابل وحتى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وقد جاءت ردة الفعل عنيفة من قبل المؤلف لما عانته أوروبا بغربها وشرقها من الألاعيب اليهودية وليس فقط المنطقة العربية، ويرى المؤلف أن اليهود ما كان لديهم كل هذا القدر من التخطيط والذكاء لولا مساندة الحكومات الغربية لتحقيق مصالح استعمارية، مازالت البشرية تدفع الثمن غالياً بسبب هذه السياسة الهوجاء، وقد اختلف مع المؤلف بأن اليهود هم من كانوا وراء ظهور الأفكار الداعية إلى العدالة الاجتماعية لبناء مجتمع أكثر عدالة وإنسانية، فالفكر الإنساني تمتد جذوره إلى أعماق التاريخ، لكن أتفق معه في أن اليهود استغلوا هذه الفرص التاريخية بالحيلة والمكر تحت شعار التغيير، وتغلغلوا في الحركات التي تبنت هذه الأفكار تحقيقاً لمآرب التلموديين ولغاية في نفس يعقوب، حيث دفعوا بآلاف اليهود لاختراق هذه الحركات والأحزاب انتقاماً وثأراً ليهوه، ولم يحصل هذا مصادفة، بل إنه سار ويسير وفق مخطط معدّ له مسبقاً.

إن هذا الزيف في التاريخ عن العبقرية اليهودية والاضطهاد اليهودي لا يمكن إيقافه، إلا برفع سلاح الحقيقة الموضوعية، **فقوة اليهود وغيرهم تكمن في ضعفنا، وذكاؤهم في غبائنا.** لقد استطاعوا تزوير التاريخ وسرقوا تراثنا وماضينا وحضارتنا، وابسط مثال على ذلك أن كلمة «أورشليم» ليس لليهود أي علاقة بها فهي تسمية كنعانية بحتة «أورسالم» أي مدينة السلام، وفي الوقت الذي أصبح الجميع يعتقد بأن التاريخ سينتهي مع توقيع اتفاقيات السلام مع «إسرائيل» يجب أن نلفت انتباههم بأن التاريخ سيبدأ من هذه اللحظة، فصراعنا مع العدو وحماته صراع وجود، وحربنا ليست مع دولة كانت في يوم من الأيام جارة لنا واحتلت قطعة أرض ويمكن إعادتها باتفاقيات سلام، بل مع مجموعة دفعت وهجرت للمنطقة للنهب والسلب وإنهاء الوجود العربي من التاريخ، لنصبح مخلوقات أسطورية تحدث عنها التاريخ في غابر الأزمان، كانت تعيش في الشرق الأوسط وليس في منطقة جغرافية سميت الوطن العربي.

أتوجه إلى الدكتور «محمد محفل» باحترامي وتقديري للمعلومات التاريخية القيمة التي أغنى بها هذا الكتاب ولما أبداه من لطف ورحابة صدر في المساعدة، كما أتقدم بخالص شكري وامتناني للدكتور «باسل مرعي» الذي

أهداني هذا الكتاب لأضعه بين يدي القارئ العزيز، ولا يسعني إلا أن أكون شاكراً لزميلي وصديقي الأستاذ «مازن نفاع» لما بذله من جهد في مساعدتي، ولزوجتي التي كانت لي العون بما قدمته من مساعدة.

وتجدر الإشارة هنا الى أن كل الأرقام والاسماء والإصحاحات والسور والأسفار قد سقطت من النص الأصلي (المترجم عنه) فقمنا باستكمال النقص كي لا نضع القارئ في متاهة كان النص الروسي قد وقع فيها.

بداية ونهاية أتمنى أن أكون قد وفقت ليس في ترجمة الكتاب فحسب، بل في إيصال كل حرف وكلمة وجملة بصورة صحيحة لما فيه خير الأمة العربية والإنسانية جمعاء.

غياث كنعو

دمشق آب ١٩٩٦

لنا كلمة

لقد جاءت طباعة هذا العمل الحالي «**جدل حول صهيون**» نزولاً عند رغبة القراء ودعوتهم الملحة «حتى ولو لم يكن هذا النص كاملاً لكن يجب أن يكون شاملاً»، في الوقت الذي كانت فيه أسرة تحرير «**كوبان**»[1] **قد** أنهت عامها الأول في ظروف جديدة ماذا يمكننا القول، لقد كان هذا العام في منتهى الصعوبة لمجموعة العمل الصغيرة، فأوراق الطباعة لم تكن موجودة عملياً واحتاج الأمر في ظل الظروف المضنية إلى استدانتها، وبقي لدينا بكل منتهى التواضع صعوبة تأمين الأموال اللازمة لذلك، التي كادت تهدد وجودنا كأسرة تحرير وخدماتنا في مجال «التغذية الروحية» التي تهدف إلى تقويض «الأفكار المبتذلة» والتي تساعد على بناء نظام روسي خلاّق على أراضي السهوب الكوبانية الواسعة.

غير أن أسرة تحرير «كوبان» صمدت، وقد رأى الشعب الروسي والشعوب الأخرى في روسيا أن مجلتنا التي عانت الكثير، كانت وستبقى المعبر والمدافع بحق عن فكره الشمولي وأفكاره الأخلاقية والمعنوية وعواطفه الروحية.

وفي فترة ليست بعيدة، كان أ. ن. ياكوفيلف كمخرج مسرحي محترف، قد وزع بفكره العميق الأدوار بين الصهاينة إلى «جيدين» و«إلى الذين يحتاجون

---

(١) كوبان: مجلة أدبية وفنية واجتماعية وسياسية شهرية يشرف عليها اتحاد كتاب روسيا، واسرة تحريرها.جاءت هذه التسمية نسبة إلى السهوب الكوبانية ذات الأراضي الواسعة الخصبة الصالحة لزراعة القمح، الواقعة في جنوب روسيا في حوض نهر الدون على الحدود الروسية ــ الأوكرانية. المترجم ــ غ.ك.

إلى المناقشة العلنية»؛ وإضافة لذلك فقد أعطى دفعة جديدة من المفاهيم التي أوضحت الأسباب التي قادت روسيا إلى التفكك النهائي اقتصادياً ومعنوياً واجتماعياً، ومازال لدى الشعب الروسي أرض يقف عليها، غير أن هذه الأرض تقسّم إلى أجزاء، ومعها في الوقت نفسه الوعي الشعبي، والمبادئ الأخلاقية، والخبرات العلمية والثقافية والوعي التاريخي، وتتشوه اللغة في تربة نتنة سامة نتيجة الهجوم الديماغوجي من قبل «الشوفينيين» و«المتطرفين» الروس، وكل هذا يتناغم ويتكيف مع الأفكار الهدامة وعربدة القوى الظلامية.

كانت أسرة تحرير «كوبان» قد رأت في نفسها ومازالت المعبر عن الحقيقة الناصعة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وإن الكلمة العادلة هي سلاحنا الوحيد معترفين بها، ونحن نؤمن بأن شعبنا المخدوع في نهاية المطاف سيعي من الذي حاول إنهاء وجوده وسيقوّم كتفيه ويلقي بالسفلة بعيداً.

يشهد التاريخ الروسي ببلاغة: على أن كل جيل من الروس قد قدم أفضل ما لديه، ووقع على عاتق مجلتنا مهمة فخرية، وهي جمع هؤلاء الرعاة الروحيين تحت لوائها، وكان كتاب دوغلاس ريد قد قدمه إلينا في عام ١٩٨٨ أحد هؤلاء الرعاة، ونصحنا بطباعته ليرى النور لاحقاً في الوقت الذي يصل فيه الروس إلى وضع لا يحتمل، وقد حانت هذه الساعة، وسنلفت انتباه القراء إلى الأبواب الأكثر حيوية من هذا العمل الرائع.

أسرة تحرير مجلة «كوبان»

مقدمة الكتاب

إن اسم الصحفي والمؤلف «دوغلاس ريد» كان معروفاً وواسع الانتشار في كل أنحاء أوروبا، وخاصة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وبعدها بسنوات كثيرة، حيث طبع من كتبه ومؤلفاته آلاف النسخ في الكثير من الدول الناطقة باللغة الإنكليزية؛ وكان مشهوراً لدى الكثيرين من القراء والمعجبين بأرائه، وباعتباره من ألمع مراسلي صحيفة «تايمز» اللندنية سابقاً في دول أوروبا الوسطى قبل الحرب العالمية الثانية، فقد اكتسبت مؤلفاته شهرة واسعة مثل «أسواق الجنون» و«الفضيحة العظمى» و«حتى لا نتأسف» و«وهناك إلى الجنوب من قناة السويس» و«البعيد والواسع» وكتب أخرى كثيرة. وكل كتاب ألفه يشهد على عظمة ونشاط المؤلف كأحد المراسلين العالميين المشهورين على مستوى الإعلام العالمي.

وليس مستبعداً أن يتعرض أحد المؤلفين مثل «دوغلاس ريد» ومؤلفاته إلى هجمة تضعه في طي النسيان، ولم تقتصر تلك الهجمة على فترة محددة بل امتدت إلى سنوات طوال، وقد هوجم بشكل شديد وهو في أوج سنوات مجده وعطائه، وهذا خير دليل على امتلاكه رؤية صحيحة في تحليله للأحداث السياسية المعاصرة. وبعد عام/١٩٥١/، حينما صدر كتابه «البعيد والواسع» وتحليله الرائع للسياسة الأمريكية في سياق حديثه عن مجريات الأحداث في أوروبا، وبالأخص في مجال السياسة الدولية، بعدها بدأت أعمال «دوغلاس ريد» تختفي من واجهات متاجر بيع الكتب، وأغلقت دور النشر أبوابها في وجهه، وتمت مصادرة كتبه من مختلف المكتبات وعُدّتْ مفقودة ولم يعوض بأي مبلغ يذكر عنها.

وانطلاقاً من هذا الوضع القائم، وما آل إليه، فقد تحدد مستقبل «دوغلاس» واقترب من النهاية لما جرى حوله، وقد سمح له هذا الوضع أن يباشر في نهاية الأمر بالبحث في حل جميع القضايا الكبيرة التي وضعها لنفسه، في هذا العالم، والتي عُدّتْ بمنزلة مدرسة لنشاطه السابق، والفترة الماضية مجرد فترة تحضير وإعداد ودراسة، وقد أوصله ذلك إلى مستوى عال جداً في قدرته على رؤية الأحداث، ولا تستطيع أي جامعة أن تعطيه ما أخذه من مدرسة الحياة، وما جناه من فائدة كبيرة جعلت منه إنساناً اكثر تفوقاً وموهبة. وكانت السنوات الطويلة التي أمضاها كمراسل أجنبي في الخارج، ورحلاته في أوروبا، وأمريكا، واللقاءات التي أجراها مع قادة سياسيين معاصرين للأحداث، ومطالعاته الثرة للثقافة الأوروبية، قد خولته لأن يكون إعلامياً لامعاً، وكاتباً فذاً.

وقد رأى الكثيرون، أن الإخفاقات والهزائم التي تعرض لها «دوغلاس ريد»، أفادته كثيراً وجعلته يتحفز ويندفع، لكي يركز انتباهه ويجمع قواه لإنجاز المسائل الهامة في نظره. وقد اقتضى منه هذا الأمر أن يفكر ويحلل ويستعرض التاريخ الإنساني لأكثر من ألفي سنة مضت، بجلاء تام، لكي يعطي مفاهيم جديدة للكثير من القضايا العالقة في الحياة السياسية المعاصرة، وابتداءً من عام / ١٩٥١/ قضى «دوغلاس ريد» أكثر من ثلاث سنوات بعيداً عن زوجته الشابة وأطفاله، حيث عمل في المكتبة المركزية بنيويورك، أو جالساً لفترات طويلة وراء الآلة الكاتبة في ظروف إسبرطية[١] في نيويورك ومونتريال، وخلال هذه الفترة لم يتعب أو يكل، بل بذل جهداً كبيراً وكتب /٣٠٠٠٠٠/ كلمة لتأليف هذا الكتاب، الذي بين أيدينا، وأنهى الخاتمة في عام /١٩٥٦/ .

تم تأليف هذا الكتاب في ظروف غير عادية، والمعلومات والمراجع التي جمعها لأجل تأليفه، والتي بقيت مخفية طول عشرين عاماً، كانت أكثر مما نشر في الصحف والمجلات خلال تلك الفترة، ومثلت جزءاً هاماً من تاريخ قرننا الحالي، وألقى الضوء على الأحداث وعمل بلا انقطاع ولم يمل أو يتذمر، بل عمل بروح عالية وهمة قوية في سبيل خدمة الإنسانية، وقلائل من المعاصرين ممن يعرفون ذلك أو يتصورون الظروف التي مرّ بها.

---

(١) ـ اسبرطية: وتعني ظروفاً قاسية جداً نسبة إلى الدستور الاسبرطي الصارم. المترجم غ.ك.

إن إنهاء هذا الكتاب احتاج إلى قوى نفسية غير عادية، ومحاولات لا يستهان بها، وإلى سعة اطلاع واسعة، وتحليل دقيق صادق، ودرس كل المراجع والمعلومات المستخدمة في إعداد هذا الكتاب، وإنه لسيّئ الحظ من يفكر بنشر وتأليف كتاب بهذا المستوى في هذه الظروف التي نمرّ بها، وأما المراسلات التي اطلعنا عليها، فهي تؤكد لنا بأنه أجرى مناقشة طباعة هذا الكتاب مع إحدى دور النشر، ولم يوفق في ذلك، لكن المخطوطات لم تصل إلى أي شخص بهدف طباعتها أو نشرها بعد المحاولات التي بذلها هو نفسه، وحفظت مدة اثنين وعشرين عاماً في إحدى خزائن «دوغلاس ريد» في مدينة دوربان في جمهورية جنوب أفريقيا، وإذا أردنا معرفة مدى رضاه عن نفسه وعمق شعوره بالغبن، فعلينا أن نعرف ماذا استطاع أن يقدم هذا الكاتب الفذ وما أنجزه من أعمال، مقارنة مع الإمكانيات المتوفرة لدينا في هذا الوقت، مع تلك الفترة التي عمل فيها. «فدوغلاس ريد» استسلم برباطة جأش عندما اضطر للاعتزال كصحفي وكاتب، وأحرق سفينة ماضيه العتيد التي كانت تبحر إلى كل الموانئ، وبكل تواضع تكيّف مع الواقع الذي عاش فيه آخر أيامه لإنهاء نشاطاته الأخرى، وأغلبية أصدقائه ومعارفه ثمنوا عالياً فكره الحي وإحساسه المرهف. ولسنوات طويلة لم يظنوا أنه يتبوأ منزلة مرموقة بين الكتاب العالميين المشهورين.

وخلال السنوات التي عمل فيها، لم يفارقه إحساس صادق بأنه سيأتي زمن تصل فيه المعلومات الصحيحة والحقيقة لجمهور القراء، إذا سمحت لها الظروف أو توفرت الإمكانيات والوسائل لهذا الأمر... سواء أكان ذلك في حياته أم بعد وفاته، بصيغ جديدة تخدم التاريخ الإنساني في هذه المعلومات التي سترى طريقها إلى وعي الإنسان في العالم المسيحي الغربي.

ونحن لا يمكننا الحديث بشكل مفصل وموسع عن محتويات هذا الكتاب، ولا نرغب بذلك فكتاب «جدل حول صهيون» يتحدث عن نفسه بنفسه. إن هذا العمل الخلاق عبارة عن إعادة نظر صادقة جوهرية للتاريخ المعاصر وأحداثه في هذا العالم، ودراسة مشاكله الدينية والسياسية في يومنا هذا، وكل صفحة من صفحاته خير شاهد على ذلك؛ فجاء شاملاً في رؤيته وإحساسه بواقع الشعوب، وقد وجّه نقداً لاذعاً للخطر المحدق بنا جميعاً جراء ممارسة الغطرسة والتعجرف من قبل القادة السياسيين في الغرب.

وفي أحد أبواب الكتاب وعنوانه «الذروة والأزمة» كتب «دوغلاس ريد» يقول: لو أنه استطاع البدء بالعمل في هذا الكتاب منذ عام /١٩٤٩/، لكان قد تمكن مبكراً من التنبؤ بكل شيء، وما يمكن أن يحصل مستقبلاً، لكنه وللأسف لم يستطعْ اختيار الوقت المناسب بفترة أطول تبعده عن عام /١٩٥٦/ قبل الانتهاء من كتابه في ذلك العام.

وكان يتمنى سنوات أطول لكي يتمكن من إجراء تحليل شامل للتاريخ الطويل للتلمود الصهيوني، وكشف وفضح انعكاسه السلبي على كل شيء، وتسليط الضوء على ما يجري في وقتنا الحالي في مجال السياسة الدولية.

فعام /١٩٥٦/ كان عام انتخاب رئيس جديد في أمريكا، وفي هذا الانتخاب اظهر الصهاينة قدرتهم مرة أخرى وإمكانياتهم في التأثير على القرار السياسي للدول الغربية، في تلك الفترة التي افتقدت فيها الدول الغربية إلى سياسيين ذوي رؤية سياسية ثاقبة لما يجري من حولهم، وبذلك فقد استطاعت الآلة العسكرية السوفيتية سابقاً القضاء على الانتفاضة الشعبية في هنغاريا (المجر)، وأوصلت إلى سدة الحكم النظام اليهودي ـ الشيوعي (حدث ذلك في عام ١٩٥٦ . المترجم ـ غ.ك)، وفي هذا العام أيضاً كانت إنكلترا وفرنسا واقعتين تحت تأثير نفوذ الضغط الصهيوني، واستطاعت الصهيونية توريط الدولتين في كارثة مدمرة لهما، لمحاولتهما إعادة احتلال قناة السويس والسيطرة على المنافذ البحرية، تلك المغامرة الصبيانية التي كانت كالمغامرات السابقة، لم تخدم سوى جهة واحدة هي إسرائيل.

وكما كتب ريد عام ١٩٥٦ في جمله الأخيرة، فإن كل ما حصل في السياسة الدولية منذ ذلك الوقت مازال يؤكد صحة تحليله لأكثر من ألفي سنة هزّت التاريخ الإنساني.

وفي سياق حديثه عن الشرق الأوسط، رأى «دوغلاس ريد» أن الشرق الأوسط مازال منطقة مضطربة للنشاط السياسي العالمي، وفي هذه المنطقة يتحدد أمن واستقرار العالم. ومع ذلك فقد تعرضت أخبار أحداثها السياسية إلى أقصى تزوير، ومنعت كل المحاولات والمناقشات الموضوعية للأحداث الجارية فيها، للحيلولة دون تحقيق أي استقرار لهذه المنطقة، وكثيرون هم من يملكون رؤية

صحيحة عن دور التلمود الصهيوني والشيوعية[1] في كل ما تتعرض له المنطقة، واستطاعوا إبانة مكنونات تبادل الأدوار بين بعضهم بعضاً، في الأحداث السياسية الهامة، ومثالنا على ذلك «حرب الأيام الستة» عام /١٩٦٧/، والغزو الإسرائيلي المكثف للبنان عام /١٩٨٢/.

ومن يقرأ «جدل حول صهيون» فلن يصاب بالدهشة والاستغراب من الأمثلة الواضحة حول الاتفاق بين الاتحاد السوفيتي سابقاً وإسرائيل قبل العدوان الإسرائيلي على مصر في عام /١٩٦٧/، فالقيادة السوفيتية «حذرت» جمال عبد الناصر من التحضيرات الإسرائيلية واحتمال شن عدوان على الحليف السوري، مما أدى إلى نقل القوات وحشدها على الجبهة الشمالية الشرقية لقناة السويس، ونتيجة لهذا «التحذير» فَقَدت القوات المصرية قوتها بسبب توزع قواتها وانتشارها، مما سمح للقوات الإسرائيلية بالإغارة والانقضاض على هذه القوات وإلحاق هزيمة كبيرة بها، وبذلك تكون الخدعة قد أدت غرضها، واحتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء، والجولان والضفة الغربية والقدس الشرقية. ولم يتغير شيء بشكل عام في عام /١٩٨٢/، في هذا العام الذي بدأت فيه إسرائيل بحشد عسكري كبير، حيث شنت عدوانها الغاشم على جنوب لبنان. زعموا حينها أن هدفهم يكمن في القضاء على الثورة الفلسطينية، ولكن في الحقيقة ما هو إلا استمرار للسياسة العدوانية التوسعية واحتلال أراضٍ جديدة وهذه سياسة حكام إسرائيل التي لن يحيدوا عنها أبداً.

وهذا يشبه أحياناً ما يجري في دول الغرب، حيث وقع السياسيون الغربيون إضافة لإعلامهم في شرك المصيدة التي نصبتها لهم الخرافة الصهيونية وفحواها أن إسرائيل دولة ضعيفة، وتحمل نيات صادقة طيبة وتحتاج إلى مساعدة وحماية، ولم تعد تملك الثقة بنفسها، ومع ذلك لم يندهش أحد في الغرب، عندما أعلن معهد الأبحاث الاستراتيجي البريطاني، أن إسرائيل في الوقت الحالي تعد ـ الدولة الرابعة من حيث امتلاكها القوة العسكرية في العالم بعد أمريكا والاتحاد السوفيتي سابقاً، والصين الشيوعية، وترتيبها يأتي قبل إنكلترا وفرنسا.

---

(١) المقصود هنا ليس الشيوعية كنظام وفر العدالة والمساواة ولكن كقيادة للثورة الشيوعية التي كان أكثر أعضائها من اليهود الخزر. المترجم ـ غ.ك.

وما يثير الغرابة بالفعل هو الموقف المعارض لبعض القوى اليهودية داخل «إسرائيل» وخارجها ونظراتهم باستهزاء للانتصار الصهيوني في لبنان، كما ادعت الصهيونية، مقارنة مع الصمت المألوف من قبل السياسيين الغربيين وإعلامهم حتى بعد قيام «إسرائيل» بمجزرة شنيعة وقتل أكثر من /٣٠٠٠/ شخص من الشيوخ والنساء والأطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت، إن هذا الموقف يدعو للحيرة والاستغراب، مع العلم أن /٣٥٠٠٠٠/ شخص من سكان تل أبيب قاموا بتظاهرة ضد الحكومة رداً على المجزرة البشعة، وأعلن الإعلام الإسرائيلي بدوره أن الأحداث اللبنانية وما سببه العدوان الإسرائيلي هناك ترك أثراً كبيراً على أفراد الجيش الإسرائيلي.

وكان «دوغلاس ريد»، قد توقع هذا بوضوح، وكتب ذلك في الجمل الأخيرة من كتابه «يبدو لي أن اليهود في العالم بدؤوا يفهمون عدائية الثورة الصهيونية الشبيهة بحركة تدميرية أخرى في وقتنا الحالي، كما أن اليهود بلا استثناء سيتخذون قرارهم في نهاية هذا القرن، حول ضرورة انتهاج طريق جديد ولغة مشتركة مع الإنسانية جمعاء»[١].

أيور بينسون

جنوب أفريقيا

(١) ـ هل ستتحقق نبوءة دوغلاس ريد في ظل الأوضاع العالمية الراهنة؟ لا أعتقد ذلك. المترجم ـ غ.ك.

مقدمة ناشري ومترجمي الطبعة الروسية

إن أسرة ناشري ومترجمي كتاب دوغلاس ريد «جدل حول صهيون» رأت ضرورة إضافة هذا العمل الهام إلى سلسلة أعمالها السابقة، هذا العمل الذي لا يضاهيه أي إصدار في وقتنا الحالي خاصة في مجال الثورة والمسألة اليهودية، لكي نلفت انتباه القارئ الروسي ونطلعه على أن تحليل أحداث عصرنا الحالي، قريبة إلى درجة كبيرة من أعمال هذا المؤلف وتحليله للأحداث، ليس فقط لأنها لم تفقد واقعيتها خلال فترة ثلاثين سنة منصرمة من تأليفه لهذا الكتاب، بل لأن موقع الكتاب ثابت من خلال الأحداث التي ما زالت تحتل مكانة هامة في وقتنا الحالي.

إضافة إلى ذلك، فإن جميع القضايا المشار إليها في الكتاب، حصلت على إيضاحات وتفسيرات إضافية في الكثير من المؤلفات الوثائقية منها والمذكرات والاستقصاءات التاريخية، التي ظهرت بكل لغات العالم خلال الثلاثين سنة الأخيرة.

انهيار بابل

انهارت مملكة بابل في عام /٥٣٩/ ق.م قبل أن تتمكن شعوب أخرى من أن تشعر بتأثير «شريعة موسى» عليها، وخلق هذا الانهيار وضعاً معيّناً لتطور أحداث مئات السنين الماضية في قرننا العشرين.

إننا نلاحظ التشابه العجيب بين انهيار بابل والأحداث في يومنا هذا، بعد الحربين العالميتين، هذا التشابه لا يمكن شرحه ببساطة على أنه مجرد مصادفة، وليس من الصعب إظهاره بل العكس، إن هذه الأحداث كانت موجهة بدراية تامة، حيث خضعت الشعوب الغربية في القرن العشرين، بوعي أو بغير وعي، ليس لشرائعها وقوانينها، بل للشرائع اليهودية، تلك القوى الموجهة التي قادت حكوماتها.

إن أوضاع الشخصيات المؤثرة الفاعلة والنتائج النهائية في الحالات الثلاث متماثلة إلى حد بعيد أي في انهيار بابل والحربين العالميتين، فمن جهة كان الحاكم الأجنبي مستبداً وظالماً لليهود. ففي بابل كان الملك «بلاتصر»، وفي الحرب العالمية الأولى ـ القيصر الروسي، وفي الحرب العالمية الثانية «هتلر»، ومقابل خصوم هؤلاء القادة «المضطهِدين لليهود» ظهر قادة آخرون «محررون لليهود» ففي بابل كان الإمبراطور الفارسي «قورش»، وفي الحرب العالمية الأولى اللورد «بلفور»... وفي الحرب العالمية الثانية الرئيس الأمريكي «ترومان» وشخصيات حكومية أمريكية أخرى.

وبين هؤلاء الخصوم جميعاً، يقف المنتصر الظافر الإله يهوه، الرجل العظيم والمستشار الحكيم للقيصر، المتنبئ بالكوارث التي ستحل على «المضطهِدين

لليهود» وأوطانهم، ليتجنب في الوقت نفسه العواقب الوخيمة بسلامة، ففي بابل كان «دانيال»، وفي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان «حاييم وايزمان»، النبي الصهيوني لدى الحكومات الأجنبية، إذاً هؤلاء هم اللاعبون على مسرح الأحداث، وتنتهي الأحداث على شكل انتقام يهوه من «**الأصنام**» والانتصار اليهودي كرمز للانبعاث، وعَلِمَ الملك «بلاتصر» من «دانيال» عن الخطر الذي يهدد مصيره، وقُتِلَ «**في تلك الليلة**» وأما مملكته فقد استولى عليها الأعداء، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، قتلت «التشيكا» أو «الجيكا»[1] اليهودية القيصر الروسي وعائلته، ونقشوا مآثرهم البطولية حين «رسموها على الجدار» في القبو الذي نُفِّذَت فيه عملية القتل، وبعد الحرب العالمية الثانية تم إعدام قادة النازية شنقاً في ١٦ تشرين الأول عام /١٩٤٦/ في العيد اليهودي «يوم الغفران»، وبعبارة أخرى ـ إن ما آلت إليه نهاية الحربين العالميتين الأولى والثانية شبيهة بما وضعه اللاويون سابقاً للحروب البابلية ـ الفارسية في العهد القديم.

ومما لا ريب فيه أن الشعوب القديمة التي أضرمت نيران الحروب فيما بينها، قد تحاربت حول شيء هو أكبر من مجرد مصير القبيلة اليهودية الصغيرة، وكان لدى هذه الشعوب مصالحها الخاصة وأهدافها التي تصارعت بغية تحقيقها، غير أن ما وصل إلينا من روايات قد حذف منه الكثير عمداً ولم يبق فيه شيء يستحق الاهتمام سوى «**انتقام يهوه والانتصار اليهودي**»، وهذا ما رسخ في أذهان الشعوب، وما تاريخ الحرب العالمية الأولى والثانية في قرننا الحالي إلا أنموذج عن هذا التصور الخاطئ.

ولم يبق من تاريخ الملك «بلاتصر» غير كونه الرمز «المُضطهِد» لليهود، بغض النظر عن أن «يهوه» نفسه هو من أوقع اليهود في الأسر، عقاباً لهم على الآثام التي ارتكبوها، وبدا الملك «بلاتصر» وكأنه من اضطهدهم، فتعرض لإبادة وحشية. وكذا كان الإمبراطور الفارسي «قورش» أداة في يد «يهوه»، الذي وعد اليهود بأن «**جميع هؤلاء الملاعين**» سيكون وضعهم من جديد بمنزلة «**أعداء**

(١) ـ التشيكا أو الجيكا: جهاز المخابرات الذي تم تشكيله، إبان الثورة الروسية لتصبح التسمية بعد قيام الاتحاد السوفياتي ـ لجنة أمن الدولة . المترجم ـ غ.ك.

لكم»(١) ما إن يلعبوا دورهم كمضطهِدين. ومن ثمّ فهو بحد ذاته لم يكن «مضطهِداً» أو «محرراً» وفي الحقيقة، لم يكن وضعه أفضل من «بلاتصر»، وقد تعرضت مملكته بدورها إلى الهلاك والاندثار.

---

(١) ـ توج نبوخذ نصر ملكاً في /٦٠٥/ق.م بعد وفاة والده نابو بولاصار أو (نابو ـ كودوري ـ أو صور /ليحم الإله نابو حدودي/)، كانت الحملة الأولى حسب المصادر البابلية لنبوخذ نصر على سورية في عام /٦٠١/ ق.م. وعن ذلك تقول: في العام الرابع /نحو ٦٠١ ق.م/ جمع ملك اكاد قواته وسار إلى بلاد الحثيين /سورية/ عبر بلاد الحثيين منتصراً في شهر كيسليمو /كانون الأول/ خرج على راس قواته وصار إلى مصر. أستأنف نبوخذنصر الثاني في نهاية عام /٥٩٩/ق.م حملاته على سورية، فأرسل فرقاً ضد القبائل العربية التي كانت تناصبه العداء، وقام عام ٥٩٨ ق.م بحصار أورشليم واحتلالها بسبب تحالف ملكها مع المصريين فأسره ونصب مكانه ملكاً آخر موالياً له. اضطر نبوخذ نصر الثاني إلى العودة مرة ثانية إلى المنطقة عام ٥٨٧ ق.م بسبب محاولات المصريين كسب نفوذ لهم في فلسطين، فطردهم من هناك واحتل أورشليم للمرة الثانية بعد حصار طويل، وسبى بضعة آلاف من سكانها إلى بابل بسبب تعاونهم مع المصريين، بلغت بابل في عهد نبوخذ نصر /٦٠٥ ـ ٥٦٢/ق.م ذروة قوتها ومجدها وازدهارها واصبحت من جديد مركز أمبراطورية قوية ازدهرت فيها الحياة الاقتصادية والعلمية، وخلفه في الحكم ابنه ايل مردوك (الاله مردوك) الذي حكم سنتين فقط /٥٦٢ ـ ٥٦٠/ ق.م واعتلى عرش بابل بعد وفاته القائد العسكري نيرجال شارا وصول (ليحم الاله نيرجال الملك) /٥٥٩ـ ٥٥٦/ ق.م. استلم الحكم بعد وفاة ابنه لاباشي مردوك، الذي حكم فقط ثلاثة أشهر ٥٥٦ ق.م، اغتيل في نهايتها، وعين الفريق المنتصر نابونيد ملكاً على بابل /٥٥٥ـ٥٣٩/ق.م حاول نابونيد الوقوف في وجه قورش، ولكن بعض سكان بابل من الناقمين على مليكها وخاصة كهنة الإله مردوك أو مردوخ. فتحوا الأبواب، مرحبين بالعاهل الفارسي ورأوا فيه مخلصاً لهم وكان ذلك عام ٥٣٩ ق.م، وبسقوط بابل بيد الملك الفارسي قورش الثاني اختفت المملكة البابلية الحديثة من الوجود، كما اختفت قبلها المملكة الآشورية الحديثة، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الشرق العربي القديم هي مرحلة الاحتلال الفارسي الذي دام حتى عام ٣٣٣ ق.م، عندما هزم الاسكندر المقدوني الملك الفارسي داريوس الثالث في معركة اسوس الشهيرة. (نقلاً عن مصدر: تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق.م، تاليف الدكتور عبد مرعي الطبعة الأولى ١٩٩١). المترجم ـ غ.ك.

و«في الاصحاح الخامس يصف دانيال الحادثة الخارقة التي وقعت في أثناء وليمة أولمها بلتصّر، ويعلق دانيال كثيراً، بان بلتصر هو ابن نبوخذنصر. لم يقع العلماء على اسم بلتصر بين اسماء ملوك بابل، فقد توفي نبوخذنصر في عام ٥٦٢ ق.م، تاركاً العرش لابنه ايلمير وداخ الذي ملك من عام ٥٦٢ إلى عام ٥٥٦ ق.م، حيث قتله زوج اخته واغتصب العرش، ثم قتل هذا الأخير بعد عام واحد، في معركة ضد قورش، ولكن التاج بقي في عائلة نبوخذنصر، فقد ورثه حفيده ابن ايلمير وداخ الذي لم يحكم سوى عدة أشهر انتقل التاج بعدها ←

إن التاريخ الحقيقي باختلافه عن الأسطورة، يقدم لنا الإمبراطور «قورش» كحاكم دولة، ومؤسس إمبراطورية، احتل غرب آسيا بأكملها. وكما تؤكد الموسوعة «قد سمح لجميع الشعوب الأخرى بحرية العبادة، وبحكم ذاتي» وهذا ما سمح لليهود باستغلال سياسة التسامح هذه، سياسة العدل والمساواة التي نشرها قورش لكافة الشعوب الخاضعة لسلطته، ولو عاد الإمبراطور «قورش» إلى الحياة ثانية، فاستغرابه لن يكون قليلاً، بأن مآثره العظيمة وحدها كانت السبب في عودة الآلاف من اليهود إلى أورشليم. ولو أنه أولى هذه الحادثة تلك

← إلى نبونيد ابن أخ نبوخذنصر الأصغر، وكان نبونيد هذا آخر ملوك السلالة البابلية، وهو ليس من دعته التوراة باسم بلتصر، فكتّاب سفر دانيال يريدون التأويل بأن بلتصر هو ابن نبوخذنصر، ثم يرغمه على الموت في ليلة سقوط بابل المزعوم بيد داريوس ولكن بابل لم تخضع لهذا الأخير بل خضعت لقورش في عام ٥٢٨ ق.م، والحقيقة أن بابل عادت وسقطت ثانية بيد داريوس الأول بعد اثنين وعشرين عاماً، يحاول بعض اللاهوتيين أن ينفذوا عبر هذا الباب ليؤكدوا ان الملك البابلي كان في هذا العصر الثاني هو بلتصر التوراتي؛ بيد ان الخدعة لاتصمد أمام أي نقد، إذ من المعروف جيداً أن قورش أسس أمبراطورية فارسية كبيرة ضمت: فارس وليديا وميديا وآشور وامتدت سلطته على آسيا الغربية كلها، ثم جاء ابنه قمبيز وضم مصر أو امبراطورية أبيه في عام ٥٢٠ ق.م وتوفي قمبيز في عام ٥٢٣ ق.م ومن المعروف أنه لم ينجب أولاداً، فانتقل التاج إلى أخيه سمير ديز الذي قتله كهنة ميديا سراً فنظم القادة الفرس مؤامرة قتلوا فيها الكهنة وسمير ديزهم المزعوم، وقدموا التاج لداريوس الذي قسم أمبراطوريته إلى احدى وعشرين مقاطعة وحكم من عام ٥٢١ ق.م إلى عام ٤٨١ ق.م، وبعد ردح من الزمن، أعلن حاكم مقاطعة بابل، نابوا انيتوك وابنة بلساروسو في عام ٥١٦ ق.م. ولكن كيف يمكن التأكيد بان «بلساو» هو «بلتصّر» علماً بان هذا الملك كان مجرد حاكم ولاية متمرد لم يكن ابناً لنبوخذنصر، وبين نبوخذنصر وبلساروسو حكم بابل تسعة ملوك، وأخيراً لاريب في أن المملكة البابلية الكلدانية (سلالة نبوبلاصر) سقطت في عام ٥٣٨ ق.م، واستولى قورش على بابل وهام اللاهوتيون يزعمون بأن داريوس قائد جيوش قورش، استولى عليها باسم ملكه ويؤكدون بانه هو المقصود في السطر الحادي والثلاثين من الاصحاح الخامس في كتاب دانيال (نقلاً عن كتاب «التوراة كتاب مقدس» غليوتاكس ترجمة د. إحسان ميخائيل اسحاق /ص٤٤٧ ـ٤٤٨ـ٤٧٩ـ٤٨٠/. المترجم ـ غ.ك.

(وكما تلاحظ عزيزي القارئ بانه لاوجود لشخصية بلتصر في المصادر التاريخية، فقد تم ابتداعها في مخيلة اليهود ليحولوا الأسطورة التاريخية إلى حقيقة راسخة في أذهان الشعوب وليس من الضروري أن يكون سفر دانيال قد كتب من قبل شخص يسمى دانيال ويتفق أغلبية الباحثين على أن «سفر دانيال» كتبه عدة أشخاص بعد عصر دانيال المزعوم بأربعة قرون، أي خلال القرن الثاني (ق.م) بينما دانيالهم المزعوم عاش في القرن السادس (ق.م) كما يدعون).المترجم ـ غ.ك.

الأهمية، التي تعطيه بوضوح سياسة القرن العشرين، لاقتنع بكل سرور أنه ترك أثراً بالغ الأهمية في أحداث /٢٥٠٠/ سنة مضت من تاريخ البشرية أكثر مما تركه جميع الحكام الآخرين الذين حكموا في جميع الأوقات وكافة الشعوب. وليس هناك حادثة أخرى في التاريخ انطوت على عواقب وخيمة مثلما انطوت عليه هذه الحادثة، وهاهم جيلان من السياسيين الغربيين في القرن العشرين بخدمة اليهود، يقتفون الآن أثر الإمبراطور الفارسي «قورش»، وعلى هذا فإن الحربين العالميتين، كانت لهما عاقبتان جوهريتان وما زالت لهما أهمية كبيرة: انتقام «يهوه» من رموز «**الاضطهاد**» و«**البعث الجديد**» كنصر لليهودية. وهكذا أصبحت أسطورة الأحداث التي عصفت ببابل، «شريعة عليا» في القرن العشرين، يخضع لها كل ما تبقى لتتحول بذلك إلى حقيقة تاريخية.

إن الأسطورة بحد ذاتها ثلثاها كذب، وكأنهم يسمونها اليوم دعاية، حتى إن اللاويين تبعاً لجميع المصادر قد اختلقوا شخصية بلاتصر . والكتاب الذي يتحدث عن انهيار بابل كُتِبَ بعد مئات السنين من حادثة الانهيار نفسها، ودوّنه أحدهم ويُدعى «دانيال»، كما لو أنه كان أسيراً يهودياً في بابل، واستطاع أن يحظى بمرتبة رفيعة مرموقة في بلاط الإمبراطور «نبوخذنصر»، نتيجة الثقة التي نالها بفضل ذكائه الخارق في تفسير الأحلام. وتفسيره للإمبراطور «بلاتصر» بعدها «**الكتابة على الجدار**»، ووصفهِ لـ«**بلاتصر بن نبوخذنصر**» أنه هو الذي أهان اليهود، واستخدم في مآدبه التي أقامها مع أمرائه ونسائه وحاشيته «الأواني الذهبية والفضية» التي استولى عليها والده من معبد أورشليم، وتظهر على الجدار يد إنسان تكتب الكلمات «**مَنَا مَنَا تَقَيلُ وَفَرسِينُ**» سفر دانيال ٥=٢٥

ويقول «دانيال» الذي اسْتُدعي لتفسير الحلم، ها هو معنى الكلمات: («مَنَا» أَحْصَى اللهُ مَلَكُوتَكَ وَأَنْهَاهُ. «تَقَيْلُ» وُزِنْتَ بِالْمَوَازِينِ فَوُجِدْتَ نَاقِصاً. «فَرَسِ» قُسِمَتْ مَمْلَكَتُكَ وَأُعْطِيَتْ لِمَادِي وَفَارِسَ). سفر دانيال ٥=٢٦ـ٢٧ـ٢٨

ويُقْتَلُ الإمبراطور «بلاتصر» «**في تلك الليلة**»، ويظهر على المسرح المحارب الفارسي الذي عليه أن «**يُحْيي اليهود**»، وهكذا فإن مقتل الإمبراطور والإمبراطورية كاملة نتج بسبب إهانة اليهود كما يزعمون، وعدّ بمنزلة انتقام

يهوه وثأر لليهود. ومن غير المهم أن يكون دانيال وبلاتصر موجودين في حقيقة الأمر، وإدخالهم في كتابات اللاويين جاء لكي يعطي الأسطورة طابعاً قانونياً.

وعندما تم قتل القيصر الروسي مع زوجته وبناته الأربع وابنه في عام /١٩١٨/، فإن الكلمات المكتوبة على الجدار الملطخ بالدماء، ربطوها مباشرة بأسطورة بابل، حيث اعترف الذين كتبوا الكلمات بصراحة من كان القتلة، وأعلنوا عن حقهم «الشرعي» في تنفيذ عملية القتل. وإذا كانت الأسطورة القديمة قادرة على خلق هذه الأعمال منذ /٢٥٠٠/ سنة، فليس هذا الأمر بذي أهمية سواء أكانت مختلقة أم غير حقيقية، ولا معنى لإثبات ذلك، لأنه كما هم السياسيون كذلك الجماهير التي يقودونها، يعيشون على الأساطير أكثر من الحقيقة..

ومن الشخصيات الثلاث المهمة، التي وردت أسماؤها في رواية انهيار بابل، يوجد شخصية واحدة حقيقية فقط، هي شخصية الإمبراطور «قورش»، وأما «بلاتصر»، و«دانيال» ـ فهما من نتاج تخيلات اللاويين، وكما كتبت الموسوعة اليهودية، فإنه لم يكن لدى الإمبراطور «نبوخذنصر» ابنٌ يدعى «بلاتصر»، وفي فترة محاربة الإمبراطور الفارسي «قورش» لبابل، لم يكن هناك وجود حينها لإمبراطور يدعى «بلاتصر»: وتأكيداً على ذلك فإنه (لم يكن بين يدي مؤلف كتاب «دانيال» معلومات دقيقة)، وبعبارة أخرى لا نعتقد بأن «دانيال» هو من كتب في الحقيقة كتاب «دانيال»، وفي حقيقة الأمر لو كان هناك وجود لشخص بالفعل باسم «دانيال»، وسط المؤثرين من اليهود والمحسوبين على البلاط لكان عليه أن يعرف حتماً اسم الإمبراطور، الذي حدثنا عن مقتله، وامتلك عندها «معلومات دقيقة».

لذلك لم يعد هناك مجال لأي شك، في أن كتاب «دانيال» مثله في ذلك مثل كتب شريعة موسى، التي ألفها الكَتَبة اللاويون، وعملوا بجد لدراسة التاريخ، وكيّفوه بما يُوائم تأليفهم للشريعة. وفي سبيل استنباط حالة لا وجود لها، فمن البدهي أن يختلقوا شخصية الملك «بلاتصر»، والتفكير بشخصية النبي «دانيال» أيضاً. وقد كان واضحاً للمتعصبين الصهاينة المعاصرين أنها أسطورة، و«دانيال» من أكثر جميع أنبياء اليهود شهرة، ويتحدثون بحماسة منقطعة النظير

وإسهاب عما كُتِبَ على الجدار، والذي يشير إلى انتقام اليهود وانتصارهم. ومن الملاحظ أن فيه تأكيداً على حق نشاطهم بشكل «شرعي» وفي جميع الأوقات القادمة. إن تاريخ مئة السنة الحالية في القرن العشرين عززت إيمانهم أكثر من تاريخ أي قرن آخر وإن «دانيال» «وتفسيره» الذي تحقق «في تلك الليلة» جواب مقنع لهم وغير مدحض لنبي إسرائيل القديم «وبرؤياه لله المحب للبشرية جمعاء» أثبت عملياً أن انهيار بابل (في رواية اللاويين) قد أدَّى خدمة لهم وعكس حقيقة شريعة موسى وقوتها.

بيد أن كل هذا التاريخ، كان قد انتهى بلا نتيجة تذكر، لو لم يكن الإمبراطور «قورش» الشخصية الحقيقية الواقعية الوحيدة، من الشخصيات الرئيسية الثلاث في الأسطورة اليهودية، الذي سمح لبعض الآلاف من اليهود بالعودة إلى أورشليم (أو إجبارهم على القيام بذلك ـ أي العودة إلى أورشليم)[1]، وفي هذه الفترة، كانت نظرية اللاويين السياسية موجهة للاستيلاء على السلطة، بالتأثير واستغلال النفوذ على الشخصيات الحكومية الأجنبية في مختلف الدول وقد جربوا اختبارها بالتطبيق العملي الذي أثبت نجاحها. وكان

(١) ـ أورشليم: (القدس أو بيت المقدس أو البيت المقدس أو يبوس أو «أورسالم» مدينة السلام)، انشأتها القبائل اليبوسية المنحدرة من الكنعانيين والتي نزحت عن شبه جزيرة العرب، في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، واتجهت إلى فلسطين وسورية الداخلية التي سميت بعدها بأرض كنعان، حيث استقرت هذه القبائل وأنشأت حضارة مزدهرة، ومدناً عديدة أهمها: يبوس (القدس) وشخم (نابلس) وبيت شان (بيسان) ومجدو (تل المتسلم) وبيت ايل (بيتين) وجيزر (تل الجزر) واشقلون (عسقلان) وهكذا ظهرت «يبوس» بهذا الاسم، لأول مرة في التاريخ، ثم عرفت بعدها باسم «أور سالم» نسبة إلى الإله «سالم» إله السلام لدى الكنعانيين، وقد تبنى العبرانيون بعدها الاسم الأخير مدعين زوراً أنهم أول من اطلقوه على المدينة المقدسة. وللمدينة المقدسة أسماء أخرى منها: إيلياء Aelia Capitolina وهو الاسم الذي أطلقه الامبراطور الروماني هادريان عام ١٣٥ م بعد ان كان القائد الروماني تيتوس قد دمرها عام ٧٠ م، فأعاد هادريان بناءها وسماها بهذا الاسم، وأقام فيها هيكلاً وثنياً لآلهته. أما العرب المسلمون الذين فتحوا المدينة المقدسة في القرن السابع الميلادي، فقد سموها بأسماء عديدة مثل: القدس وبيت المقدس والبيت المقدس، وهي جميعها اسماء حسنى تمجد المدينة وتقدسها وتنزهها كما سبق وقدمنا، كما سموها باسمها الروماني «ايلياء». (نقلاً عن صحيفة الاتحاد الاماراتية ٢٥ آب ١٩٩٦ . ص ٢٢ . من كتاب «حروب القدس في التاريخ الاسلامي» للعميد الركن د. ياسين سويد). المترجم ـ غ.ك.

الإمبراطور الفارسي أول دمية غير يهودية ضمن القائمة الطويلة للشخصيات الموجهة من قبل زعماء الطائفة اليهودية، وأشاروا عليهم كيفية حشر أنفسهم في الحكومات الأجنبية، ومن ثمّ إخضاع هذه الحكومات وتطويعها لمصالحهم، ومع مطلع القرن العشرين، نرى أن هذه المراقبة على الحكومات الأجنبية اكتسبت تلك القوة، حيث خضعت جميع الحكومات بدرجة متساوية لسلطة عليا وحيدة، بحيث أصبحت جميع مواقفهم وخطواتهم في نهاية الأمر تخدم مصلحة هذه السلطة. وفي نهاية هذا الكتاب سنوضح كيف يتم توجيه هذه الدمى غير اليهودية، وكيف يؤججون العداوة بين الشعوب، ويخلقون الخلافات بين الدول والشعوب، وهذه هي الوسائل الضرورية لأجل تحقيق أهدافهم «القومية العليا» المحددة.

غير أن القارئ سيصل إلى مرحلة التأمل الذاتي، لكي يفهم، إن استطاع ذلك: لماذا هذه الدمى؟! «أي قادته السياسيون» الذين انقادوا بإذعان لإرادةٍ غريبة، وأول هذه الدمى كان الإمبراطور «قورش»، الذي لولا مساعدته لما استطاع زعماء الطائفة اليهودية أن يظهروا من جديد في أورشليم، وإقناع الطائفة اليهودية الموزعة في كل أنحاء العالم أن الشريعة العرقية قوية وسيتم تنفيذها حرفياً دون ريب، وإن الخط المباشر والواضح للأسباب والعواقب ممتد من انهيار بابل حتى أحداث قرننا العشرين، وأن سلسلة الكوارث المتلاحقة التي لحقت بالغرب وأدت إلى تقهقر الأوضاع في الدول الغربية، وكل ما حصل للغرب، يمكن توجيه التهمة من خلاله إلى الدمية الأولى غير اليهودية الإمبراطور «قورش»، أكثر من المحتالين والكهنة الدهاة اللاويين. وفي هذا الشأن كتب إدوارد مبير يقول «لقد ظهرت اليهودية بإرادة الإمبراطور الفارسي وبمساعدة إمبراطوريته. حيث بسطت الإمبراطورية الأخمينية نفوذها بقوة كبيرة أكثر من أي إمبراطورية أخرى حتى وقتنا الحالي». إن هذا التحليل الدقيق لهذه الشخصية المسؤولة من الصعب نفيه.

وقبل ٥٠٠ سنة من ظهور مفهوم جغرافي لأوروبا، وضع اللاويون شريعتهم، فخلق الإمبراطور «قورش» سابقة بَيَّنَ فيها كيف سيتم تدمير وموت هذه القارة التي لم تظهر للوجود آنذاك. وإبان احتلال بابل من قبل الإمبراطور

«قورش» لم تكن كتب الشريعة الخمسة قد انتهت، وهي (سفر التكوين ـ سفر الخروج ـ سفر اللاويين ـ سفر العدد ـ سفر التثنية ـ المترجم غ.ك)، وعملت طائفة اللاويين باجتهاد في بابل، واختلقت التاريخ، الشبيه بحادثة «الملك بلاتصر» التي كان يجب صبغها بشيء قريب من الحقيقة المستحيلة، وإيجاد سابقة معلّلة للأعمال الوحشية منذ خمسة وعشرين قرناً رغم أن اليهود كانوا قد تمرسوا على التعصب الديني، إلا أنهم لم يعلموا أي شيء عن حقيقة الشريعة العنصرية التعصبية، التي أُعدَّت لهم. حيث جهدت طائفة اللاويين لإنهاء كتابة الشريعة وتطبيقها على اليهود، حدث هذا في عام ٤٥٨ قبل الميلاد، في فترة حكم إمبراطور فارسي أخر، ومنذ ذلك الوقت فإن الجدلية حول صهيون وضعت «الشعب اليهودي» بلا شفقة في مواجهة البشرية جمعاء، لقطع الحبل السري الذي يربط اليهود بمحيطهم الخارجي بشكل نهائي. هذا الانعزال عن جميع الشعوب الأخرى أمام الذين حمل كهنته أسطورة انهيار بابل كراية، ليُبعثَ من جديد كقوة متماسكة وسط الشعوب الغربية لإبادتها حسبما أملته عليهم شريعتهم.

ترجمة كتب الشريعة

كان الحدث الهام في الـ/٤٠٠/سنة اللاحقة، كما بين لنا التاريخ، هو ترجمة الكتب اليهودية إلى اللغة اليونانية، والتي سميت فيما بعد «بالعهد القديم»، هذه الترجمة التي سمحت وتسمح حتى تاريخه «للوثنيين» بقدر ما، التعرف على الشريعة التي بشرتهم بالإبادة والاستعباد والسيطرة عليهم من قبل اليهود. ومن دون هذه الترجمة، لم يكن باستطاعتنا الشك بالطبيعة الحقيقية لليهودية، وقد أوردت الترجمة شواهد وثائقية تؤكد صواب هذا الارتياب. للوهلة الأولى، يبدو الأمر غريباً، على أن هذه الترجمة تمت بشكل عام ـ وفقاً لتقاليد اثنين وسبعين عالماً يهودياً في الإسكندرية ما بين أعوام /٢٧٥ ـ ١٥٠/ قبل الميلاد، حيث كتب «اوغسطين» يقول: «إن الهدف المحدّد لها، هو ترجمة كتب الشريعة لإطلاع اليونان عليها، وهذا ما قاد إلى تشويه وتحريف الكلمات، وتغيير المعنى الجوهري، وتغيير بسيط في الأفكار والمفاهيم العامة، وإحلال أفكار محلية وقومية بحتة محلّها».

وقد أراد «اوغسطين» إسدال الستار عما مضى، فأظهر عدم اكتراثه في انتقاء الكلمات، مع العلم أنه لا يجوز القيام بشيء ملموس لإفهام الآخرين عن طريق التشويه والتحريف والتغيير في المعنى الجوهري واستبدال صيغتين مختلفتين بالجمل الواضحة ، عدا عن ذلك، كان من المفترض أن يكون ذلك معلوماً للعالم «اوغسطين»، أن ما جاء في الموسوعة اليهودية يؤكد أن التلمود الذي ظهر لاحقاً، منع تعليم التوراة لغير اليهود، وأي إنسان يعلّمها لغير اليهود «يُحْكَم عليه بالموت»، وكان أكثر ما يخشاه التلمود هو أن «الوثنيين» يمكنهم التعرف على الشريعة، حتى ذلك الشيء الذي اختلقته التوراة شفهياً هو بمنزلة الملجأ الأخير،

الذي يمكن أن تكون أسرار «يهوه» مخفية فيه وبعيدة عن أعين غير اليهود.

وإذا كانت الكتب اليهودية قد ترجمها اليهود أنفسهم إلى اللغة اليونانية فبطبيعة الحال ليس بنيّة طيبة، أو بقصد تقديم خدمة لليونانيين (وليس كما كتب اوغسطين نفسه يقول: الغاية على الأغلب هي لجعل الصيغ مفهومة للقارئ غير اليهودي)، إن الترجمة قد احتاجها اليهود أنفسهم في الدرجة الأولى، الذين نسوا لهجتهم القديمة منذ فترة بعيدة في بابل واستخدموا اللغة الآرامية فيما بعد، ومن ثم أصبحت اللهجة القديمة من أسرار اللاويين «إحدى الأسرار الروحية التي ربطت بين اليهود المنتشرين في العالم». وكما كتب أوغسطين: «كان أكبر تجمع للطائفة اليهودية آنذاك في الإسكندرية، المكان الذي أصبحت فيه اللغة اليونانية لغة حياتهم اليومية، والكثير منهم لم يعد يفهم اللغة العبرية القديمة، فالترجمة اليونانية للشريعة كانت ضرورية كأساس لتفسيرها من قبل الحاخامات».

ولكن على الأغلب إن شيوخ الطائفة اليهودية لم يستطيعوا التنبؤ بأنه بعد مئات السنين ستظهر في العالم ديانة جديدة، ستجعل من كتبهم جزءاً من كتابها المقدس، ومن الشريعة الموسوية مُلْكاً للبشرية جمعاء، ولو استطاعوا التنبؤ بذلك، فمن المحتمل أن الترجمة اليونانية لم تكن قد تمت فعلاً. ومهما حصل، فقد أفهم اللاويون المترجمين بأن عملهم هذا سيسمح لأول مرة لغير اليهود بالتعرف على الشريعة، ومن هنا فقد تم تشويه، وتحريف، وتغيير، وتزوير كل شيء عما كتب عنه «اوغسطين»، وعلى سبيل المثال، نجد في ترجمة سفر الإصحاح ٢١=٣٢ من سفر التثنية الذي ورد فيه وصف «الوثنيين» بأنهم «شعب أبله، وغير عقلاني» في الوقت الذي يحوي النص اليهودي القديم وحسب الترجمة الواردة في الموسوعة اليهودية الكلمات التالية «غير اليهود المنحطون والمسعورون».

ما الشيء الذي تمّت ترجمته تحديداً؟ على الأغلب ـ هو كتب الشريعة الخمسة، أي التوراة، تم ذلك بعد أن أجبر عزرا ونحميا يهود أورشليم على العمل «بالمعاهدة الجديدة» حيث أعادت طقوس بابل النظر من جديد بالتوراة. وحول هذا الأمر كتب أوغسطين يقول: «أعاد المؤلفون المجهولون النظر من جديد بالأحداث التاريخية والتقاليد والشرائع والعادات القديمة، واسبغوا عليها مدلولها وأهميتها، بما يتوافق مع مطالب توجهات نظام التيوقراطيين... أخذت التوراة بعد

ذلك شكلها النهائي، الذي لا يجوز إجراء أي تبديل عليه ولا في فاصلة واحدة، ولا فكرة واحدة، حتى الكلمات والأحرف يجب عدم تغييرها في المستقبل».

وإذا أعطي للناس البسطاء معنى مغايراً لعمل ما أعلن عنه سابقاً أنه لا يقبل التغيير وحشر بتقاليد روحية في إطار غطرسة اليهود السياسية الدنيوية، فهذا العمل لا يمكن تسميته إطلاقاً بأنه لاهوتي. فالتقاليد الإسرائيلية القديمة تم حذفها أو «تغييرها» وحل مكانها شرائع يهودية عنصرية في «شكلها النهائي المقرر». وتم تطبيق الأسلوب نفسه عندما تم تأليف كتب أخرى تاريخية، ونثرية، وشعرية. وكتاب دانيال تم الانتهاء من تأليفه في هذه الفترة تقريباً. وبعبارة أخرى، بعد مرور /٤٠٠/ سنة على الحوادث التاريخية التي دونت فيه، وليس غريباً أن مؤلفه غير المعروف أيضاً قد شوش كل الوقائع التاريخية حرفياً، ولا يخفي «أوغسطين» كيف تمت صياغة النصوص، حيث يقول إن: «المؤلفين الذين أعطوا الشكل النهائي لكتب سفر «يشوع بن نون»، و«سفر القضاة»، و«سفر صاموئيل» و«سفر الملوك»، قد جمعوا جميع المقتطفات من (مواعظ وأساطير قديمة) وفسروها بـإبداع... لم يكن بالإمكان دائماً كتابة كلمات محددة لشخصية معينة، بما أنهم غالباً ما تحدثوا بإهمال. لأن المؤلفين اهتموا بمحتوى المواضيع أكثر من اهتمامهم بالدقة اللغوية، وقد ربطوا كلمات الأنبياء حسب فهمهم لها ومن المحتمل أن السبب بالتحديد هو التطابق التام للتنبؤات التبشيرية لدى نبيين مختلفين، والشاهد على ذلك: إشعياء «وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتاً فِي رَأْسِ الْجِبَالِ وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ شُعُوبٌ. وَتَسِيرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلَهِ يَعْقُوبَ فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ». لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. فَيَقْضِي بَيْنَ شُعُوبٍ كَثِيرِينَ. يُنْصِفُ لأُمَمٍ قَوِيَّةٍ بَعِيدَةٍ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ.» ميخا ٤=١-٢-٣ .

«وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتاً فِي رَأْسِ الْجِبَالِ وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ. وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلَهِ يَعْقُوبَ فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ». لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ،

وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ ٱلْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ.»)، وسفر إشعياء ٢=٢ـ٣ـ٤ . وأيضاً تكرارات أخرى متعددة بهذه الطريقة.

ومن هنا فإننا نلاحظ، أن محتوى المواضيع كان هو المهم، وليس الحقيقة التاريخية ولا «الدقة اللغوية»، ولا كلمات الرب. وجاء محتوى المواضيع شوفينيّة سياسية في شكلها النهائي، حيث تعد أكثر الأشكال التي عرفتها الإنسانية تطرفاً. إن الشيء الوحيد الذي اهتم به المترجمون، هو مطابقة الترجمة لعقائد وأفكار اللاويين، وكل من يقرأ المصادر، يتضح له كلياً بأي الأساليب تم تأليف هذه الكتب بعد رفضها من قبل يهود «أورشليم»، وما هي الدوافع التي كانت وراء تأليفها، والمحصلة النهائية لعمل أجيال كثيرة من الكهنة السياسيين خلال ٥٠٠ أو ٦٠٠ سنة، تمت ترجمتها حوالي ١٥٠ قبل الميلاد إلى اللغة اليونانية. وبعد عصر السيد المسيح تمت ترجمة الكتب الخمسة، والعهد الجديد من قبل القديس «يورنيم» إلى اللغة اللاتينية، وأصبحت التوراة (الكتب الخمس) والانجيل يعتبران وكأنهما من مصدر إلهي واحد... وكجزأين لهذا أو ذاك العمل» وهكذا تكتب الموسوعات المعاصرة مؤكدة، أنه منذ فترة انعقاد مجمع «تريدينتي»[1] في القرن السادس عشر، حمل الكتابان اسماً محدداً، هو الكتاب المقدس، ووافقت على ذلك الكنيسة البروتستانتية دونما أي جدال، بالرغم من أنهم (أي جميع الكنائس التي شاركت في هذا المؤتمر) في هذا المجال كانوا يملكون الأسس التي تمكنهم للاعتراض من خلالها على ذلك.

---

(١) ـ مجمع تريدينتي: عقد في تريدينت من اعمال إيطاليا في القرن السادس عشر، وهو من أحد أهم المجامع الاتحادية، وقد تم عقده تحت لواء روما، وكانت الغاية من عقده، جمع جميع الكنائس الغربية والشرقية من أجل إعادة الوحدة في الكنيسة للانضواء تحت سلطة روما، ولما كان الحديث في هذا المجمع يقول بسلطة روما على كل هذه الكنائس، كان ذلك غير مناسب للكنائس الشرقية فانسحب البعض منه، وبقي البعض الآخر متعاطفاً مع روما في ما تهدف إليه، وأصبح فيما بعد على اتحاد مع روما روحياً وعقائدياً بشكل ما، ومن هذه الكنائس الشرقية: الروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، والأرمن الكاثوليك، والأقباط، ودعوا الاتحاديين نسبة إلى اتحادهم مع روما في مجمع تريدينتي وغيره ومن هذه المجامع الاتحادية أيضاً كان مجمع فلورانسا، واسم تريدينتي، نسبة إلى مدينة (تريدنتوم) اللاتينية التسمية قديماً، وهي مدينة (ترِنْتُو) الحالية، في إيطاليا الشمالية. المترجم ـ غ.ك.

وفي ضوء التغيرات التي أُدخلت على الترجمة (انظر شهادات أوغسطين التي وردت سابقاً) فما من أحد في هذا الوقت ـ عدا بعض أحبار اليهود ـ يمكنه القول ما مقدار التشابه أو عدم التشابه ما بين اليهودية القديمة ـ والآرامية الأصلية والترجمة اليونانية، لكونها تعدّ الجزء الأول من الكتاب المقدس المسيحي. إلا أنه يتضح أن ما قاموا به من تغييرات كانت في ضوء ما هو موجود، وما عدا ذلك، يوجد أيضاً «توراة شفهية» و«تلمود» استمراراً للتوراة. إذاً فالعالم المسيحي لم يعرف ولن يعرف في وقت من الأوقات الحقيقة كلها عن الشريعة اليهودية، لأنه لم يطلع على «التوراة الشفهية» و«التلمود» غير أن جوهرها واضح للعيان، وجاءت واضحة في ترجمة العهد القديم التي وصلت إلينا، وهذا وحده كاف للاستغراب، ولكي لا يكون هناك إلغاء أو تغيير فأمام كل جملة واضحة تم وضع صيغ إضافية لانتقام القبائل الإلهية مع وصايا وحشية تهدد بالفناء والاستعباد لأي رأي أو تفكير يرخي العنان لنفسه. وبعد أن تمت الترجمة لم يعد هناك حاجة للمراوغة، فالتحريف وتغيير المعنى الجوهري للكلمات وأحابيل أخرى مهما كانت قوتها لم تستطع إخفاء طبيعة الشريعة اليهودية، وبغض النظر عما قاموا به، فقد كانت الأفكار المكتوبة واضحة، وأفضل شاهد على هذا، هو السماح بطباعة الترجمة. فاللغويون لم يكن بإمكانهم التنبؤ بعدد الأماكن التي سيتم فيها تناول الترجمة، ومدى الشهرة التي استحقتها هذه الترجمة، فيما بعد. وليست هذه الترجمة التي نسميها الآن العهد القديم، والتي وصلت إلى العالم الغربي بمذهبها العنصري الضعيف والمدمر إلا جزءاً ضئيلاً مقبولاً، جرى تهذيبه بعد أن تمت تنقيته. جرى كل هذا قبل فترة طويلة من تاريخ أوروبا، والآن كما هو الغرب كذلك الشرق، وبعد انتشار الديانة المسيحية في أوروبا لمدة ألفي عام، يتحدث قادتها السياسيون الذين أصابهم الرعب من الطائفة اليهودية بخوف واحترام عن العهد القديم، كما لو أنهم يتحدثون عن أفضل جزء من الكتب المقدسة، وكأنهم يعيشون ضمنه، بيد أنه لم يكن دائماً سوى نذير شؤم للإبادة والاستعباد لشعوبهم. وجميع أعمالهم في ظل هذا النير الذي تبنوه برضاهم لا يؤدي إلا إلى هذا الهدف الوحيد.



الجليلي

في عصر ولادة السيد المسيح، انتشر في كل مكان وسط اليهود انتظار حميم لمجيء المخلص، وكانوا تواقين لدليل على أن يهوه جاهز فعلاً في الحقيقة لتنفيذ وعده مع شعبه المختار، وحاول الكتبة العمل بما ينتظره الشعب، حيث ادخلوا في التوراة وبالتدريج فكرة المسيح «مسيا»، الذي سيظهر بهدف تنفيذ هذا الوعد.

وقد ورد في «الترجوم»[1] وهو عبارة عن تفسيرات الحاخامات للكتاب المقدس: «وكم هو رائع «مسيا» القيصر، الذي سيبعث من بيت اليهود، ويضع نفسه في حالة تأهب للدخول في معركة مع الأعداء وعندها سيُقْتَل قياصرة كثيرون».

هذه الكلمات تشير إلى ما كان ينتظره اليهود، وماذا عودوهم أن ينتظروا: المخلص المحارب والمنتقم (وفقاً لتقاليد المجازر القديمة بحق «**جميع بواكير مصر**» وتدمير بابل) الذي سيسحق «**الحديد بالحديد**» أعداء القبائل اليهودية «**وسيحطم جماجمهم كما تحطم الأواني الفخارية**» ويعطيهم المملكة العالمية، وينفذ شريعة قبائلهم حرفياً، وهكذا تعلّم على مر الأجيال اللاويون والفريسيون[1]، وانتظروا حدوث كل ذلك. إن فكرة المخلص الحكيم الذي علم «**أحبوا أعداءكم**»، ـ المخلص المعَذب «مسيا» المحتقر والمنبوذ من الناس ـ لم تكن موجودة بتاتاً وكان

---

(١) ـ الترجوم: كلمة آرامية قديمة وتعني الترجمة. المترجم ـ غ.ك.

(١) ـ اللاويون هم احبار اليهود، أما الفريسيّون فهم اتباع احدى الفرق اليهودية. وقد أشار اليهم السيد المسيح مراراً وهاجمهم بعنف. المترجم ـ غ.ك.

يمكن أن تكون منبوذة وكأنها أشياء سخيفة، حتى لو أن أحداً ما لفتت انتباهه كلمات أشعيا، التي أصبحت مفهومة واكتسبت أهميتها بعد حياة وصلب يسوع المسيح فقط.

بيد أن ذاك الحليم المبشر بالحب الذي جاء، وسمع الكثيرون عنه وآمنوا به، ولا سيما أنه سمى نفسه المخلص، وبكلمات قليلة، جلب جميع الويلات للعنصرية التي كدسها زعماء الطائفة اليهودية على الشريعة الأخلاقية القديمة، وأخرج السر العميق والمخبأ من جديد، وعرف فيه الفريسيون عدوهم الخطير «**رسول وحليم**» ووجد له أتباع كثيرون وسط اليهود، رغم أن اليهود كانوا ينتظرون المخلص «مسيا» ـ المحارب الوطني والمحرر من سلطة روما، ولكن الكثيرين منهم ربما شعروا بشكل وجداني، أن عبوديتهم كانت عبودية بالروح، وأنهم كانوا عبيداً للفريسيين، أكثر من كونهم عبيداً لروما، غير أن السياسيين الفريسيين وصموا الجليلي «بمسيا» الكذاب ومُعيّب للرب، وافقت جماهير الشعب في البداية على ذلك بسبب تعودهم على الفريسيين، مما أدى إلى خلق شك مؤلم لدى أجيال كثيرة من اليهود، الذين لا يجوز لهم حتى مقاسمة أحد (لدرجة أن اسم السيد المسيح لا ينبغي ذكره في بيت اليهودي، وإذا كان «مسيا» قد جاء، لكنه رُفض من قبل اليهود، وما وعدهم به في المستقبل، يتفق مع شريعتهم الخاصة بهم؟.).

من كان هو؟ وأمامنا تناقض واضح في تاريخ صهيون أيضاً: اللاهوت المسيحي يشير بغير توان إلى أن «يسوع كان يهودياً»[1] في الوقت نفسه الذي ينفي فيه الحاخامات ذلك نفياً قاطعاً، وإذا كان عدد معين من الحاخامات الصهاينة يتحدثون في اللقاءات السياسية والمؤتمرات الدولية، بأن «يسوع المسيح كان يهودياً»، فربما هي محاولة لتحقيق نتائج سياسية محددة وسط المستمعين غير اليهود، فإنهم لم يكرروا ذلك وسط اليهود في أي وقت من الأوقات.

(١) ـ لا تعترف جميع الكنائس بهذه المقولة وما يقصد به المؤلف «اللاهوت المسيحي» فهو معتمد في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية في أوروبا وأمريكا الواقعة تحت تأثير الصهيونية. المترجم ـ غ.ك.

والمزاعم حول أن «يسوع كان يهودياً» استغلت بشكل مستمر في قرننا الحالي لأهداف سياسية، وغالباً ما استخدمت لقمع معارضة النفوذ والتأثير الصهيوني في السياسة الدولية واحتلال فلسطين، لأنه مادام السيد المسيح يهودياً، فلا يجوز للمسيحيين الاعتراض على أي شيء تقوم به الصهيونية باسم اليهودية، وبالطبع لا يوجد أي منطق في هذا. لكن يمكن أن تؤثر هذه العبارات والمقولات في الجماهير، وأمامنا تناقض ظاهري أخر وهو: القول بأن المسيح كان يهودياً، هذا ما يصرح به الساسة غير اليهود، ورجال الدين المسيحي في الغرب، لكي يحصلوا على رضى اليهود. هذا التصريح يعدّ مهيناً بشكل عميق للمؤمن اليهودي.

وبخصوص المكان الذي عاش فيه السيد المسيح، فحسب إنجيل يوحنا، يؤكد بأن السيد المسيح ولد في بيت لحم، وما يعزز هذا القول، أن السيدة العذراء وصلت إلى بيت لحم، قادمة من الجليل لتسجيلها في الإحصاء، وهذا ما ينفيه اليهود، ويعدون ذلك بمنزلة إقحام لإثبات نبوءة ميخا، التي تؤكد أن حاكم إسرائيل ولد في بيت لحم «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لَي الَّذِي يَكُوْنُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» سفر ميخا ٥=٢ . وفي النهاية، فالموسوعة اليهودية تؤكد بأن الناصرة كانت موطن السيد المسيح، وبالتالي تؤكد جميع المصادر بأن السيد المسيح كان جليلياً، بغض النظر عن مكان ولادته وفي منطقة الجليل حيث أمضى حياته، إذ كانت مستقلة كلياً من الناحية السياسية عن اليهودية، حيث كان لها حاكمها الروماني الخاص بها، وعن اليهود (العبرانيين) كانت منطقة الجليل تعدّ خارج حدودهم، وكان الزواج ما بين هاتين المنطقتين محرماً، وحتى قبل مجيء السيد المسيح، فقد أعاد أحد الأمراء المكّابيين وهو «شمعون»[1] جميع اليهود الذين كانوا يعيشون في منطقة الجليل إلى اليهودية، وبعبارة أخرى

(١) ـ شمعون: احد الأمراء المكّابيين، قائد الانتفاضة الشعبية في القرن الثاني قبل الميلاد في اليهودية، ضد سلطة السلوقيين، احتل أورشليم في عام ١٦٤ قبل الميلاد، حققت اليهودية الاستقلال السياسي بعد وفاته في عام ١٦١ قبل الميلاد، حيث قاد النضال أخوه في عام ١٤٣ قبل الميلاد. المترجم ـ غ.ك.

كانت القبائل القاطنة في منطقتي الجليل واليهودية مختلفة من الناحيتين: العرقية والسياسية.

هل يمكن القول بأن يسوع المسيح كان «يهودياً» من الناحية الدينية؟ بطبيعة الحال إن اليهود المتنفذين ينفون ذلك قطعاً، وما تردد في الأذهان أحياناً عن هذا الموضوع من قبل رجال الدين المسيحي في الغرب وفي الاجتماعات السياسية، أحدث استياء في كل كنيس يهودي، ومن غير المفهوم، كيف يمكن أن تصدر هذه التأكيدات من قبل شخصيات مسيحية اجتماعية مسؤولة في الغرب.

ففي عصر يسوع المسيح لم يكن هناك وجود لعقيدة يهودية موحدة تتبع تعاليم موسى، فأتباع النبي موسى دخلوا أغلبهم في الديانة المسيحية، وهذا ما أشار إليه الرسول بولس في احدى رسائله، بل كانت عبارة عن عبادة «يهوه» لطوائف مختلفة مثل الفريسيين والصديقين والعشارين وغيرهم، وكان يدور بين هذه الطوائف جدال عنيف وتخاصم في المعابد، ليفرض كل واحد منهم السلطة من جهته على أتباعه، وهؤلاء لم يكونوا فقط بمنزلة طوائف بل أحزاب سياسية، وكان الفريسيون أكثرهم قوة «وكذلك أساطيرهم الشفهية غير المكتوبة» وكأن هذه الأساطير أوصى بها الله سبحانه وتعالى للنبي موسى. وإذا ما عددنا الصهاينة الحاليين «يهوداً» (وهذه المزاعم تعترف بها الشعوب الغربية على ما يبدو) فبذلك تكون جميع تلك الأحزاب التي ترافق وجودها في عصر السيد المسيح فريسية. وقد وجه يسوع المسيح بكل ما يملك من قوة نقده اللاذع للفريسيين تحديداً، وذمَّ أيضاً الصدّيقين والكتبة، ولكن كما يتضح أنه لم ينقض شيئاً من الناموس، «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ.» متى ٥ = ١٧ ـ ١٨ ـ ٢٠ . إلا أن الفريسيين تحديداً، والذين عدّهم السيد المسيح أعداء الله والإنسان، وأنزل غضبه بكل ما يملك من عظمة عليهم وضدهم، وهاجمهم بصورة رئيسية في دينهم أشياء يعدّها الصهاينة الآن ميزاناً رئيسياً لليهود واليهودية.

ودون أدنى شك، فقد كان السيد المسيح نقيضاً وعدواً لدوداً لكل ما

تبتدعه اليهودية الأرثوذكسية اليوم، كما كانت سابقاً عقائد الفريسيين في عصره.

لا يعرف أحد بالتحديد، من كان يسوع المسيح، وكل ما هو مفتعل حول أصوله اليهودية أو غير اليهودية يبقى مجرد تخمين وافتراض من قبل السياسيين المعاصرين غير اليهود ومزيفاً أيضاً، مثلما كان في حينه هجاؤهم واستهزاؤهم بصورة بدائية متخلفة عن «ولادته غير الشرعية»، هذه المزاعم والادعاءات التي انتشرت في الغيتوات اليهودية.

لقد كانت وما زالت أقوال وأعمال السيد المسيح لدرجة تامة عالية متسامية الأهمية، وكل ما قيل عدا ذلك يعدّ شيئاً تافهاً وهراء وغير مهم ـ ومن المناسب هنا أن نذكّر بالجدل الذي دار حول شكسبير وأعماله، مع عدم صحة المقارنة بين رجلٍ هو في النهاية رجل عادي مهما علا شأنه وبين نبي عظيم كالسيد المسيح[1] ـ فكم هي عظيمة إبداعاته الإلهية التي لا يقلل من شأنها وأهميتها، ما إذا كان فعلاً هو دوّنها أم أحد ما غيره (أي تلاميذه) علماً أن

---

(١) ـ إن ما أراد المؤلف توضيحه من خلال مثال شكسبير هو التالي: فالمعروف أن أعمال شكسبير على عظمتها العبقرية التي كتبت بها، تعرضت إلى نقد حاد من قبل الكثيرين من النقاد، حتى إن بعضهم نفى أية قيمة أدبية لهذه الأعمال، في وقت عدّها آخرون انها من أروع الأعمال الأدبية العالمية، وعليه يستنتج المؤلف انه رغم هذا الجدل الحاد حول أعمال هذا الأديب الكبير تبقى في النهاية أعمالا خالدةً. وكما يقول الفيلسوف توماس كارليل صاحب كتاب الأبطال «العشرة الأوائل» في معرض رده على بعض الحملات التي طالت مكانة الشاعر الكبير شكسبير وأعماله، وهي الحملات التي وقفت ورائها الكنيسة الغربية بدعم من رجال الدين اليهود.

ورغم أن الفرق بين الشاعر والنبي كبير، إلّا أننا لا ننسى أنّ مدلولهما في بعض اللغات القديمة واحد فلفظة «فايتس» معناها شاعر أو نبي، وشكسبير الشاعر الكبير الذي لا يريد البعض أن يراه كذلك ـ لأسباب معروفة ـ ما كتب لولا قدرته الموهوبة التي مكنته بالنفاذ ببصيرته إلى سر الكائنات المقدس. لقد نفذ ببصيرته ليجلو لنا غامض السر وأنما الله أرسله ليفعل ذلك.

أما الفرق بين الشاعر والنبي، فهو أن النبي قد تناول السر، هذا السر المقدس من وجهة الخير والشر، المحظور والمباح، وتناوله شكسبير وغيرة من عظماء الشعر من وجهة نظر الجمال والحسن والجلال وما شاكل، فأحدهما الهادي إلى ما نفعل وثانيهما الدال على ما نعشق. المترجم. غ. ك.

النقاش الساخن في هذا الموضوع لا نهاية له. فابن النجار الجليلي كما يبدو، لم يدخل مدرسة رسمية في أي وقت من الأوقات: «وتعجب اليهود، وقالوا: إن هذا الإنسان لم يتعلم في أي وقت من الأوقات، من أين له كل هذه المعرفة بالكتب المقدسة؟ والأهم من ذلك كله، أنه لم يتعلم نهائياً في مدرسة المعبد اليهودي ولم يكن لديه حاخام يعلمه، واعداؤه الفريسيون يؤكدون ذلك، ولو كان من جنسهم وعشيرتهم، لم يسألوا ذلك نهائياً: «**مِنْ أَيْنَ لِهذَا، هذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ**» إنجيل متى ١٣=٥٤

وظهر نور الإلهام المبهر، الصادر عن تعاليم هذا الشاب اليافع الغريب غير المتعلم في مدرسة معينة، بمنتهى الوضوح على الخلفية المظلمة لشريعة اللاويين وتقاليد الفريسيين، الذين وقف ضدهم داخل اليهودية، وحتى إن موعظة الجبل التنويرية الكاملة والخطبة غير المنتظرة قد أذهلت الجميع ومازالت إلى يومنا هذا كبحث نقدي للعهد القديم وكشمس الظهيرة في الليل المظلم.

إن الشريعة التي جاء من أجل «تحقيقها» يسوع المسيح إلى هذا العالم، تحولت في ذاك الوقت، كتلة هائلة من القوانين لخنق كل ما هو حي بتعقيداتها وحذلقتها، في البداية كانت التوراة فقط وأضيف إليها كم هائل من التأويلات، وكم هائل من تفسيرات الحاخامات، أما الشيوخ فقد واظبوا مثل دودة القز، في جدل خيوطهم بشكل واسع، وغايتهم أن يصطادوا بهذه الخيوط جميع ما يتعلق بحياة الإنسان. وقد عملت أجيال كاملة من المشرعين جدياً لحل مسائل مختلفة، كمسألة تحريم أكل البيض في يوم السبت، خاصة إذا كان القسم الأعظم من هذه البيضة قد باضته الدجاجة قبل ظهور النجمة الثانية في السماء! فالتشريعات والمعلومات التي صدرت بشأن هذه المسألة شكلت مكتبة كاملة، واستدعيت لجنة المحامين الدوليين لإعطاء رأيهم في هذه التشريعات والمعلومات، واحتاجت اللجنة إلى سنوات عديدة، لكي تنظر في أكوام الأوراق المكدسة للنقاشات الدائرة حول هذا الموضوع. وفجأة جاء من الجليل شاب يافع، مد يده، وألقى بهذه الأكوام من النفايات وأظهر أين تكمن الحقيقة، وكشف الهرطقة، واختزل «الناموس والأنبياء» بوصيتين «**تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. وتُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**». متى ٢٢=٣٧ـ٣٩ .

وبهذا الشكل تم فضح وإدانة الهرطقة الأساسية التي ربطها اللاويون والفريسيون بالشريعة «أحب قريبك مثلما تحب نفسك» هذه الكلمات تحتويها كتب اللاويين، إلا أن الأساس أصبح محدداً، إن كلمة «قريبك» يعترفون بأنها واحد فقط هو أخوك اليهودي.

أعاد السيد المسيح الكلمات الأولى المنسية عن الحب للقريب، بغض النظر عن جنسه وعقيدته، وهذا بالتحديد ما كان في جوهر كلماته «**لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ**».
متى ٥=١٧ .

ولكي لا يكون هناك أي شك فيما أضاف «**سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ، تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ**».
متى ٥=٤٣ .

والاعتراض الشكلي على هذا القول، أن الوصية الخاصة «ابغض عدوك» لا يحتويها العهد القديم، غير أن مغزى كلمات يسوع المسيح واضحة تماماً: فالعهد القديم يحتوي على عدد من الكلمات: اقتل، أبِدْ الجيران، ولا تعترف بهم «أقارب لك» كما أن وجود اليهود كان غير ممكن دون شعور العداء والكراهية تجاه الآخرين.

كانت تعاليم السيد المسيح دعوة صريحة لتأويلات الفريسيين للشريعة، وهذا ما عزز اكثر من هذه الدعوة، وامتنع من أن يؤدّي دور المحرر الوطني والمحارب الذي تحدثت عنه تنبؤاتهم، وما انتظره الكثيرون من «مسيا»، هو أداء دور إيجابي، ومن المرجح أنه وجد له أتباع كثر، ومن الممكن تأييد الفريسيين لاحقاً، ومع ذلك لم يكن يُسْمعَ في أجوبته كلمات الرفض فقط بل اللوم أيضاً: «**مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ... لِأَنْ هَا مَلَكُوتُ الله دَاخِلَكُمْ... لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ.. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ..**» متى ٦=١٩ـ٢٠ . إن ما عبر عنه بهذه الكلمات البسيطة، الهادئة هي دعوة مباشرة لأولئك الناس المتسلطين

في ذاك المكان والزمان، وضربة لأساس العقيدة التي أقامتها طائفتهم عبر مئات السنين، حيث استطاع بموعظة الجبل العظيمة، وبكلمات موجزة من دحض ما تعلموه في مئات الصفحات من العهد القديم، فقد واجهت الموعظة، **الحب بالبغض، والتسامح بالثأر، والرحمة بالحقد، وعدم النزاع مع الجار بل الإحسان إليه، والعدالة بالعنصرية، وتأكيداً واثباتاً للحياة بعد الموت.**

وكما هي «اللعنات الإلهية» في سفر التثنية فقد بدأت موعظة الجبل بالطوبات، ولكن هل انتهت المقارنة هنا. فقد وعد سفر التثنية: بالخيرات المادية على شكل أراضٍ جديدة والحصول على الغنائم وسحق الأعداء كجزء من الالتزام الصارم بآلاف القوانين والوصايا التي تعد غير صحيحة إلى حد بعيد.

أما موعظة الجبل فلم تعد بأي مكافأة مادية، ولكنها علّمت ببساطة أن السعي للعيش الحقيقي يكون بالسلوك الأخلاقي، والتواضع، والرحمة، والطهارة والسلام. بهذه الكلمات المباركة تكون المكافأة روحية، بينما في سفر التثنية فالكلمات المباركة تعقبها الكلمات الملعونة، ولا يوجد في موعظة الجبل أي خطر يهدد الإنسان، ولم تطالب بمعاقبة المخالف «الرجم بالحجر حتى الموت» أو «التعليق على الشجرة» أو «يكفر عن ذنوبه مادياً وليس روحياً بغسل يديه بدم العجل» بل رأت أن السيِّئ هو من يدرك الخطيئة ويرتكبها وعدّت أنه «يكون الأصغر في ملكوت السماوات» والمكافأة الكبرى للإنسان النقي البار هي أن «يسمى الأكبر في ملكوت السماوات».

لم يعلّم الشاب الجليلي في أي مكان الذل والخنوع نهائياً، بل كان متواضعاً بالروح في داخله، لذلك عبّر عن سخطه بصورة ثابتة ودائمة: في هجومه على الفريسيين. فكلمة «الفريسيين» تعني «عدم مجاورة الناس والأشياء غير النظيفة»، ووفقاً لما جاء في الموسوعة اليهودية «يختلف السيد المسيح عن الفريسيين «فقط» في علاقاته مع غير الأنقياء والملوثين» ما قيل جيد ـ«فقط»! إن هذه تحديداً «فقط» احتوت على فجوة كبيرة بين مفاهيم إله القبيلة والإله الواحد للعالم أجمع، ، بين تعاليم البغض والكراهية وتعاليم الحب والمحبة، فالدعوة كانت جلية، وقد اتخذ الفريسيون القرار بأسرع ما يمكن، في نصب الشرك

للسيد المسيح وفقاً للنظام القديم، المكتوب منذ سنوات عديدة مضت من قبل ارميا «إن جميع القاطنين معي في هذا العالم، يحرسونني، ولن أتعثر أنا: ويقولون من المحتمل أن يقع ونحن سننصره ونثأر له».

وتبع الفريسيون تلاميذ السيد المسيح وسألوهم «**لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟** » متى ٩=١١ (وكانت هذه الأعمال مخالفة للشريعة وتقتضي العقاب ــ من وجهة نظر الفريسيين) غير أن السيد المسيح انتصر في النقاش معهم وتحاشى المصيدة وأجاب بسرعة، وبكل هدوء قال: «**لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى.. لِأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ**». متى ٩=١٢ــ١٣ . وعندما تابعوا السير وراءه شاهد الفريسيون، بأن تلاميذه يقطفون سنبلة قمح ويأكلونها في يوم السبت (إنها مخالفة جديدة لشريعتهم): «**هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَالاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ**». متى ١٢=٢ .

لقد تعلقت أسئلتهم بالطقوس فقط، وليس بالإيمان أو الوصايا: «**لِمَاذَا تَجَاوَزَ تَلاَمِيذُكَ تَقْلِيدَ الشُّيُوخِ. فَإِنَّهُمْ لاَ يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزاً**» فأجابهم «**يَامُرَاؤُونَ! حَسَناً تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً، وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ**» متى ١٥=٧ــ٨ــ٩ . أصاب السيد المسيح كبد الإجابة كمن يصيب قلب الهدف.

فالشريعة، لم تكن شريعة الله سبحانه وتعالى، بل شريعة اللاويين والفريسيين، وبعبارة أخرى «وصايا الناس» وبعد هذا كله، لم يعد بالإمكان الحديث عن أي جدل، فالسيد المسيح حوّل نظره عن الفريسيين، ثم دعا الجمع وقال لهم «**اسْمَعُوا وَافْهَمُوا. لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ**». متى ١٥=١٠ــ١١ . بهذه الكلمات فضح إحدى التفاهات التي يتمسك بها رجال الدين اليهودي بغيرة شديدة، هذه الصلاحيات المتعلقة بغيرة المدافعين عن صلاحياتهم المقدسة، وكيفية تهيئة واستخدام القوت الذي تصاحبه طقوس كاملة عند ذبح الشاة، وخروج الدم، وعدم صلاحية تلك التي تموت خنقاً» .. الخ، وكل هذا كان بلا شك «**وصايا**

بشرية» رغم أن موسى كان قد أوصى بالإلتزام الصارم بطعام الحمية وبالطقوس التي كانت تجري بمراقبة الفريسيين الذين أعطوها أهمية بدرجة بالغة. لنذكر أنه «**للتكفير عن مخالفة الشريعة التي كان يرتكبها البشر**» أمر حزقيال أن يأكل الخبز المشوي على البراز البشري، وفي معرض تسويغه أشار إلى تنفيذ هذا الأمر المتعلق «**بالحمية الطقوسية المشار إليها**» بلا قيد أو شرط وحينها تم التخفيف من حدة هذا الأمر، وحتى تلاميذ السيد المسيح بقدر ما كانوا متمسكين بطقوس «المائدة التقليدية» لم يستطيعوا فهم العبارة غير المنتظرة، حيث فاجأهم قول السيد المسيح «**ما يخرج من الفم يمكن أن ينجس الإنسان، وليس ما يدخل**»، فطلبوا توضيحاً لذلك، فأضاف: «**أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟** ». متى ١٥=١٢ . إذاً فقد كانت إجابة السيد المسيح لتلاميذه حقيقة بسيطة، أما للفريسيين فقد كانت هرطقة لم يسمعوا بها. «**هَلْ أَنْتُمْ أَيْضاً حَتَّى الآنَ غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ . أَلا تَفْهَمُونَ بَعْدُ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يَمْضِي إِلَى الْجَوْفِ وَيَنْدَفِعُ إِلَى الْمَخْرَجِ، .. وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنَ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَاكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنىً، فِسْقٌ، سَرِقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ.. هذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. وَأَمَّا الأَكْلُ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلاَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ**». متى ١٥=١٦ـ١٧ـ١٨ـ١٩ـ٢٠ .

وقد عُدّتْ هذه الكلمات من جديد مخالفة صريحة للشريعة، وبدأ الفريسيون يحضرون لضربة قاضية، فجهزوا أسئلة خبيثة «**حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ**». متى ٢٢=، ١٥ وقد تم وضع سؤالين أساسيين: «**أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لا؟** ». متى ٢٢=، ١٧ و«**من هو قريبي؟** ». فإذا كان جوابه على السؤال الأول سلباً، فيمكن أن يتعرض لعقوبة بحسب قانون الحكام الرومان، أما إذا كانت الإجابة غير صادقة عن السؤال الثاني، فذلك يسمح للفريسيين باتّهامه أمام سلطة روما لمخالفته شريعتهم الخاصة، وجزاء ذلك فهو يستحق العقوبة.

لقد كان مثل هذا الأسلوب قد ورد في سفر ارميا، ومازال هذا معمولاً به في القرن العشرين، فمن كان لديه رغبة باتخاذ قرار بالمشاركة بأي نقاش علني،

فعليه أن يعلم جيداً، كيف يمكنه التحضير مسبقاً لهذا النقاش، فالأسئلة الخبيثة التي تتسم بالمكر والدهاء من الصعب الإجابة عليها مباشرة أحياناً، وفي المقابل توجد أساليب متعددة للتهرب من الأحابيل: فالخطيب المجرب، يستطيع على سبيل المثال الامتناع عن الإجابة بشكل عام، أو الإجابة عن السؤال بصورة مغايرة، وأحياناً أخرى من الصعب جداً، التهرب من إعطاء جواب كامل ومباشر، دون أن نحيد عن مبادئنا، وفي الوقت نفسه التهرب من الشرك، وألّا تضع نفسك هدفاً للضربات الموجعة، وهذه الأساليب تتطلب نوعية عالية المستوى من: الإدراك السريع ورباطة الجأش والفكر النير. وإن أجوبة السيد المسيح عن كلا السؤالين تعدّ الأنموذج الحي لذلك الكمال البديع، هذا الكمال الذي يمكن أن يحلم به أي إنسان بسيط من سواد الشعب .

«**فَقُلْ لَنَا مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟** » متى ٢٢= ١٧ـ ١٨ جاء (**دوّى السؤال بأمانة مزيفة ولهجة ودية**) لكن السيد المسيح فطن لخبثهم، وَقَالَ «**لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ .. أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ.. وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا**». متى ٢٢=٢١ ـ٢٢

وفي الحالة الثانية «سأله واحد منهم، وهو نَامُوسِيٌ، لِيُجَرِّبَهُ: «**يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟** ». لوقا ١٠=٢٥ ألقى السيد المسيح من جديد بأعباء شريعة اللاويين وأجاب، محدداً حقيقتين وهما «**تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قدرَتِك، وَمِنْ كُلِّ فكرِكَ، تُحِبّ قَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ**». لوقا، ١٠= ٢٧

وهنا أعقبتها مصيدة خبيثة «**وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟** ».

ترى من هو البسيط من عامة الناس الذي كان بـإمكانه أن يجيب عن هذه الأسئلة مثلما أجاب يسوع المسيح؟ بطبيعة الحال يمكن أن نعثر على بعض الأشخاص ممن يمكنهم الإفصاح عن آرائهم وقد أدركوا حجم المخاطرة وأنهم بذلك يجازفون بحياتهم: وهؤلاء الأشخاص مستعدون للتضحية والاستشهاد، وهذا ليس بالقليل، لكن السيد المسيح عمل أكثر من ذلك فقد ظهر كمبارز خبير، يجرد الخصم من سلاحه، مسقطاً السيف من يده، وقد استفزوه لكي

يعلن صراحة أن «الوثنيين» أيضاً يعدّون من «المقربين»، لكي يلقوا عليه التهمة بمخالفة الشريعة. وفي الحقيقة أجاب السيد المسيح، غير أن كلماته جاءت إهانة للسائلين، وقليلاً ما حصل أَنْ صَبَرَ معلمو الشريعة على الإهانة مع العلم بأن معلمي اللاويين والفريسيين أقروا بأن «القريب» هو اليهودي فقط، وكان السامريون من بين جميع الوثنيين المنبوذين، يعدّون أكثر شناعة، كما أن لَمْسَ السامري كانت بمنزلة نجاسة، لكونه من ألد الأعداء لليهود «ومخالفي الشريعة»، وهكذا يعدّونهم حتى اليوم. (وهل هذا الأمر معروف من قبل غير اليهود؟) لقد كان هدف الأسئلة هي استفزاز السيد المسيح، وكان بـإمكان الإجابات التي أجاب بها عن أسئلتهم أن تعرضه للعقوبات الصارمة. ففي معرض رده على أحد الأسئلة المتعلقة بالسامريين انتقى إجابة من حكاية ذات مغزى أظهر السيد المسيح بذلك جرأة حقيقية تفوق القدرة البشرية، وعبقرية فذة وحدثهم بالتالي «**إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِناً نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضاً، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَامِرِيّاً مُسَافِراً جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ. فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتاً وَخَمْراً، فَأَيُّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيباً لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟**». لوقا ١٠=٣٠ حتى ٣٦

إن المشرّع الفريسي المحرج والمحصور في الزاوية لم يتجاسر أن ينطق الاسم القذر «سامرائي» (حسب المفهوم اليهودي للسامريين) لكنه أجاب «**الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ**» ويبدو أنه أدرك بعد ذلك فقط بـإجابته هذه أنه قد انضم بنفسه إلى إدانة أولئك، الذين عمل باسمهم: الفريسيين واللاويين حينئذ قال له يسوع «**اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضاً وَاصْنَعْ هكَذَا**» لوقا١٠=٣٧ فبهذه الكلمات القليلة لم يلمّح السيد المسيح مباشرة إلى أحد، بل ترك السائلين أنفسهم يدينون الهرطقة العنصرية، التي على أساسها بُنيت شريعة الفريسيين.

كما أن أحد المعتدلين من النقاد اليهود في النقد المقارن ويدعى مونتيفيور، اشتكى مما قيل «أحبوا أعداءكم»، مع أن السيد المسيح أجرى استثناء، فلم يقل كلمة طيبة واحدة عن الفريسيين أنفسهم، وعن هذا يمكن الجدال، وقد عرف

السيد المسيح أنه إذا ما قام هو أو غيره بفضح الفريسيين، فسيكون مصيره القتل، بكل تأكيد، ومع ذلك فقد أشار إلى الفريسيين والكتبة كطوائف رئيسية مذنبة حرّفت الشريعة، ونعتهم بكلمات لا نظير لها في الأدب العالمي حيث قال «**وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ، وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ، وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِداً، وَمَتَى حَصَلَ، تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً، وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ وَالْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ، وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ اخْتِطَافاً وَدَعَارَةً! . .. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُوراً مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ، وَكُلَّ نَجَاسَةٍ... لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ! فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ، فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي!، كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟** ». متى ٢٣=١٣– حتى ٣٣ .

إذا كان بعض النقاد يعدّون الكلمات الثلاث الأخيرة «**أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي**» قاسية للغاية جداً، فدعهم يقرؤونها مقترنة بالجمل الثلاث الأخيرة من انجيل متى «**لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ!** ». مَتّى: ٢٣=٣٤–٣٥–٣٦ . كي يتضح لهم شعور السيد المسيح عن اقتراب نهايته، لقد كان جاهزاً ليضحي بحياته، وتوجه هنا إلى الذين تآلبوا عليه لإعلان صلبه، وهنا لا يمكن لأي كلمات أن تكون صارمة

للغاية، لكن أليس لوماً مميتاً: «**أكمل تدابير أبيك**» وبعدها أضاف الكلمات التالية «**يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ**» لوقا ٢٣=٣٤ .

ونحن نرى كيف اقتربت النهاية: رؤساء الكهنة، والكتبة والشيوخ أعضاء مجلس «السنهدرين»[1] يجتمعون برئاسة قيافا رئيس الكهنة، لكي يتخذوا تدابير ضد الذي يتحدى سلطتهم وشريعتهم، و«يهوذا الأسخربوطي» كان اليهودي الوحيد وسط تلاميذه الجليليين «**جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ**» متى ٢٦=، ٤٧ ويمضي يهوذا الأسخربوطي بالجمع إلى جبل الزيتون وبقبلة الموت يُسلّم يسوع المسيح، وهذا يهوذا الاسخربوطي استدعى لفت انتباهنا، إذ ظهرت خيانته مرتين في القرن العشرين: في المرة الأولى كانت في روسيا البلشفية (بما يسمى «الكنيسة الحية» ــ المترجمون الروس) وبعدها في ألمانيا بعد هزيمة هتلر، وفحوى هاتين الحادثتين

---

(١) ــ السنهدرين: المجمع أو المجلس الكهنوتي الأعلى: إن الهيئة المسماة اليوم المجلس الكهنوتي لم تكن موجودة قبل عهد المنفى، إذ ان المصادر السابقة له لا تذكر شيئاً عن وجود هذا المجلس، أما المصادر التي ظهرت بعده فتختلف على تحديد الزمن الذي ظهر فيه، فبينما يقول التلمود بقدمه وانحداره من المجمع السبعيني الذي كان أعضاؤه يجتمعون بموسى في خباء المحضر لتلقي الكلمة (والتلمود يعتمد هذا الزعم بناء على ما ورد في الفصل ١١ و١٦ من سفر العدد. أما فلافيوس جوزيف فيذكر أن الشؤون اليهودية في الماضي كانت تديرها لجنة الجيروسيا «geroussia» أي لجنة النبلاء، أما افتراض وجوده من عهد موسى فلا يعقل القبول به، فلو كان موجوداً في عهد القضاة لما احتاج اليهود لانتقاء من يتولى شؤونهم من بين افراد أحط طبقة من شعبهم. ولقد تصدى المؤرخ غينيوبير لمزاعم التلمود في هذا الموضوع وقال ان ما جاء في التلمود عن قدم هذا المجلس هواختلاق محض، وما هو في الحقيقة إلا مجلس الجيروسيا الذي بحث عنه فلافيوس وقال إنه تشكل في عهد اليونان، ويبدو أن اليهود بدّلوا اسمه في عهد الرومان، وصار يدعى السنهدرين الذي اشتهر حينذاك بالاشراف على شؤون اليهود العامة. ولقد أجمع النقاد على ان عضوية هذا المجلس كانت في البداية وقفاً على النبلاء ورجال الدين، أي على من عرفوا باصالة العرق، وكان يرأسه الكاهن الأكبر أو الناسي، وينقسم إلى ثلاث لجان وهي اللجنة التنفيذية، والتشريعية، ولجنة الحكماء المكونة من صغار الكهنة والكتبة، وتقول بعض المصادر اليهودية: إن هذا المجلس يضم بين أعضائه بعض المثقفين والزعماء والسياسيين ويشمل نفوذه كافة اليهود في العالم، ويعدّ بمنزلة حكومتهم ومجلسهم النيابي معاً، وتعليماته واجبة التنفيذ على كل يهودي دون استثناء. (نقلاً عن كتاب «المفسدون في الأرض، جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ». س. ناجي الطبعة الثانية /١٩٧٥ . ص /١١٧ ــ١١٨ــ١١٩). المترجم ــ غ.ك.

واضحة إذ تكمن في: أن هذه الطائفة كانت في بداية التاريخ الميلادي في أورشليم أقوى من روما، وتقف اليوم في الغرب في المراتب العليا للسلطة.

ووفقاً للإنجيل حسب البشير متى، فإن يهوذا خنق نفسه فيما بعد، فالخيانة لم تجلب له السعادة، فاختار الموت «خائن الرب» وقد تعاطف المؤرخون الصهاينة من مدرسة أوغسطين بوضوح مع يهوذا، وأشفقوا عليه، وحسب رأي أوغسطين فإن يهوذا كان إنساناً بسيطاً خاب أمله في يسوع المسيح وبذلك «خرق السر» وهذه الصيغة في تسويغ موقف يهوذا، لا نجدها إلا في الأدبيات الصهيونية.

قدَّم زعماء السنهدرين الفريسيون السيد المسيح إلى ما نسميه اليوم نحن «بالمحكمة اليهودية» رغم أن الاصطلاح الصحيح المعاصر يمكن أن يكون «بمحكمة الشعب» حسب المفهوم اليهودي. فالسيد المسيح تم تسليمه بوشاية، وأمسكت به الجموع واعتقلته، واتهم من قبل المحكمة (رؤساء الكهنة والشيوخ وأعضاء مجمع السنهدرين الذين ليس لهم أي سلطة شرعية)، وحكم عليه بالموت صلباً، بعد أن أيَّد شاهدو الزور ما نسبوه إليه بتعمد ادعاء الكذب. حينئذ قاد «الشيوخ» سير الأحداث مثلما يفعل في وقتنا الحالي مختلف «المستشارين» في الحكومات غير اليهودية، واستطاع «الشيوخ» اتهام السيد المسيح بجريمة كان عقابها الموت صلباً، ليس فقط وفقاً لشريعتهم، بل حسب قانون حاكم روما. وحسب شريعتهم كان السيد المسيح مذنباً خارجاً عن الدين يُجدِّف على الله سبحانه وتعالى، فقد أعلن أنه مسيا (إن السيد المسيح لم يعلن عن نفسه ذلك، بل بشرت به الملائكة، وقيل عنه الكثير قبل ولادته المباركة؟ ، وعندما أرسل اليهود من أورشليم كهنة اللاويين ليسألوا يوحنا المرسل من الله سبحانه وتعالى «من أنت»)، فَسَأَلُوهُ **«فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، ولاَ النَّبِيَّ؟ »** إنجيل يوحنا ١=٢٥ .

أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ» يوحنا ١=٢٦ـ٢٧ وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه، فنظر إلى السيد المسيح ماشياً فقال: «**هو ذا حمل الله**» (وهناك شواهد حية كثيرة، تؤكد بأن السيد المسيح لم يكن هو من أعلن أنه

«مسيا» المخلص ــ المترجم. غ. ك) وحسب قانون روما، فقد أقدم على الخيانة، عندما سمّى نفسه ملك اليهود **«وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِه. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!** «متى ٢٧=٢٩ **«فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ الْوَالِي»**. متى: ٢٧=٢ .

فوقف يسوع أمام الوالي، فسأله الوالي «أنت ملك اليهود؟ » فقال له يسوع: «**أنت تقول**»، (إذاً هنا تأكيد آخر على أن السيد المسيح لم يَدَّعِ بأنه ملك اليهود. المترجم ــ غ.ك). حاول الحاكم الروماني بيلاطس بجميع السبل وكل الطرق التملص من تنفيذ مطالب «الشيوخ» الذين أصرّوا على تنفيذ حكم الموت بيسوع المسيح «اصلبه»، وموقف بيلاطس هذا طراز شبيه بما هو عليه حال السياسيين البريطانيين والأمريكيين الحاليين، لقد خاف بيلاطس من قدرة الطوائف اليهودية أكثر من غيرهم، وكما يفعل السياسيون المعاصرون أحياناً، حيث يضعون المسؤولية على غيرهم، مثلما فعل بيلاطس عندما أرسل السيد المسيح إلى هيرودس انتيبا حاكم الجليل، ولكن هيرودس رده إلى بيلاطس، وبعد ذلك حاول بيلاطس تخفيف العقوبة واستبدالها: الضرب بالسوط بدلاً من الموت صلباً، لكن الفريسيين طلبوا منه الحكم عليه بالموت صلباً، وخاف بيلاطس من هول الوشاية عليه عندما بدأ اليهود يصرخون «**إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبّاً لِقَيْصَرَ**». يوحنا ١٩=١٢ .

إن خطر الوشاية، جعل بيلاطس يخضع لهم، كما حدث هذا في القرن العشرين من قبل المحافظين البريطانيين وممثلي منظمة الأمم المتحدة واحداً تلو الأخر، عندما خضعوا بدورهم أمام خطر الوشاية عليهم في لندن ونيويورك وذلك عندما سلّموا فلسطين واصدروا قرارهم الشهير بالتقسيم، وكان بيلاطس مثل هؤلاء السياسيين المعاصرين في القرن العشرين، حيث شعر بأنه إن لم ينفّذ مطالب الطوائف اليهودية، فسيعرّض نفسه لعدم الرضى والعطف من قبل حكومته واحتمال إقصائه من منصبه، فالتشابه كبير ما بين بيلاطس والمحافظين البريطانيين في فلسطين خلال الفترة الواقعة مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

من الواضح أن أحدهم كان يعرف ذلك، وعندما هتف في أحد الأيام إلى

نيويورك للتحدث مع أحد الحاخامات الصهاينة أصحاب النفوذ طلب من عاملة المقسم متهكماً إبلاغ قيافا رئيس الكهنة أن بونتي بيلاطس بانتظاره على الهاتف.

حاول بيلاطس الروماني مرة أخرى أن يضع الأمر في يد غيره، **فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ»** يوحنا ١٨=، ٣١ إلا أن الفريسيين ذوي التجربة والخبرة في المرافعات القضائية وجدوا بسهولة الجواب **«لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَداً»** يوحنا ١٨=٣١ .

وفي المرة الأخيرة حاول بيلاطس إنقاذه، فعرض على الجموع أن يطلق لهم واحداً من اثنين: إما يسوع المسيح، وإما المجرم والقاتل باراباس، ولم يكن يبدو لدى بيلاطس أمل كبير في تحقيق أي نجاح يذكر، مادام لم يعد هناك أي فرق كبير بين الشعب والجموع أو سواد الناس، وأصبح صعباً عليه أن ينتظر منهم رحمة وعدالة، فالجماهير تنفذ دائماً إرادة الأقلية القوية اليهودية، لذلك ليس مستغرباً «أن يحرص رؤساء الكهنة والشيوخ والجموع على أن يطلبوا إطلاق سراح باراباس ويُهْلكوا يسوع» ولتاريخه فإن هذه الطائفة تمتلك قوة «إقناع» الجماهير ببراعة في أي شيء تراه يخدم مصلحتها.

وبقدر ما يمضي الوقت، تصبح ألوان هذه الحادثة التراجيدية الأخيرة اكثر نصوعاً ولمعاناً. عصا ذات لون أرجواني كأنها بمنزلة صولجان وإكليل شوك تعظيماً تهكمياً: إن العقول الفريسية هي فقط من يمكنها أن تبتكر كل هذا الهراء الذي يستخدم في وقتنا الحاضر لتأكيد عظمة الانتصار وإهانة المهزومين. في الطريق الحزينة إلى «الجلجثة»(١) والصلب المشين المهين بين اثنين من السارقين. في هذا اليوم امتثلت روما لمطالب الفريسيين كما امتثل الفرس من قبلها لمطالب اللاويين منذ خمسمئة عام مضت.

والآن بعد أن صلبوا السيد المسيح، والذي سموه بأنفسهم مسيا، علّم الفريسيون اليهود انتظار مجيء مسيا وبعبارة أخرى، وحسب اعتقاد الفريسيين إن مسيا يجب أن يأتي، وأن يظهرَ ملَك من قبيلة داوود، يدعو لمملكة عالمية. **وإلى اليوم مازالوا ينتظرونه.**

---

(١) ـ الجلجثة: مكان يقال له الجلجلة أو الجلجثة «موقع الجمجمة» حيث تم صلب السيد المسيح وهو مكان مرتفع. المترجم ـ غ.ك.

ويوجد لدى اوغسطين في مؤلفه «تاريخ اليهود» فصل كامل عن حياة السيد المسيح، يشرح فيه، بأن السيد المسيح لم يكن موفقاً ويكتب بازدراء: لأنه من الطبيعي للغاية أنّ «**حياته وموته ــ من صنعنا**».

النور والظلمة

في سنة ٧٠ للميلاد، وقبل خراب «أورشليم» على يد الحاكم الروماني[١] هجرتها مجموعتان من البشر: تلاميذ السيد المسيح والفريسيون، المجموعة الأولى نقلت للبشرية بشارة جديدة هي الديانة المسيحية، وتنبأت المجموعة الثانية بما يتهدد «أورشليم» بسبب الذنوب التي اقترفوها وبحثوا لهم عن مقر جديد، حتى يتم منه توجيه اليهود، أينما ألقى بهم مصيرهم (مثلما فعل اللاويون في بابل).

وتبين بأن هاتين المجموعتين الصغيرتين الجوالتين كانتا مبشرتين بالنور والظلمة، مثل الإنسان وظله، وكان الرأي هو التنقل خلال مئات السنين عبر التاريخ والتحرك طول الوقت من الشرق إلى الغرب، حيث أدى خراب «أورشليم» منذ تسعة عشر قرناً إلى الأزمة الحالية في الغرب، وجلبت المجموعتان لعالمنا أفكاراً، تلك التي كان من غير الممكن، التوفيق بينها وكان يجب انتصار واحدة منها على الأخرى إن عاجلاً أم آجلاً والآن، كما هو واضح أمام جيلنا، فإن الأفكار الهدامة تحاول بكل قوتها تحقيق الانتصار.

وفي حقيقة الأمر، إن الصراع بين هاتين الفكرتين، مستقل عن حامليهما، وأوضح هذا الصراع المحتوى الرئيسي لتاريخ مئات السنين السالفة عندما أخذت الأوساط الحاكمة بشريعة اللاويين والفريسيين إذ استعبد الإنسان أخاه الإنسان واتبعوا هرطقة التعذيب القاسي (دواوين التفتيش في أوروبا) وحكموا على «المرتدين» أو أعداء الشعب بالموت، وأعلنوا عن شعارات بدائية لسيطرة عنصرية،

---

(١) في عام ٧٠ للميلاد قامت انتفاضة في أورشليم ضد السلطة الرومانية فجاءها القائد الروماني تيطس بجيش قوي وخرّب أورشليم ودمرها وقضى على اخر سلطة يهودية في التاريخ. ـ المترجم غ.ك.

وبذلك أصبح القرن العشرون أسوأ فترة لانحطاط البشرية، وعلى النقيض من ذلك، حين حصل البشر والشعوب على الحرية ونشرت العدالة عبر التاريخ تم التأكيد على حقوق الإنسان في محاكم مفتوحة وقانونية، ورفضوا التمييز العنصري، وتم الاعتراف بأن الله سبحانه وتعالى إله لجميع البشر، واتبعت البشرية تعاليم ذلك الذي جاء من أجل تطبيق الشريعة.

وبعد أن استولى الرومان على أورشليم سكّوا ميدالية «Judaea devicta Judaea capta»[1] غير أن احتفالهم كان سابقاً لأوانه، إذ كان بالإمكان تهديم أورشليم وأن يهجّر اليهود منها، ولكن الطائفة الحاكمة ظلت حرة وقادرة على تحقيق النصر السريع. إن المنافسة بين الغزاة كانت تحتدم دائماً حول الهيكل، أما هي فقد أتيح لها الاستقرار في «المركز» الجديد، وتم الانتقال إلى هذا «المركز» قبل خراب المدينة، حيث تمتع الفريسيون بسلطة مطلقة في قلعتهم الجديدة، مثلما كان اللاويون في ما مضى في بابل، لكنهم تعقبوا أثر عدوهم اللدود الجديد في العالم الخارجي، كان هذا العدو «الناس» المؤمنين بيسوع المسيح، وسموا أنفسهم المسيحيين، إنهم لم يردوا على عدائية الفريسيين، مادام أساس عقيدتهم كان «أحبوا أعداءكم» وعقيدة شريعة الفريسيين كانت «ابغضوا أعداءكم» وهذه إحدى التناقضات التي عدّت بمنزلة إهانة لا تطاق ودعوة للشيوخ في ملجئهم.

وأصبح واضحاً للشيوخ، منذ البداية، أنه من أجل انتصار شريعتهم كان يجب القضاء على هذا الدين الجديد، ولم تمنعهم الاعتراضات التي صدرت في أوساطهم من تحقيق ذلك (التي كثيراً ما سمعت سابقاً ولاحقاً) حينما أراد رؤساء الكهنة وأعضاء مجلس السنهدرين التعرض للرسولين بطرس ويوحنا وتعذيبهما بالسوط بسبب مواعظهما في المعبد، فقال لهم عمانوئيل «**تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ، لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضاً**». سفر أعمال الرسل ٥= ٣٨ ـ ٣٩ غير أن أغلبية الفريسيين رأوا بوضوح، أن شريعتهم تسمح لهم «بالقضاء» على أي شيء، وهم لهذا الأمر

---

(١) ـ بمعنى: تم الاستيلاء على اليهودية وقهرها. وكانت اليهودية عبارة عن منطقة جغرافية صغيرة محدودة داخل الأراضي الفلسطينية ولا تعنى الديانة اليهودية. المترجم ـ غ.ك.

أقوياء، لدرجة كافية، وحتى إذا ما احتاج الأمر إلى خلق صراع لمدة مئات السنين.

لا تشغل البال باليهود السالمين، فقد ارتحل الفريسيون إلى مركز جديد إلى مدينة يبنّه (يمنا)[1] وحملوا معهم أسرارهم الظلامية لغرض السيطرة على البشر، غير أن العالم الجديد هذا يختلف كلياً عن السابق فقد كانت عقيدة قبيلتهم سابقاً واحدة من ضمن العقائد الكثيرة، وعادة الثأر كانت سائدة وسط جميع الناس والقبائل، ورغم أن جيرانهم «الوثنيين» كانوا منزعجين من الشراهة غير العادية وحب الانتقام لدى العقيدة اليهودية، إلا أنهم كانوا أفضل بكثير منهم، غير أنه منذ هذه اللحظة اصطدمت الطائفة الحاكمة بعقيدة جديدة، مبادئها مثل الأبيض قياساً إلى الأسود، تتناقض مع مبادئ شريعتهم وتنافسهم في كل شيء، على الأقل فهي أفكار جديدة إلى العالم بطبيعتها ومكان ولادتها، وقد كانت هذه الديانة الجديدة مبعث لوم وعبءٍ أبديٍّ على عواتقِهم. تأهب الفريسيون المتربصون داخل قلعتهم للصراع مع القوة الجديدة، بحيث أصبحت مهمتهم أصعب من مهمة اللاويين في بابل، فالهيكل مهدم، وأورشليم خالية، والقبائل اليهودية كانت قد تهشمت منذ زمن بعيد، والآن توارى الجنس اليهودي عن الأنظار، وبقي فقط ما يسمى «الأمة اليهودية» المكونة من خليط غير متجانس لأناس ذوي أصول مختلفة لا تجمعهم قرابة الدم، ومشتتين في جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك، فكان لابد من توحيد جميع هؤلاء البشر تحت سلطة موحدة ذات أفكار قبلية، والوعد بعودة «الشعب المختار» «إلى أرض الميعاد» لكي تحافظ هذه «الأمة» في الشتات على إيمانها بمهمتها التخريبية وسط جميع الشعوب التي تعيش بين ظهرانيها الطوائف اليهودية.

كان من المفروض ألا يحدث تغيير أو إضافة إلى الشريعة التي بدت معروفة للعالم بأسره، وقد أشار السيد المسيح إلى تحريف الكتبة، وعدّ تحريفهم

(١) ـ يبنّه أو يمنا لدى المؤرخ يوسفوس أو يبئين كما وردت في سفر يشوع ابن نون، كانت مقراً لمدرسة شهيرة وللمجلس السنهدرين، وهي يبنه الحالية الواقعة على بعد /١٨/ كم جنوب يافا لمسيرة /٤،٣٠/ ساعة، و/٦/ كم شرق شاطئ البحر الأبيض المتوسط على طريق غزة أي لمسيرة /١،٣٠/ ساعة، وفيها قبر غمالائيل رئيس السنهدرين في القرن الأول للميلاد. المترجم ـ غ.ك.

«وصايا بشرية»... ورغم أنهم صلبوه، لكنهم لم يستطيعوا تفنيدَ أقواله، والدليل القوي على ذلك هو تنامي عدد المسيحيين، ولم يكن بـإمكانهم القضاء على تعاليمه، كما أن إدانة السيد المسيح لشريعتهم حافظت على قوتها إلى حد كبير، مما جعل الفريسيين يفقدون الثقة بتحديد من هو عدوهم، ليعلنوا بوضوح أنه «مخالف للشريعة» .

وكان يجب على اليهود أن يحرّفُوا الشريعة لتنسجم مع رؤيتهم التوراتية وتتلاءم مع مجرى الأحداث، بغاية إعطاء برهان «للشعب المختار» وكأن كل ما يجري إنما هو غير طبيعي، ولم يكن واضحاً للوهلة الأولى، أن هذا التحريف هو تنفيذ لوعودِ يهوه. وأشار الفريسيون مجدداً في مدينة يبنّه (يمنا) زاعمين معرفتهم بأحد الأسرار الإلهية الشفهية، وبدؤوا من جديد بـإجراء تعديلات على «الشريعة والكتب» لإلحاقهم بالعدو الجديد ــ المسيحية. هذه هي جذور التلمود، في جوهره عبارة عن إضافة للتوراة ضد المسيحية[1]، ومنذ مئات السنين تحول التلمود إلى «سياج حول الشريعة» وإلى جدار ظاهري يحيط بالداخلي ــ أي اليهود ــ، وأهمية ــ أي التلمود ــ تكمن، في فترة ظهوره: هو أن اليهود لم يكونوا بمنزلة «شعب»، فقد تشتتوا وسط شعوب متعددة، أما الديانة الجديدة، تنامت وعلمت أن الرب ــ إله الجميع وليس فقط إله ونصير قبيلة واحدة.

والآن، إذا ما عدنا إلى الماضي نجد بأن المهمة التي أخذها على عاتقهم الفريسيون ليست صعبة، مادام التمني بالاندماج في مجرى الحياة الروحية للبشرية ـ لم يكن متأصلاً عند اليهود في الشتات لذلك فقد أكدت الأحداث،

(١) ــ «لم يكتف اليهود بما جاء في التوراة من تعاليم خبيثة تبيح الغدر والقتل وسفك الدماء فبعض حكمائهم وحاخاماتهم يفسّرون التوراة حسب اهوائهم وميولهم وأطماعهم الشريرة واستعلائهم عل بقية الشعوب وقد جمع الحاخام يوخاس هذه التفسيرات في كتاب سماه / المشنا/ حوالي سنة /١٥٠/م، والمشنا معناها الشريعة المكرّرة، وفي القرون التالية أضاف اليهود على المشنا الأصلي شروحات وتفسيرات عديدة سميت (جامارة)، ويشكل كتاب المشنا مع تفسيرات وشروحات الجامارة ما يسمى التلمود ومعناه (تعليم ديانة اليهود وآدابهم). وقد ورد في التلمود ما يلي «أن يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعبد الأوثان وكل مسيحي لم يتهود فهو وثني عدو الله واليهود، وتستمر الحروب بين اليهود وباقي الشعوب إلى أن ياتي المسيح الحقيقي المنتظر ويحقق النصر لليهود على أعدائهم من الشعوب والأديان الأخرى». المترجم ــ غ.ك.

أن الفريسيين استطاعوا تحقيق الأهداف الجبارة المرسومة لهم: وتمكن التلمود من تحصين اليهود وعزلهم عن العناصر التي أرادت الاتحاد وتحررت آنذاك من قبل المسيحية، وإليك مثالين من وقتنا الحالي يبينان كم كان التلمود قوياً وحتى الآن بعد عدة قرون من وضعه. إن قراءة كتب التوراة المحرّفة تمكن أياكان أن يدرك ما تخفيه صفحات التلمود ما بين السطور: فعلى سبيل المثال، كتبوا في إحدى الكتب عن صبي يهودي صغير في بولونيا. علموه كيف يسير على حافة بجانب الصليب يبصق عليه ويقول «أنت ملعون صنعت عقيدة أخرى» بحيث أصبح الصبي يتصرف بهذا عفوياً، وفي عام ١٩٥٣ ، وصف مبشر كنيسة المقدسي «موراف» في نيويورك، كيف استولى الصهاينة على بيت موراف للعميان، الذي يحمل اسم «يسوع المخلص» وأول ما قاموا به، هو إزالة كلمة يسوع المعلقة على الباب الخارجي منذ أكثر من مئة سنة، والحوادث الأخرى المشابهة على حد سواء، (هي نهي ذكر اسم السيد المسيح وسط اليهود) كانت تعدّ تطبيقاً مباشراً للتلمودية، وما هي في الحقيقة إلا عبارة عن إحدى الشرائع «الجديدة الموجهة خاصةً ضد المسيحية. لذلك فالمرحلة اللاحقة من تاريخ صهيون يجب تسميتها بالأصح مرحلة التلموديين بسبب اختلافها عن مرحلتي اللاويين والفريسيين.

في الوقت الذي كان فيه الفريسيون التلموديون لا يزالون يعملون في اكاديميتهم في مدينة يبنّه (يمنا) لدراسة الشريعة الجديدة، كانت البشرى عن يسوع المسيح وتعاليمه قد انتشرت في جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية، هذا الانتشار الذي كان قد بذل جهداً كبيراً لأجله أحد أفضل الفريسيين: شاول من طرسوس والذي هاجر من أورشليم (قبيل خرابها) إلى دمشق لاستئصال الهرطقة ـ المسيحية في نظر اليهود، وفي الطريق وحينما اقترب من مدينة دمشق، سَمِعَ صَوْتاً قَائِلاً لَهُ **«شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي»، فَسَأَلَهُ شَاوُلُ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ »، فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ، صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ»**. سفر أعمال الرسل ٩=٤ـ٥ وبعدها صار يبشر بالدعوة ويعظ في وسط الناس من اليهود وغير اليهود، مادام لم يتعرض للمضايقة والإزعاج، وقال لليهود: **«كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ»** سفر أعمال الرسل ١٣=٤٦ وكتب «أوغسطين» عن «شاول» الذي أصبح اسمه

«بولس» بأن «جميع من آمن برسالته من اليهود وغير اليهود، أصبحوا مرتدين، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى»؛ غير أن ما تحدث به بولس والرسل الآخرون كان أمراً لامناص منه في ذلك الحين، ففكرة معرفة الإله الواحد قد سيطرت على العقل البشري، ومن خلال هذه المحاولات، أراد الناس التعرف على تعاليم السيد المسيح مثلما تسعى النبتة إلى النور، ولهذا السبب كانت أفكار السيد المسيح تجد لها الأرضية الخصبة وسط عدد معين من اليهود، بقدر ما كانت العقيدة اليهودية (أوهاماً قبلية) في شكلها النهائي، وبقدر ما يقتضي أي عمل ردة فعل متساوية معه فإن الأفكار المضادة أو المناقضة كان يجب أن تظهر هناك، حيث الضغوط أقوى بشكل خاص، وفي هذه اللحظة تقرر مصير ما نسميه اليوم «الغرب» الذي كان حينذاك قليل الشهرة وضئيلاً بعدد السكان، ولو لم تصل تعاليم السيد المسيح إلى الغرب، لكان من المحتمل ألاّ تظهر الكلمة نفسها، ولا ذاك المفهوم الذي تنضوي تحته. وكما نعلم أن الثقافة الغربية، وثيقة الصلة بالديانة المسيحية، وأن الازدهار الذي جرى في الغرب منذ /١٩٠٠/ سنة مضت على صلب السيد المسيح، فاق ما جرى في المناطق الأخرى، ولم يكن التفوق في المجال المادي شيئاً أساسياً بل الأكثر أهمية كان التقدم في المجال الروحي، وتغيير علاقة الإنسان بالإنسان، بحيث وصل الغرب إلى وضع يمكن توجيه التهمة فيه إلى الإنسان فقط علناً وليس سراً، ويحق للإنسان أن يطالب بمحكمة علنية مفتوحة أو حرة (تتعرض هذه الحقوق في القرن العشرين للأخطار من جديد) وكانت هذه من أفضل النجاحات الكبيرة في التاريخ الإنساني، ومستقبلنا متعلق بمدى قدرة «الغرب» في المحافظة على هذه الحقوق وإلا فسيتم قمعها من جديد. ونشير إلى أن تعاليم السيد المسيح انتشرت من فلسطين حتى قبل دخول الرومان في الدين المسيحي، فتعقبتها الطائفة التلمودية التي سارت في أثر الديانة المسيحية خلال مئات السنين الماضية، وليصبح القرن العشرون مسرحاً للصراع ما بين الشعوب التي نشأت على التعاليم المسيحية، والطوائف اليهودية التي وظّفت نفسها لمهمة تخريبية.

لم ينجرف الغرب وحده إلى هذا الصراع، بل البشرية في كل مكان نتيجة بحثها العفوي الغريزي عن مفهوم الإله الواحد، وبذلك اصطدم التلموديون العنصريون من جديد بـ «عدو جديد» بعد /٥٠٠/ عام من صلب

السيد المسيح، وكان هذا العدو هو الدين الإسلامي: الذي بشر به العرب، ودخلت فيه شعوب مجاورة سيطرت عليها فكرة الإله الواحد، وليس مستغرباً، بالنسبة للعنصري اليهودي «اوغسطين» أن يشير إلى الرسول الكريم محمد (ص) بأنه «بدوي أميّ» (وكلمة أميّ لم يقصدها أوغسطين كما جاءت في القرآن الكريم، بل بالمعنى العنصري الذي قصده حرفياً ـ البدوي المتخلف. المترجم ـ غ.ك). ومَثَلُ النبي محمد (ص) مثل القديس «بولس»، الذي وهو في طريقه إلى دمشق، وحّد رؤية الرب، فالتعاليم في الأغلب ذكّرته بتعاليم يسوع المسيح، الذي عدّه بمنزلة إبراهيم وموسى نبيّ الرب، وليس مسيا كما اعتبره اليهود، وكان الرسول الكريم نبي الله مثله مثل موسى والمسيح أنبياء الإله الواحد، إله العالم وإله جميع البشر، وليس العرب وحدهم، هذه الديانة الجديدة مثل الديانة المسيحية لم تدعُ إلى بغض الأديان الأخرى، وقد وقّر الرسول الكريم محمد (ص) السيد المسيح ومريم العذراء، في الوقت الذي كان فيه التلموديون عديمي التقوى يسخرون من السيد المسيح[1].

لقد عدّ الرسول الكريم محمد (ص) اليهود قوى تخريبية، يسعون فقط إلى تحقيق أهدافهم، كما ورد عنهم في القرآن الكريم «**كُلَّمَا أَوقَدُواْ نَاراً لِلحَرْبِ أَطفَأَهَا اللهُ، وَيَسْعَونَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**» سورة المائدة الآية ٦٣ .

وهكذا قوّم الحكماء هذه الطائفة ومذهبها خلال مئات السنين، في حين لم تكن الفرصة سانحة بعد للطائفة اليهودية بغية منع المناقشات العلنية حول المسألة اليهودية في القرن العشرين، وكان انتشار الإسلام بسرعة في الجزء الجنوبي من العالم المعروف آنذاك، مثل انتشار المسيحية في الغرب، إن مسيرة حركة هاتين الديانتين في اتجاه واحد وكأنها ستؤدي إلى نقطة التقاء في

---

(١) ـ إن اليهود يعدون السيد المسيح يهودياً وثنياً مرتداً، وقال عنه أحبار اليهود في التلمود: «ان يسوع الناصري موجود في لجّات الجحيم بين القار والنار، وقد اتت به أمه من العسكري باندارا عن طريق الخطيئة، اما الكنائس النصرانية فهي قاذورات والواعظون فيها أشبه «...» النّابحة، وقتل المسيحي من التعاليم المأمور بها، ومن الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني». المترجم ـ غ.ك.

المستقبل، ولم يكن شيء متناقض بين هاتين الديانتين في نبذهما للمذهب التخريبي ورفضهما التفوق العرقي العنصري.

وانتشرت كلتا الديانتين «المسيحية والإسلامية» بشكل واسع، واعتنقهما عدد كبير من البشر من مختلف الأجناس، وبيّنتا ما تسعيان إليه بشكلٍ عفوي، وتقلّص النفوذ اليهودي، وتقوقعت الطائفة الحاكمة في أفقها العنصري الضيق، وأُتيح لهذه الطائفة اليهودية في القرن العشرين أن تشحن النفوسِ بالأحقاد في سبيل التصادم المباشر بين الدول المسيحية والإسلامية. وإذا ما أُتيح لها إثارة صراع مفتوح، فجيلنا سيصبح شاهداً على صراع ديانتين عظيمتين باسم الانتصار الحتمي النهائي للقبيلة الخرافية «السلطة العنصرية» وبذلك يمكن أن تكون نهاية التاريخ العجيب الذي بدأ منذ عشرين قرناً مضى، عندما خرجت **مجموعتان متناقضتان** من «أورشليم»[1].

(١) ــ المجموعتان المتناقضتان هما مجموعة المسيحيين التي نادت بالمحبة والتسامح والعطاء ومجموعة اليهود الفريسيين وغيرهم التي نادت بالكراهية والحقد والبغضاء والثأر. المترجم ــ غ.ك.

سياج حول الشريعة

يمكن تقسيم تاريخ صهيون إلى خمسة مراحل: عصر اللاويين، والفريسيين، والتلموديين، وحوادث فصلت بين هذه المراحل أو ماسمي بعصر «التحرر»، وأخيراً عصر الصهيونية.

روايتنا وصلت الآن إلى المرحلة الثالثة، **فالمرحلة الأولى** اللاويون: تميز تاريخها بعزل اليهود، وسبي بابل، والعودة إلى أورشليم، وكتابة شريعة موسى، التي ربطت اليهود بقوة، **والثانية** الفريسيون: المرحلة التي ترافقت مع احتلال الرومان لفلسطين، وانتهاء الدمار الثاني لأورشليم، وتشتت ما تبقى من اليهود، زد على ذلك بلوغ الفريسيين للسلطة المطلقة و«حكومتهم» ارتحلت إلى مركز جديد في مدينة يبنّه (يمنا).

والثالثة: المرحلة التلمودية، المرحلة الأطول بينهما، إذ امتدت قرابة سبعة عشر قرناً، من سنة /٧٠/ للميلاد تقريباً وحتى عام /١٨٠٠/ ميلادية، في هذه المرحلة هاجر القسم الأعظم من اليهود إلى الغرب، في الوقت نفسه الذي بدّلت فيه حكومتهم من مكان وجودها أكثر من مرة، وأبقت السلسلة متماسكة ليهود الشتات في مختلف البلدان تحت مراقبتها، لإخضاعهم للشريعة وعزلهم بشكل صارم عن بقية الشعوب. وبما أن هذه المرحلة اتسمت بفترة ازدهار الثقافة الغربية والانتصار المسيحي، فمن المحتّم أن يصبح (المسيحيون) تحديداً، عرضة للحملات التخريبية من قبل كتب الشريعة اليهودية خلافاً لما كان عليه الوضع سابقاً، إذ كانوا يطلقون على غير اليهود، «الوثنيين» أو «الغرباء» أو «اتباع آلهة أخرى».

وبقدر ما كانت هذه المرحلة للناس في الغرب مرحلة استمرار وذات أهمية

كبيرة لتاريخهم، كانت للطائفة اليهودية الحاكمة وأتباعها ذات أهمية قليلة، كما هي فترة سبي بابل، وامتداد هذه المرحلة مدة سبعة عشر قرناً، والمرحلة الأخرى (أي مرحلة سبي بابل)، استمرت خمسين عاماً، كل هذا لم يشكل في نظرهم أية أهمية تذكر: وفي كلتا المرحلتين كان «الشعب المختار» يعيش في «المنفى» حسب رأيهم، ووفقاً لتخيلات شريعتهم فإن هذا «المنفى» كان يجب أن ينتهي بفاجعة للذين وضعوا اليهود في «الأسر» ويكون حافزاً لتحقيق الانتصار اليهودي و«العودة» من جديد.

لقد كانت مدة سبعة عشر قرناً، للصهيوني المؤمن «أوغسطين» مرحلة ازدهار الثقافة والحضارة المسيحية. وهذا يعني أن صفحات التاريخ خالية، والشيء الوحيد الذي كان يستحق لفت الانتباه في هذه المرحلة الطويلة هو «اضطهاد» اليهود وكل ما عدا ذلك ــ أشياء تافهة لا أهمية لها. واستخدم «يهوه» في هذه المرحلة الوثنيين لمعاقبة اليهود، وجهز في الوقت نفسه انتصار «الشعب المختار» وكتب أوغسطين يقول إن «الوثنيين سيدفعون الثمن بسبب ما قاموا به» وهذا هو النجاح الوحيد له خلال سبعة عشر قرناً من التاريخ البشري، وبفضل القادة التلموديين الحكماء، فقد استطاع اليهود المحافظة على انعزالهم عن بقية الشعوب الأخرى التي عاشوا في وسطها.

لا غبار على ذلك، إذ إن النجاح الذي تحقق غير قليل: ولا يمكن مقارنة أي شيء آخر في التاريخ مع الضرر والأذى الذي جلبه نجاح الحكماء الصهاينة للبشرية، فقد حافظ التلمود بمتانة على «**سياج حول الشريعة**» وتمكن بنجاح خلال سبعة عشر قرناً من مواجهة تأثير قوة ضاربة لجذب اليهود في تيار الحياة البشرية.

وبينما كان التلموديون يعززون من سياجهم، كان الأوروبيون الذين اعتنقوا الدين المسيحي يعملون باستمرار على إغناء حياتهم بقيم أخلاقية معنوية، بهدف القضاء على العبودية، وعلى نظام الرق الإقطاعي، وإلغاء عدم المساواة والامتيازات، ورفع عزة النفس للإنسان، كل هذا كان بمنزلة ثورة «تحرر» للبشرية التي انتصرت مع مطلع القرن التاسع عشر على النظام المستبد الطائفي.

ولعب اليهود بتوجيه من قياداتهم التلمودية دوراً رائداً في النضال من أجل

التحرر، وتبيّن لجميع المسيحيين في بادئ الأمر أن هذا طبيعي بحد ذاته، ولطالما كان الهدف منذ البداية للجميع في جوهره هو التحرر الذي عنى لهم تحقيق الحرية لجميع البشر، بغض النظر عن جنسيتهم وطبقتهم التي ينتمون إليها وعقيدتهم المؤمنين بها، في هذا كان يكمن جوهر النضال: وبغير ذلك أو أقل منه يفقد النضال جميع معانيه.

بيد أن التناقض كان واضحاً في الواقع، وغالباً ما أربك واقلق الشعوب الغربية، التي كان يعيش اليهود في وسطها. فالشريعة اليهودية تدعو إلى نظرية السلطة العنصرية، غير المسالمة وعدائية الشكل، تلك التي كان يمكن للخيال البشري أن يتخيلها. إذاً كيف استطاع اليهود الهجوم على الوعي القومي للشعوب الأخرى؟ وكيف تمكّن اليهود من بذل الجهود للقضاء على جميع الحواجز بين البشر، في الوقت الذي أنشؤوا فيه هم أنفسهم حواجز عالية تفصل بينهم وبين باقي الشعوب؟ ومن جهة ثانية إذا كان ـ وفقاً لتاريخهم ـ أن الله سبحانه وتعالى خلق العالم من أجل سلطتهم بشكل خاص، ومنعهم من الاختلاط مع الكائنات «**السفلة**» فكيف يحق لهم أن يشتكوا من التمييز العنصري؟ ! .

إن الأحداث في المئة والخمسين سنة الأخيرة أجابت بصورة جلية عن هذه الأسئلة، رغم أن اليهود ناضلوا من أجل التحرر، لكن أهدافهم في هذا النضال بجميع الأحوال لم تحمل الأفكار العظيمة لحرية البشرية، لأن الشريعة اليهودية من حيث المبدأ تنبذ هذه الأفكار.

لم يسعَ حكام اليهود للحرية، بل سعوا إلى امتلاك السلطة على باقي الشعوب الأخرى وأدركوا، أنه من أجل تحقيق هذه السلطة، كان لابد من القضاء على حكومات هذه الشعوب الشرعية، وأنجح سبيل لذلك، هو رفع شعار التحرر.

وبناء على ذلك فإن ما سمي «بالتحرر» فتح الباب على مصراعيه أمام القوى الثورية، للتدخل في حياة الشعوب، وتدمير الحكومات الشرعية، بهدف إيصال الثوريين إلى السلطة، لقد كان هؤلاء الثوريون صنعة التلموديين، ونشطوا وفق أوامر منهم وتحت مراقبتهم، تنفيذاً للشريعة اليهودية، وأعدّوا للغرب نهاية

كنهاية بابل.

وقد أكدت أحداث القرن العشرين بوضوح تام، أن شيوخ التلمود عملوا وفقاً لهذا المخطط بالتحديد، وذلك طيلة المرحلة الثالثة من تاريخ صهيون، وبمعنى آخر لغاية عام /١٨٠٠/، إن كلمة «تحرر» كانت ذات دلالات متعددة لشعوب أوروبا المسيحيين الذين كان اليهود يعيشون بينهم، وكذلك لزعماء اليهود التلموديين، وأما لجماهير الشعب فقد عَنت نهاية عصور عدم المساواة والعبودية، وما يخص الطائفة المتسلطة كانت البداية لتحقيق أهداف مغايرة كلياً: تقييد البشر بأغلال جديدة وعبودية أكثر قساوةً.

وقد أُخفيت الأخطار الجدية المحدقة في هذا المخطط، فالقضاء على الحواجز بين البشر، كان يمكن أن يؤدي للقضاء على هذه الحواجز بين اليهود والشعوب الأخرى، وهذا الأمر سيقضي بالتأكيد على كل خطط التلموديين الذين بتحطيمهم لتلك القوة التي كان لا بد من الحفاظ عليها للقضاء على الشعوب الأخرى وذلك عن طريق «التحرر».

وهذا ما حصل تقريباً في المرحلة الرابعة من تاريخ صهيون: إن مئة سنة من «التحرر» خلال أعوام (١٨٠٠ ـ ١٩٠٠) جلبت معها خطر «الاندماج»، لقد حاول عدد كبير من يهود أوروبا وأمريكا خلال مئة سنة من عصر «التحرر» نزع «شبكة» الشريعة اليهودية والاندماج في حياة الشعوب الأخرى.

لذلك تحديداً، رأى المؤرخ الصهيوني أن القرن التاسع عشر كان مرحلة مظلمة في التاريخ اليهودي، فقد هددت هذه المرحلة بأخطار قاتلة، وكان بـإمكان اليهود اتخاذ قرارهم بالمشاركة في التاريخ البشري، ولكن لحسن حظ هذا المؤرخ الصهيوني «أوغسطين» فقد أمكن تلافي هذه الأخطار. وناقش بفزع واضح كيف كان بـإمكان الاندماج تخريب الحواجز المدافعة عن العنصرية والعقيدة اليهودية. وبما أن حركة «التحرر» وسط اليهود في القرن التاسع عشر كانت بمنزلة عدو لدود، فإنه يشكر الرب على أن «الإيديولوجية الصهيونية» أنقذت اليهود من الاندماج.

وبدأت المرحلة الخامسة من تاريخ صهيون مع مطلع القرن العشرين، (والتي نعيشها الآن). وقد استطاع سياج الشريعة التلمودية المحافظة على نفسه،

وكان اليهود قد «تحرروا» كاملاً (حسب المفهوم الغربي)، لنهاية المرحلة الرابعة من تاريخهم اليهودي، مع العلم بأنهم ظلوا مستمرين في انعزالهم عن باقي الشعوب تحت حماية شريعتهم الخاصة، ومن حاول التحرر و«الاندماج» عادَ أدراجه، إلى الأفق الضيق القبلي للقوى الصوفية «للأمة اليهودية».

وأتيح للطائفة الحاكمة اليهودية بمساعدة «التحرر» السيطرة على الحكومات غير اليهودية وتحقيق العودة الثانية إلى أرض الميعاد. وكانت هذه عودة لشريعة عام /٤٥٨/ قبل الميلاد بمهمتها التخريبية للشعوب الأخرى وفرض السيطرة عليهم، حيث كان يسيل في أوردة اليهودية العالمية السم الشوفيني الذي تعزز مفعوله مع مرور الوقت. وقد استغلت سلطة الطائفة على الحكومات الغربية بمهارة فائقة لتحقيق الأهداف المرسومة. إن جميع العمليات التخريبية المؤلمة المعاصرة للغرب ــ كانت نتيجة لانبعاث طموح صهيون وتكبره منذ القدم والتي أصبحت معايير علنية للسياسة الغربية في القرن العشرين.

وإلى لحظة تأليف هذا الكتاب، والمرحلة الخامسة من التاريخ اليهودي مازالت مستمرة ــ لأكثر من نصف قرن ــ (تم الانتهاء من تأليف الكتاب في عام /١٩٥٦/ ــ المترجمون الروس). ولكن النتائج التي تمخضت عنها كانت مؤثرة، فقد فُرضتْ شريعة موسى على الشعوب الأوروبية في الغرب، ويعيش الشعب الغربي في ظل مراقبة صارمة من جهة التلمود، وأصبحت الشريعة التلمودية تقودهم بدلاً من شريعتهم الخاصة بهم (الشريعة المسيحية)؛ وكانت جميع العمليات السياسية والعسكرية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، موجهة لخدمة الغطرسة الصهيونية حيث قضى ملايين الضحايا من الدول الغربية في سبيل المصالح الصهيونية.

أربعون عاماً وسفك الدماء مستمر بلا انقطاع في فلسطين ــ وهذه هي البداية فقط. ويمكن أن تبدأ الحرب العالمية الثالثة في أي لحظة من هذه المنطقة وتنتشر من ثَمَّ إلى جميع أنحاء العالم. ولكن حتى لو بدأت في أي بقعة من العالم، فلا بد أن تخدم طموح صهيون، الذي لم يرضِ غروره التاريخي بصورة نهائية، وبما أن اليهود لم يحتلوا بعد مساحات واسعة من الأراضي العربية لتحقيق حلمهم في «الشرق الأوسط» فلن يتم إنزال «آلهة أخرى» واستعباد

«جميع الشعوب» .

يرى «أوغسطين» في هذه المرحلة الخامسة اليهودية عصره الذهبي حيث سيتم فيها «إعادة حركة التاريخ» بانقضاء فترة زمنية لا تملك أهمية تاريخية معروفة والقضاء على الأشياء التي لا أهمية لها(مثل العصر المسيحي)، أما الصهيونية فقد كان حرمانها جريمة، حسب رأيه في سنة /٧٠/ بعد الميلاد، والمخصصة للسيطرة العالمية لتتغلب على هذا «الانقطاع» في التاريخ حتى تصبح وريثة الحق الشرعي.

لقد بلغت روايتنا الآن المرحلة الثالثة والاكثر استمرارية بين جميع المراحل الخمس لتاريخ اليهودية: في هذه المرحلة بذل الكتبة التلموديون في يبنّه أو (يمنا) جهوداً لا مثيل لها لتوسيع نسيج عنكبوت الشريعة بشكل متشعب لا نهاية له، بحيث لم يعد بـإمكان أي يهودي الإفلات من هذا النسيج دون أن تقع عليه عواقب وخيمة. وبهذه الطريقة تم تحقيق كل ما هو غير ممكن تقريباً: وخلال سبعة عشر قرناً تربى اليهود في مختلف بلدان العالم على الانعزال عن بقية البشر، وتم تحضيرهم لأجل مهمتهم التدميرية في القرن العشرين من العصر المسيحي.

سننتقل الآن إلى المرحلة الأكثر قرباً، لننظر في هذه المرحلة الممتعة، مرحلة التحضير والتنظيم، التي تم خلالها بناء «سياج» حول الشريعة اليهودية، حتى لا يكون بـإمكان أي «حرية» إغواء الشعب المختار أو شلّ قوته التدميرية.

الحكومة المتجولة

ارتحل الشيوخ الفريسيون إلى يبنّه أو (يمنا) حتى قبل دمار أورشليم في سنة /٧٠/ ميلادية ووضعوا لأنفسهم أهدافا، مثلما فعل اللاويون حينها في بابل، وهي إقامة مركز جديد للسلطة والمراقبة، حتى يتم الإمساك بالمنظمة التي يجب أن يخضع لها اليهود المنتشرون في جميع أنحاء العالم الآن، وجلبوا معهم التجارب الغنية للقيادة السرية من أورشليم وبابل المتراكمة عبر قرون عديدة وشكلوا حكومتهم المتجولة، التي كان لها السلطة المطلقة على جميع اليهود سابقاً وحتى يومنا الحالي.

وفي غداة الصراع الأخير مع الرومان، كتب «أوغسطين» يقول: «**إن مجموعة من المعلمين والعلماء والمرابين توجهوا إلى يبنّه أو (يمنا) ووضعوا على عاتقهم مصير جميع اليهود وتحملوا المسؤولية في القرون اللاحقة ... وقد أقاموا في يبنّه أو (يمنا) هيئة قيادية مركزية لجميع اليهود... وكقاعدة عامة، «الأمة» التي تحطمت بقسوة مثل اليهودية، كان يجب أن تموت. ولكن الشعب اليهودي لم يمت، لقد تعلم التكيف مع الواقع الناشئ منذ فترة سبي بابل وسار على هذا المنوال في جميع مراحله**».

وتم تشكيل مجلس السنهدرين القديم في يبنّه أو (يمنا) (الذي يعتبر المصدر التشريعي والتنفيذي والقضائي للسلطة) تحت اسم آخر. وإضافة إلى ذلك تم إقامة مجمع علمي لمتابعة وضع أسس الشريعة، حيث تابع الكتبة هنا التعرف على فكر «يهوه» وعملوا على تفسير الشريعة، وبدت لمرات متعددة وكأنها ارتدتْ شكلها النهائي. وبما أنه كان يجب على الشريعة، وفقا للعقيدة اليهودية تنظيم مسار الحياة البشرية في ظل ظروف متغيرة دائما، فمن الطبيعي أنها لم

تتمكن ولن تتمكن من الانتهاء إلى الآن، فكان يجب الإضافة إليها دائماً، أضف لذلك كان من الضروري إعادة النظر في الشريعة دائماً مع ظهور عامل جديد أيضاً هو المسيحية، الذي كان من المفروض تحديد علاقة الشريعة معه. وهكذا فإن الشريعة القديمة، أي التوراة، قد جرى عليها إضافات متعددة في شكل التلمود، والذي اكتسب بسرعة صفة متساوية، بل أكثر نفوذاً منها.

والشريعة التي خرجت من يبنّه أو (يمنا) أقامت حواجز لا تقهر ضد العالم المعاصر «بحيث أجبر على الخضوع» بصورة مميتة صارمة لنظامها، والتمسك بما أدخل حديثاً باحترام لائق. وكان الهدف من كل هذه الخطوات، هو خلق حياة لليهود مختلفة عن حياة الشعوب الأخرى. وأي شريعة يُتخذ قرارٌ بشأنها في مجلس السنهدرين بأغلبية الأصوات تصبح ملزمة لجميع الجماعات اليهودية، حيثما كانوا في «الشتات»، وعدم الانصياع لها يعرضهم لعقوبة الحرمان من الدين، والطرد للمذنب من الجماعات اليهودية بصورة كاملة». وهكذا كان قد **«أقيم مركز هذه الدوائر بصورة نهائية على أصول الشريعة، وشيّدوا جداراً حول اليهود المنضوين تحت قيادتهم»**.

وخلال هذه المرحلة (قبل أن تصبح الديانة المسيحية الدين الرسمي لروما) اصدر «المركز» في يبنّه أو (يمنا) أمراً سرياً سمح بمقتضاه لليهود بالتأقلم مع الواقع الراهن، وفي حالة العوز والفاقة الدخول في «الدين الوثني» (أي الدين المسيحي) للظهور بمظهر الرافض لعقيدته.

لقد امتد عمل القيادة في يبنّه أو (يمنا) مدة مئة سنة، وبعدها وصل المركز إلى مدينة عوشا[1] في الجليل، في المكان الذي تم فيه من جديد تشكيل السنهدرين «حيث شحذت اليهودية بكل قواها خطوطها الخاصة» وفي هذه الفترة تم انتقاء لعنة بصفة خاصة «لليهود المسيحيين» وأصدر الإمبراطور الروماني «قسطنطين» قانوناً في عام /٣٢٠/ ميلادية بعد اعتناقه للديانة المسيحية، حرم بمقتضاه الزواج ما بين المسيحيين واليهود، وحرم على اليهود امتلاك عبد مسيحي. وكان هذا رد فعل طبيعياً على التمييز العنصري «واستعباد الشعوب»

---

(١) ـ عوشا: حيث انتقل الرابي (يشمعيل بن اليشا) إلى عوشا لتأسيس أكاديمية حملت اسمه في فلسطين. المترجم ـ غ.ك.

الذي فرضته الحكومة التلمودية في «عوشا» واصبح هذا التحريم بطبيعة الحال بمنزلة إعلان جديد «للاضطِهاد»، هنا أيضاً ولكي يتجنبوه «حسب زعمهم» فقد ارتحل المركز من جديد إلى بابل حيث مازالت تعيش جالية يهودية فضلت البقاء هناك منذ /٨٠٠/ عام مضى ولم ترغب بالعودة إلى أورشليم.

لقد استقرت الحكومة التلمودية في مدينة «سوره»[١]، وأما الأكاديمية فقد ارتحلت إلى مدينة «فاومبديثت»[٢] والتلمود الذي بدؤوا بكتابته في «عوشا» تم إنهاؤه في «سوره» و«فاومبديثت» وحيثما عاش اليهود «**كانوا يحاطون بحلقات من القياس الضخم، لكنّها مرنة للغاية**» حلقات صوفية مرعبة حيث شدّت بخرافات ضيقة أضيق فأضيق.

وفي «سوره» حكم بما يسمى حاكم وهمي بمنزلة أمير قبيلة من بيت داوود، غير أنه تحول مع مرور الوقت لمجرد شخصية رمزية، وسمي بعد ذلك رئيس الأكاديمية، الذي كان عملياً بمنزلة رئيس الكهنة ورئيس الوزراء «وضع قواعد وإرشادات ليست ليهود بابل وحدهم فقط بل لجميع اليهود... ولقد اعترف يهود العالم بأكاديمية بابل «كمركز أعلى»، «وعدوا كل ما يصدر عنها من تشريعات ملزماً لهم». وبهذه الصورة تم السيطرة وإخضاع السلطة من قبل التلمودين في بابل كدولة ضمن دولة.

---

(١) ــ سوره: حاضرة بابلية قديمة، تقع على فرع من احدى فروع نهر الفرات بالقرب من مدينة الحلة العراقية، بين بغداد والكوفة وكانت احدى المراكز الكبرى لليهود بعد السبي البابلي، كما كانت مقراً لرئيس الجالية (روش جالوثا) أي رأس الجالية، ويعدّ الرئيس الأكبر للطائفة اليهودية. وفيها نشأت أكاديمية يهودية كبرى لعبت دوراً كبيراً في كتابة التلمود البابلي، بدءاً من /٢٢٠/م، حيث انتقل علماؤها إلى الأندلس، ومن كبار علمائها الراب (التلمودي) آشي أو عشي وإليه ينسب الفضل الأكبر في البدء بجمع التلمود البابلي وتنقيحه واستغرق عمله هذا خمسين عاماً تقريباً (٣٧٦ــ٤٢٧ ميلادية). المترجم ــ غ.ك.

(٢) ــ فاومبديثت: الكلمة مأخوذة عن الآرامية فومبداثا (النشأة الأولى) وهو الاسم الذي أطلقه يهود السبي البابلي على مدينة الانبار، والانبار هي مدينة عراقية قديمة على ضفة نهر الفرات اليسرى، تقع اطلالها على بعد /٨/ كم شمال مدينة الفالوجة. عرفت منذ العهد الساساني باسم فيروز شاه، وبدءاً من القرن الرابع الميلادي اسس أحبار يهود السبي البابلي في فاومبديثت اكاديمية تلمودية كبرى لعبت دوراً مهماً في تكوين وتطور التلمود البابلي، وكذلك في الترجوم (الترجمة الآرامية للتوراة). ومن كبار أحبارها رباح بن ناني والراب يوسف (في القرن الرابع للميلاد). المترجم ــ غ.ك.

وبقي جوهر العقائد هو نفسه أيضاً، كما ابتدعه كلٌ من حزقيال وعزرا ونحميا لاخضاع أتباعهم من اليهود، ولكن الآن غيَّر التلمود التوراة، مثلما غيرت التوراة في حينه «الوصايا الشفوية». وأما قادة الأكاديمية في «سوره» و«فاومبديثت» فقد سموا المخيمين أو المعسكرين، وبدؤوا فرض سلطة كاملة على «يهود الشتات» في جميع أنحاء العالم، والمنفيون الوهميون لقبوا فيما بعد «بالمشتتين» أو عيّنهم وثبّتهم الأمراء، أما السنهدرين فقد كان مضطراً أن يمنحهم صلاحية أو يحرمهم منها.

وإذا ما ظهر في مكان ما وسط اليهودية العالمية شك بصدد تفسير وتطبيق الشريعة بأي سؤال يمس الحياة اليومية، فيتحول الأمر إلى النظر فيه من قبل «المتحصنين» في قلعتهم، لأنه من بابل الشاسعة انطلقت آراء وحلول باسم يهوه بما يسمى «أجوبة المتحصنين» إلزامية على جميع يهود العالم، وعدم الخضوع لها يعرضهم لعقوبة الحرمان من الكنيس.

خيمت العبودية التلمودية على «يهود الشتات»، «**كشبكة متراصة متشابكة... على أعيادهم، وأيام حياتهم العادية، وعلى أعمالهم وعباداتهم، وعلى كل خطوة من خطواتهم... ولا يجوز أن يحدث شيء في حياة اليهودي مصادفة أو بقرار شخصي منه**». وكان هذا بمنزلة طغيان مطلق، لا يختلف عن غيره إلا بالمسافة بين الطغاة والخاضعين لهم فقط. وفي ظروف النيات الصالحة، فإن الأسرة الموجهة بهذه الأساليب يمكنها أن تترك أثراً طيباً على حياة الشعوب المحيطة بها، وفي ظل النيات الشريرة التخريبية، يؤثر هذا النظام داخل الشعوب الأخرى، مثل حشو الديناميت في الصخر، حيث يمكن تفجيرها من مسافة بعيدة.

إن استمرار الحكومة التلمودية لمدة ستمئة عام في (يبنّه أو «يمنا»، وعوشا، وسوره)، هذا يعني بقاءها في منطقة الشرق، حيث كانت طبيعتها قريبة ومفهومة للمحيطين بها، وقد تعرفوا على هذه الطبيعة، وأحياناً هادنوا مذهبها القاسي ببراعة وواجهوه أحياناً، وأحيانا أخرى حدثت خلافات ليست مزعجة، إذ كان بالإمكان إيجاد حل وسط لإحلال سلام في الحياة اليومية.

ولكن الأحداث التي جرت فيما بعد، أصبحت نتائجها تهدد وقتنا الحالي

بهزات، فقد ارتحلت الحكومة التلمودية إلى أوروبا المسيحية، واستقرت وسط شعوب كانت عقيدتهم وأساليبهم للتلموديين ليست غريبة فقط، بل لا يدركون كنهها بوجه عام، مما أدى إلى تصادم مستمر عبر مئات السنين بين أصحاب العقيدة الغربية والمتغطرسة والتي تعارضت مع مصالح السكان المحليين، وما زالت مستمرة حتى وقتنا الحالي.

إن طبيعتي هاتين الجهتين كانتا مختلفتين تماماً، فالناس الغربيون (خاصة في أقصى الشمال) بطبيعتهم مستقيمون، لا يخفون أهدافهم، ويتحدثون بوضوح عن مخططاتهم، وجاءت المسيحية لتعزز من طبيعة هذه الصفات الغريزية، أما القوى الغربية، التي جاءت إليهم فتمتعت بنوعية تناقضات مباشرة ذات طبيعة عجيبة ومؤامرات سرية، استخدمت كلمات لإخفاء الأهداف الحقيقية، وبالمقارنة مع الناس الغربيين أعطتها هذه الطبيعة أفضلية أكثر في قدرتها على استخدام الحيلة والغدر.

إن دخول اليهودية إلى أوروبا كان نتيجة للفتوحات الإسلامية[1] فالعرب تحت راية الديانة الجديدة طردوا الرومان من فلسطين، وأصبحت السلطة في فلسطين بيد سكانها الأصليين العرب، الذين يعيشون فيها منذ حوالي أكثر من ٢٠٠٠ سنة مضت، قبل أن تظهر فيها أول مستوطنة يهودية حينما احتلها العثمانيون الأتراك.

ومن الممتع جداً أن نجري مقارنة، كيف تعامل الإسلام مع الأسرى وكيف كان يتعامل اليهود مع أسراهم، فأوامر الخليفة للجيوش العربية الإسلامية في عام /٦٣٧/ ميلادية، كانت «**لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً، ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له**» وأما أوامر «يهوه» وفقاً لسفر التثنية: فتتحدث بالتالي «**وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا**» سفر التثنية ٢٠=١٦

---

(١) ــ لم يكن لليهود أي وجود بالمعنى الحقيقي في فلسطين اثناء الفتح العربي الاسلامي، وكان الرومان قد أخرجوا اليهود منها قبل ذلك بمئات السنين، واستقر عدد كبير منهم في اسبانيا تحديداً، وهم الذين يطلق عليهم بالسفارديم. المترجم ــ غ.ك.

وعبر فلسطين انتشرت الديانة الإسلامية في شمال إفريقيا بعد دخول القوات العربية الإسلامية إليها، واتضح أن عدداً كبيراً من اليهود انضووا تحت السلطة الإسلامية «**لغاية في نفس يعقوب**». وعندما توجهت الجيوش الإسلامية بعدها باتجاه أوروبا، وتم فتح إسبانيا، انتقل معها شبح التلموديين الصهاينة الذي خيم على الغرب[1]، وقد جاء عن اليهود في القرآن الكريم: «**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً**» سورة المائدة الآية ٦٣ .

تحولت الديانة المسيحية في إسبانيا إلى السرية، وهذا ما سمح بخلق ظروف ملائمة للتلموديين، فنقلوا مركزهم من بابل إلى إسبانيا، ومن هنا بدأت عواقب العملية التي نعيشها في وقتنا الحالي. وكتب «أوغسطين»: «إن اليهودية التي توزعت على وجه الأرض، حاولت دائماً إقامة حكومة وهمية بدلاً من إدارة المركز العام الضائع... وقد أجمعوا الآن على أنه من المفيد وضع هذا المركز في إسبانيا، وإلى هنا تم نقل الإدارة الوطنية من الشرق كما فعلوا من قبل حين بدلوا مقر المركز من فلسطين إلى بابل بـإرادتهم. وهكذا احتلت إسبانيا الآن مكانة بابل، التي لم يعد بـإمكانها أداء أي وظيفة كمركز لليهود، وكل ما استطاع الشرق أن يقدمه لهم، قد تم تحقيقه هناك حيث تم تشكيل شبكات، تمكّن كل واحد من ربط نفسه بالتلمود، حتى لا يكون معرّضاً للضياع وسط المحيطين باليهود».

والجدير بالذكر، أنه نادراً ما يحصل أن يقوم الناس بـإرادتهم الخاصة في ربط أنفسهم بشبكة مصنوعة لهم، وكيفما اصبح ذلك فالأسر اليهودي كان قد اصبح مأزقاً، كما هو في السابق، ويمكن أن يكون مضايقاً أيضاً، ولكنّ هذا بطبيعة الحال كان من فعل اليهود أنفسهم.

فانتقال الحكومة اليهودية إلى أوروبا، اصبح ذا أهمية كبيرة للغرب، حيث هجمت الأفكار التخريبية والمركز الموجه لها على القارة الآن.

(١) ــ إن شبح التلموديين الصهاينة الذي خيّم على أوروبا، جاء بفضل الرومان الذين أخرجوا اليهود من فلسطين في القرن الأول الميلادي، حيث رأوا فيهم مصدراً للفساد والفتن والغدر والخيانة، لذلك انتقل التلموديون إلى اسبانيا. المترجم ــ غ.ك.

فالحكومة التلمودية «أمة يهودية» داخل أمة تابعت نشاطها من الأراضي الأسبانية، وأصدر المحصنون أي شيوخ التلمود مرسومهم بتشكيل الأكاديمية التلمودية في قرطبة، ومن وقت لاخر تم ايجاد حاكم وهمي اسمياً أيضاً، لحكم اليهود.

قاموا بكل ذلك في ظل الحكم الإسلامي في إسبانيا، والعرب كما كان من قبلهم أهل بابل وفارس، كانوا في جميع الأحوال متسامحين مع هذه القوى التي تعيش في وسطهم. وأمّا الإسبان، فإن مظهر الفاتحين ذكّرهم أكثر فأكثر باليهود، وأقل فأقل بالعرب، لقد كان العرب المسلمون هم الفاتحين، ولكن للأسف كانت سلطة اليهود قوية، كما حدث سابقاً أمام أنظار العالم أولاً في بابل، وبعدها في إسبانيا، وفي مئات السنين اللاحقة أعادت هذه السلطة نفسها بنفسها في أكثر الدول الغربية.

لقد استمر الحكم العربي الإسلامي لإسبانيا قرابة /٨٠٠/ عام، وبعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي لإسبانيا، تخلص الأسبان حينها بشكل نهائي من النير الذي أثقل كاهلهم في عام /١٤٩٢/ وتم طرد اليهود، لقد مارس اليهود نشاطهم بحرية مطلقة في ظل الحكم العربي الإسلامي، وبعد انهيار السيادة العربية على إسبانيا طرد اليهود منها[1].

انتقل «مركز» الحكومة التلمودية بعد ذلك إلى بولونيا، حدث هذا الانتقال منذ أكثر من أربعة قرون مضت، ومنذ تلك اللحظة التحف تاريخ صهيون بالسرية التامة: لماذا تم انتقاء بولونيا مكاناً للحكومة التلمودية؟ فقبل هذه الفترة، لم يكن في مدونات التاريخ أي آثار ذات أهمية تذكّر بالكثير أو بالقليل عن هجرة اليهود إلى بولونيا، وفي غمار الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا وصل إليها من شمال أفريقيا عدد كبير من اليهود، وحين طردوا منها، هجروها على شكل جماعات متفرقة إلى إيطاليا وتركيا والجزر اليونانية وعدد ضئيل إلى فلسطين، وجاليات يهودية أخرى كانت موجودة سابقاً في فرنسا وألمانيا وهولندا وإنكلترا،

---

(١) ـ ويذكر المقري في كتابه نفخ الطيب (ج١ ص ٢٨٠ـ٢٨١) أنه سمح لليهود بمزاولة التجارة وبحرية الملكية، واشتغل كثير منهم بالعلوم والآداب والطب والفلسفة، المناضل / ٢٢١ـ٢٢٢/ حزيران ـ تموز ١٩٨٨ ص. ٤٢ . المترجم ـ غ.ك.

وازداد عددهم بسبب كثرة الهجرات من إسبانيا إلى هذه الدول[١]، واعتناق البعض للدين اليهودي. ولا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد اليهود الذين هاجروا من إسبانيا إلى بولونيا ولا عن عدد الجماعات اليهودية التي هاجرت إلى بولونيا في وقت ما سابقاً.

غير أنه عندما تم نقل «مركز» اليهودية إلى بولونيا في مطلع القرن السادس عشر كتب «أوغسطين» يقول «بدأ يوجد في بولونيا أعداد هائلة من اليهود ــ بالملايين» إلا إن هذه الملايين من السكان لا تبدأ «بالتجمع» فجأة، وهذا الأمر واضح «لأوغسطين»، وبدلاً من أن يقدم توضيحاً لذلك عمد إلى تعتيم هذا التاريخ[٢]، وتدوين عدد هذه الجماعات، التي لم يكن معلوماً عنها شيء لتاريخه وكأنها شيء عابر «تتعلق بصورة رئيسية في عدد المهاجرين الذي لا يحصى من فرنسا وألمانيا وبوهيميا، أكثر من أية أسباب أخرى»، ولم يشرح أي أسباب أخرى كان باستطاعته امتلاكها بخصوص هذه المسألة . وفي هذه الحالة من العجب أن يرضى مؤرخ دقيق الاكتفاء بالتخمينات الاختيارية.

غير أننا نلاحظ أنه إذا ما التف المؤرخون الصهاينة حول جوانب مشكلة ما، يكفي التمعّن بانتباه، لكي تطفوَ الأمور على سطح الماء وتظهر إلى الخارج، وهكذا في هذه الحالة، إن مراوغة اوغسطين الغبية ومحاولته إخفاء حدث هام في تاريخ صهيون، وتحديداً تأكيده على أن «المركز» العالمي للإدارة اليهودية، كان قد نقل في ذلك الوقت إلى منطقة مكتظة بشعبٍ غير معروف إلى ذلك الوقت «كمنطقة يهودية» وبالحقيقة فإنها لم تكن كذلك بتاتاً لا في السابق ولا

---

(١) ــ «وينقل الدكتور حسن إبراهيم حسن عن الإدريسي قوله: إنه كان لليهود بلدة على بعد أربعين ميلاً جنوب قرطبة كان أهلها أكثر غنى من بني جلدتهم في سائر بلاد الاسلام، وبعد انهيار السيادة العربية على الأندلس، تعرض اليهود للاضطهاد والملاحقة من قبل الاسبان وهذا ما دفعهم للهجرة إلى بعض الدول الأوروبية أو أقطار المغرب ومصر واتجه قسم منهم إلى بلاد اليونان والبلقان. المناضل العددان ٢٢١ــ٢٢٢ . حزيران ــ تموز ١٩٨٨ . ص٤٢ المترجم ــ غ.ك.

(٢) ــ وعندما قام في بولندا ذلك الاستيطان الضخم الذي لم يسبق له نظير، لم يكن إلى جانبه في الغرب سوى عدد من اليهود غير كاف لأن يعتد به، بينما كان شعب بأسره في الشرق في سبيله إلى التحرك نحو حدود جديدة. أرثر كوستلر «أمبراطورية الخزر وميراثها» ص ٢٣٦ ــ ٢٥٢ نقلاً عن كتاب نصر شمالي «ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية» دمشق الطبعة الثانية ١٩٨٥ ص. ١٢١ــ١٢٢ . المترجم ــ غ.ك.

في الحاضر، ولم يكن فيه نقطة دم يهودية، (وينبغي القول بأن الدم اليهودي لهذه الفترة نضب بالكامل تقريباً وسط يهود أوروبا الغربية) وأسلافه الذين نشؤوا في الأراضي التترية ولم يكونوا يعرفون اليهودية كان هؤلاء هم الخزر... شعب من أصل تركي ـ مغولي اعتنق الديانة اليهودية في القرن السابع للميلاد ـ هي الحادثة الفريدة في التاريخ، عندما دخل شعب إمبراطورية بكامله غريب الدم في الديانة اليهودية (مادام الأدوميون كانوا أخوة بالدم)[1].

وهنا يمكن التخمين فقط، لماذا سمح وشجع شيوخ التلمودية دخول الخزر

---

(١) ـ أرثركوستلر: مفكر صهيوني، ولد في هنغاريا عام ١٩٠٥ وانتقل إلى بريطانيا حيث عاش فيها منذ عام ١٩٤١ يعدّ كتابه «امبراطورية الخزر وميراثها» مرجعاً هاماً ينفي فيه بالوقائع التاريخية انتماء معظم يهود اوروبا للعرق السامي، ويكشف أصولهم الآرية التركمانية، دون أن يعني ذلك تبدلاً في موقفه المؤيد لإسرائيل، لقد «قمت بجمع الأدلة التاريخية التي تثبت أن الأغلبية العظمى من اليهود الشرقيين ويهود العالم هم من أصل تركي خزري، وليسوا من اصل سامي»، و«إن الأدلة المعروضة مدعم الحجة القوية التي خدمها أولئك المؤرخون المحدثون، سواء منهم النمساويون أم الأسرائيليون أم البولونيون والذين أثبتوا ـ مع استقلالهم عن بعضهم بعضاً، أن الأغلبية العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي. وأن التيار الرئيسي للهجرات اليهودية لم ينبثق من حوض البحر المتوسط نحو الشرق (شرق أوروبا) ثم عائد أدراجه ثانية، ولكنه تحرك باتجاه ثابت نحو الغرب، بادئاً من القوقاز، عابراً أوكرانيا إلى بولندا، ومنها إلى وسط أوروبا. لقد أوضح أحد المنظرين الراديكاليين وهو أ.ن. بولياك، أستاذ التاريخ اليهودي الوسيط في جامعة تل أبيب، وقد صدر كتابه «خازارية» بالعبرية في تل أبيب سنة ١٩٤٤ يقول في مقدمته: ان الحقائق تتطلب: «منهجاً جديداً لتناول كل من مسألة العلاقات بين يهود الخزر وغيرهم من الجماعات اليهودية، ومسألة المدى الذي يمكن ان نصل إليه في اعتبارنا أن هؤلاء اليهود الخزر يمثلون «نواة المجتمع اليهودي» الكبير في أوروبا الشرقية... إن أبناء هذا التجمع ـ هؤلاء الذين بقوا حيث هم، وهؤلاء الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة وغيرها من الأقطار، وهؤلاء الذين ذهبوا إلى إسرائيل يمثلون الأغلبية العظمى من اليهودية العالمية»، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا يعني ان اسلافهم لم يأتوا من وادي الأردن، وإنما من الفولغا، ولم يمثلوا بدئيات الجنس، وأنهم أوثق انتماءً وراثياً إلى قبائل الهون والبوجر والمجر، منهم إلى ذرية إبراهيم واسحق ويعقوب، وإذا صارت القضية على هذا النحو الا يصير مصطلح معاداة السامية خاوياً من المعنى؟ (أرثركوستلر، أمبراطوية الخزر وميراثها، القبيلة الثالثة عشرة ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح ـ لجنة الدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٨٥ .ص٢٢،)، وهكذا فإن (جميع المصادر التاريخية حتى الصهيونية تشير بأن الأغلبية العظمى «أكثر من نسبة ٨٥ ٪» من اليهود ليسوا من أصول سامية، ومع ذلك نجد بعض الرموز العربية مثل الشيخ السائح (رئيس المجلس الوطني الفلسطيني سابقاً) والسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ←

في الديانة اليهودية. فبدون هذا التدفق للدم الجديد كانت «**المسألة اليهودية**» على ما يبدو قد أمكن حلها منذ زمن بعيد، وبكل بساطة كان يمكن أن تختفي من الوجود. هذه الحادثة (التي سيتم التحدث عنها بإسهاب في أحد الفصول القادمة) كانت للغرب تعني الحياة أو الموت، ويمكن أن تكون ذات أهمية مميتة. فالغريزة الفطرية أوحت لأوروبا بأن الخطر الأساسي الذي يهدد وجودها كان قادماً دائماً من آسيا، ومنذ لحظة انتقال «المركز» اليهودي إلى بولونيا، بدأ الآسيويون (يهود الخزر) بالانتقال إلى الغرب تحت قناع «اليهودية» حتى أوصلوا أوروبا إلى هذه الحالة الراهنة الحرجة. إن اعتناقهم للديانة اليهودية كان قديماً جداً، وعاشوا بعيداً عن أوروبا، ولم يكن العالم الغربي يعرف أي شيء عنهم، لو لم يتم تأسيس المركز التلمودي من جديد في وسطهم، مشكلاً منهم جماعات حول نفسه.

وعندما أصبحوا معروفين في أوروبا باسم «اليهود الشرقيين»، ساعدهم في ذلك تغيير الكلمة من «عبرانيين» أو «عبري» إلى «يهودي» بقدر ما أن أحداً لم يصدق نهائياً بأنهم كانوا عبرانيين أو أنهم خرجوا من اليهودية بطبيعة الحال. ومنذ تلك اللحظة التي أصبحوا فيها قادة اليهودية، أصبحت عقيدة «العودة» إلى فلسطين يُبشَّرُ بها باسم «الشعب»، الذي لا يملك نقطة دم واحدة سامية، ولا يمكن حتى التلميح بنسب أسلافهم القدماء إلى أصول فلسطينية، فالحكومة التلمودية قادها تاريخياً جيوش الغرباء ذوو الأصول الآسيوية الخزرية[1].

وتم تأسيس دولة ضمن دولة مستقلة في بولونيا مجدداً، وتم كذلك استغلال طيبة السكان الأصليين مع الغرباء، كما كان يحدث في السابق، وأظهر

← يرى المذكورون أعلاه أن اسماعيل بن ابراهيم هو أبو العرب واسحق هو أبو اليهود ولذلك يقولون: إن اليهود أبناء عمومتنا. على أي أساس يتم ذلك؟ الجواب لدى أولئك القابعين وراء الكواليس. المترجم ــ غ.ك.

(١) ــ إن اليهود القرائين الناطقين بالتركية (وهم طائفة يهودية سلفية) والموجودين في القرم وبولندا وغيرهما، يشهدون على وجود علاقة بالخزر، ويتعزز ذلك بالتأكيد بأدلة يكشف عنها الفولكلور والأنتربولوجيا بعدما تكشف عنها اللغة، ويبدو أن ثمة قدراً معقولاً من الدلالة يشهد على صدق الوجود المستمر للأسلاف الخزر في أوروبا. وهكذا فإن اتباع القرائية، المذهب اليهودي الذي نشأ في بغداد وفارس في القرن الثامن ميلادي بزعامة عنان بن داود وقواق، رفض العمل بالتلمود والاكتفاء بنص التوراة، ومن ثم وصفوا بالنصيين او السلفيين. (د. ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، مديرية الكتب الجامعية، دمشق طبعة ٥ ــ ١٩٧٢ . ص٥١ نقلاً عن كتاب أمبراطورية الخزر وميراثها ص٢١). المترجم ــ غ.ك.

اليهود التلموديون عداوة كبيرة في علاقتهم بشعب الملجأ الذي لجأ إليه يهود الخزر وجماعات يهودية أخرى كما كان يحصل مثل هذا في مرات كثيرة.

ويصف لنا «أوغسطين» هذه الحكومة اليهودية المستقلة داخل بولونيا القاعدة الرئيسية لتجمعهم، فقد سمح للتلموديين العمل «بدستورهم» الخاص بهم، وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر عاش اليهود في ظل حكومة ذات حكم ذاتي كلياً، ومثلما كتب أوغسطين لقد أوجدت هذه الحكومة «نظاماً حديدياً صارماً للحكم الذاتي تماماً، وانضباطاً دينياً حديدياً، وتم وضع السلطة في يد طغمة حاكمة جهدت لخلق نظام صوفي في حدوده القصوى» (ونرى هنا كيف نشأ في وقتنا الحالي ما يماثلها من الشيوعيين والثوريين الصهاينة في ظل انضباط حديدي وعزل صارم ـ المؤلف).

وقد أطلق على الحكومة التلمودية ذات الحكم الذاتي في بولونيا اسم «قاحال» أو «كاحال»[1]، وكانت تتمتع «قاحال» أو «كاحال» بسلطة كاملة على الأراضي الخاصة بها تحت الحماية البولونية، وفرضت الضريبة على الغيتوات والجماعات اليهودية، وكانت تدفع جزءاً منها إلى الحكومة البولونية. وسنت القوانين التي تنظم العلاقات وعقد الصفقات بين اليهود بلا استثناء ، ومنحت الحق لنفسها بالقيام بـإصدار حكم في الإدانة أو العفو على مسؤوليتها، ولكنها لم تمتلك من الناحية العملية الحق في إصدار الحكم بالموت، ومثلما كتب المؤرخ اليهودي المشهور المعاصر «سالو بارون» كانت في «بولونيا»، حيث المحاكم اليهودية لم تمنح الحق بـإصدار العقوبة حتى الموت، ازدهرت عملياً العقوبات خارج القضاء بلا محاكمة، وتم تشجيعها من الحاخامات، على سبيل المثال الحاخام «سولومون لوريا»، (يؤكد هذا الاستشهاد ما يخفونه عن الآخرين مع أنه كثيراً ما نفى «أوغسطين» بحذر «الانضباط الحديدي»، و«انضباط بلا شفقة»، و«انضباط صارم مميت» الخ).

لقد تم من الناحية العملية تشكيل حكومة يهودية في بولونيا بقيادة التلموديين، وعن هذا كتب «أوغسطين» يقول: «هكذا أصبح دستور الدولة اليهودية، الذي غرس في أرض غريبة، وأحيط بجدار بعيداً عن شرائع الغرباء،

---

(١) ـ قاحال أو كاحال: وتعني الذي يعتمد على الأمر، أو الذي يعنى بالأمر. الجمعية العليا أو المجمع الحاكم الذي يشرف على شؤون اليهود، ويعود أصل الكلمة إلى جذور كنعانية أو آرامية. المترجم ـ غ.ك.

بتركيبة أجزائه الخاصة، ولربط هذه الأجزاء، كان لديه (أي الدستور) شرائعه اليهودية الخاصة، ومعابده، ومدارسه، وإداراته الاجتماعية، وممثلوه في الحكومة البولونية... وكانت جميع هذه العناصر في الظاهر تسمح عملياً لإقامة دولة مستقلة. وتم تحقيق ذلك لدرجة مقبولة، بفضل تعاون الحكومة البولونية». وفي عام /١٧٧٢/ عندما حدث تقسيم بولونيا، تكاتفت هذه الجماعات الضخمة «اليهود الشرقيون» مثل دولة ضمن دولة، وظهر أنهم توزعوا ضمن الحدود الجديدة للدولة، زد على ذلك فقد تبين أن القسم الأكبر من بولونيا قد تم ضمه إلى روسيا، وفي هذه اللحظة ولأول مرة منذ ألفين وخمسمئة عام وتحديداً من مئتي سنة مضت وقبل أيامنا هذه اختفى مركز «الحكومة اليهودية» فجأة بعيدا عن الأنظار، وقبل عام /١٧٧٢/، كان موجوداً باستمرار: في اليهودية وبابل ومن جديد في اليهودية في الجليل ومرة أخرى في بابل وأخيراً في أسبانيا وبولونيا.

ووفقاً لمعلومات «أوغسطين» «إن المركز أنهى وجوده» وكأنه يوحي للقارئ بأنه من هذه اللحظة، لم يعد للمراقبة المركزية على يهود العالم وجود؛ غير أنه في الحقيقة كما هو التاريخ الماضي الطويل والحضور الجبار لهذا المركز، فإن أحداث مئات السنين الأخيرة الهامة تدحض هذه التأكيدات، وقد قدم أوغسطين بنفسه الحقيقة، حين أعلن بنشوة المنتصر، أنه في القرن التاسع عشر «تشكل المؤتمر اليهودي العالمي[1]». إذاً بلا أدنى شك فإن «المركز» استمر وجوده

---

(١) ـ هناك منظمتان مهمتان كل الأهمية استناداً إلى أهدافهما الخفية وإلى حقيقة مالهما من قوة وهما منظمة «كهيلا نيويورك» و«اللجنة اليهودية الأمريكية» وتعد المنظمة الأولى أقوى العوامل في حياة نيويورك السياسية، إذ إنها المنظمة التي تفرض اليوم نفوذاً ضخماً على بقية أرجاء العالم، وهي تقيم الدليل الواقعي والكامل على وجود حكومة داخل حكومة، في قلب أعظم المدن الأمريكية وأقواها سياسياً، كما أنها تؤلف الجهاز الذي يعمل على طريقة الدعاية المؤيدة لليهود.
وتحمل كلمة «كهيلا» المعنى نفسه الذي تحمله كلمة «كاهال» وهي التي تعني «المجتمع» أو «الجمعية» أو «الحكومة» إنها تمثل الشكل اليهودي للحكم في «الديبورا» أي في المنفى. لقد وسعت الكهيلا اليوم أعمالها ونفوذها عالمياً وغدت المنظمة القوية التي تسمى «المؤتمر اليهودي العالمي». نقلاً عن كتاب «اليهودي العالمي ـ المشكلة الأولى التي تواجه العالم» هنري فورد، تعريب خيري حماد، دار الآفاق الجديدة بيروت عام ١٩٩١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٩٥ المترجم غ. ك.

حتى بعد عام /١٧٧٢/، لكن عمله كان في السر، والأحداث اللاحقة تبين بوضوح لماذا كان من مصلحته التحول إلى العمل السري.

ومع حلول القرن العشرين تحقق عصر المؤامرات الثورية ـ الشيوعية والصهيونية حيث سيطرت هاتان الحركتان السياسيتان على قرننا الحالي وكان «المركز» التلمودي في الوقت نفسه مركزاً لهذه المؤامرة. ولكونه ظلاً قائماً، فقد كان بإمكانه أن يجعل من نفسه مصدراً واضحاً للأساليب السرية الخفية، وفي الوقت نفسه أن يكيف اليهود الشرقيين التلموديين مع هذه المؤامرات، لتصبح الأمور واضحة، بنتيجة الثورة عام /١٩١٧/ عندما بدت روسيا تحت سلطة حكومية مؤلفة تقريباً بأغلبيتها من اليهود. غير أنه حتى هذه الفترة كانت سلطة اليهود على الحكومات الأوروبية قد سبق أن أصبحت عظيمة، لذلك تم تنظيم تكتم متآمر من قبل اليهود والحكومات الغربية حول طبيعة هذه الحكومة «الروسية» الجديدة، ولو ظل المركز العالمي ظاهراً، لكان بإمكان الشعب الأوروبي في حينه التعرف على أن اليهودية التلمودية ناضلت في سبيل «التحرر» قولاً وليس فعلاً، وحضَّرت في الحقيقة الثورات للقضاء على كل ما يمكن للشعوب أن تربحه نتيجة التحرر.

فقط الروس وحدهم، من عرف جيداً ماذا حصل، حيث كان يعيش في وسطهم في تلك الفترة أكثر الجماعات اليهودية عدداً في العالم، ونستشهد بما كتبه «أوغسطين»: «بدا الأمر للروس مستغرباً دائماً، من كون أن اليهود لا يرغبون بالاختلاط بالسكان المحيطين بهم، وخلصوا إلى استنتاج مفاده بأن اليهودية السرية «قاحال» اقتفت الأثر لتحقيق أهدافها المرسومة، لإيجاد «القاحال العالمي» وفي سياق الحديث عن «المؤتمر اليهودي العالمي» في القرن التاسع عشر، فإن «أوغسطين» يؤكد بنفسه هذا الاستنتاج الروسي.

وبعبارة أخرى: إن الحكومة التلمودية استمر نشاطها ولو سرياً، وبأشكال مختلفة، تلك الأشكال التي المح إليها «أوغسطين» بكلمة «العالمي»، ويوجد لدينا قرائن حتى نجزم بأن «المركز» في الوقت الحالي، غير متمركز في بلد واحد فقط، بل في دول كثيرة، وإن كانت سلطته قد توضعت بصورة أساسية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث توجد على شكل مديرين موزعين داخل دول كثيرة،

تعمل بموافقة السلطات العليا وشعوب هذه الدول، وفي مرحلة الاختفاء السرية «للمركز» يبدو أن الروس كانوا على علم أكثر من غيرهم، وتخميناتهم بدت صائبة تماماً.

وحاليا لم يعد هناك شيء سري بعد، حول كيفية حصول وإيجاد المديرين الدوليين للسيطرة على الحكومات غير اليهودية، فخلال نصف القرن الأخير، تم جمع وثائق كافية، ونشرت معلومات حول هذه القضية، وسنبين ذلك في هذا الكتاب لاحقاً وبالتفصيل، فالصعوبة الأكثر هي في فهم خضوع يهود الشتات في العالم لقرون عديدة: كيف استطاعت الطائفة الصغيرة من إحكام قبضتها وبقوة الشريعة القبلية ذات السلوك البدائي على هذا العدد الموزع في العالم خلال ألفين وخمسمئة سنة؟ .

سنحاول في الفصل التالي تبيان الأساليب التي تم تطبيقها في المرحلة التلمودية الطويلة من تاريخ صهيون ـ حيث امتدت هذه المرحلة حتى عام ١٨٠٠ ميلادية، هذه الأساليب، التي كان فيها الكثير من النفح الشرقي الآسيوي الخزري ـ التتري.

وغالباً ما كانت خارج إدراك عقل الإنسان الغربي، وكانت مفهومة أكثر لذاك الذي تعرّف على هذه الأساليب بتجربته الخاصة وسط «اليهود الشرقيين» قبيل الحرب العالمية الثانية، أو في تلك الدول حيث كانت السلطة في أيدي الشرطة السرية تمارس الرعب والإرهاب.

التلمود والغيتو

من الممكن الجدال بأشياء كثيرة، لكن الشيء الوحيد الذي لا يثير الشك ولا يقبل الجدل هو: الشريعة التي استطاعت جعل يهود الشتات في جميع أنحاء العالم يخضعون لها خلال تسعة عشر قرناً، رغم أنهم وحسب إرادتهم، كان بـإمكانهم تحطيم هذا النير، لو تمتعوا بقوة داخلية كبيرة. هذه الشريعة الفريدة من نوعها، كانت وستبقى على الدوام التلمود[1].

---

(١) ــ التلمود: يعد التلمود جوهر الشريعة اليهودية، وهو بمنزلة تفسير سري للتوراة ويقسم إلى قسمين «المشنا» ويعني تعاليم الشرائع العرفية، و«الجاماره» أي التفسير والاتمام والكمال. ونورد بعض العبر الأخلاقية العليا من التلمود، والتي تعد بمنزلة تعاليم دينية لدى اليهود:
«من يسيل دماً لغير يهودي، يكون بذلك قدم ذبيحة للرب».
«يسمح لليهودي أن يسرق غير اليهودي».
«لقد أمر الرب بتعاطي الربا مع غير اليهودي»
«جميع ثروات الشعوب، تنتقل إلى أيادي اليهود».
«إن أحسن الناس من غير اليهود، اقتلوه».
«أرواح اليهود هي جزء من الله وهي في جوهر الله، مثلما الابن هو من جوهر أبيه. فاليهودي إذن هو الرب الحي، الرب المتجسد، إنه إنسان السماء، إنه آدم. وأما باقي البشر، فإنهم أرضيون ومن عرق متدنٍ وهم لم يوجدوا إلا لخدمة اليهود، إنهم بهائم وضيعة»
ويعد التلمود المصدر الأساسي للعنصرية اليهودية ــ إن كلمة التلمود تعني كتاب تعليم ديانة وآداب وقواعد الشريعة لدى اليهود.
وشروحات التلمود تنبع من مصدرين:
١ ــ تلمود أورشليم وكان موجوداً في فلسطين سنة ٢٣٠ م.
٢ ــ تلمود بابل وكان موجوداً في بابل سنة ٥٠٠ ميلادية.
قيمة التلمود: يعد التلمود عند اليهود كتاباً منزلاً مثل التوراة، حتى إن الكثيرين من اليهود يعدونه أفضل من التوراة وأعظم.
وقد جاء في التلمود أن من درس التوراة فعل فضيلة لايستحق المكافأة عليها، ←

وكما ورد في الموسوعة اليهودية: «كان التلمود لأغلبية اليهود بمنزلة الشيء الأكثر نفوذاً... ليحتل الكتاب المقدس المرتبة الثانية»، وقد عثرنا في «الأرشيف الإسرائيلي» على ما قاله الحبر الكاثوليكي «مونسينور لاندري» الذي أكد: أنه كان «يجب على الجميع أن يعترفوا بالأفضلية المطلقة للتلمود على كتاب موسى». ونورد ما جاء في (رسائل بيراخت) «إن أقوال الشيوخ مهمة، أكثر من أقوال الأنبياء»، وهذا ما يعلّمه التلمود للآخرين.

إن محتوى التلمود، الذي تم وضعه في العصر المسيحي، موجه بكلّيته ضد المسيحية. ويعود نسبه إلى تلك الأصول التي جاءت منها التوراة، ويدّعي رجال الدين الكتبة، الذين ألفوا التلمود، الحق في إعادة النظر وتوسيع الشريعة اليهودية، وكأنها أعطيت لهم «شفهياً» على جبل صهيون.

لقد كُتب في الكتاب المقدس المسيحي أن (كنائس جميع الطوائف تتبنى وتعترف بـ «العهد القديم» ككتاب إلهي رباني، الذي يظهر فيه دعوة الرب للإيمان والحياة العادلة)، كما تمت الاشارة إلى ذلك في قرارات مجمع تريدينتي[1].

← ومن درس «المشنا» فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجاماره» فعل أعظم فضيلة.

في عام ١٥٠ ميلادية جمع أحد الحاخامات ويدعى «يوحناس» تعاليم الربيين والحاخاميين التي تدعو إلى اتباع ظواهر شريعة موسى بكتاب سماه «المشنا» أي الشريعة المكررة، والغرض من «المشنا» تفسير وتوضيح ماالتبس في شريعة موسى ثم علق علماء اليهود على «المشنا» حواشي وشروحات مسهبة دعوها باسم «الجاماره».

التلمود هو عبارة عن ثلاثة كتب أو أقسام أو أجزاء.

فالكتاب الأول: يتضمن فصلين يندرجان في حيز المعلومات والعموميات التي لابد من معرفتها.

والكتاب الثاني: يتضمن سبعة فصول تدور حول نظرة اليهود إلى الدين وفساده، والأسرار والشياطين والأرواح ومفاهيم الجحيم والنعيم ومسيح اليهود المنتظر وأصل الملائكة وأعمالهم.

والكتاب الثالث: يحوي عشرة فصول تدور حول فساد الآداب والتسلط والغش والربا وحياة الأغراب والمرأة واليمين والمسيحيين والحرمان من منظور يهودي لا لبس فيه. نقلاً عن مجلة «اتجاه» أسبوعية فكرية جامعة تصدر في بيروت ـ العدد الخامس ـ آذار /نيسان ١٩٩٧ ص٤٧٥ ـ ٤٧٦ المترجم غ.ك.

(١) ـ إرجع إلى الهامش في الصفحة /٤٠/ ـ المترجم.

من الملائم هنا، أن نطرح السؤال التالي: أين يكمن الاختلاف في مضمون التلمود والتوراة؟! وفي حال عدم وجود اختلاف.. ألا يدفعنا المنطق إلى إلحاق وضم التلمود المناهض للمسيحية إلى الكتاب المقدس المسيحي وإننا لو فعلنا ذلك لَبَدت في هذه الحال رفوف الكتب في المكتبات ممتلئة بالمجلدات الضخمة لهذا العمل (التوراة والتلمود) أما العهد الجديد، فإنه سيبدو أمام هذه النزعة التلمودية كما لو أنه كراس صغير، ضائعاً في خضم التلمودية فاقد لمضمونه ومرفوض كما وصفه العالم التلمودي «دراخ» بالشكل التالي: إن «مفهوم العدالة والمساواة والرحمة تجاه الغريب غير صالحة مع المسيحي، ومخالفة هذه القاعدة تعدّ بمنزلة جريمة. فالتلمود يحرّم قطعاً إنقاذ غير اليهودي من الموت وإعادة ملكه إليه .. أو حتى الإشفاق عليه» الخ.

إن القرار الكنسي اللاهوتي بـإضفاء صفة «الألوهية» على التوراة الحالية خلقت تشويشاً في المعتقد المسيحي، وأصبح من الصعب على المسيحية التخلص منه في المستقبل .

إن أوضاع التلمود التي سردناها، لا تختلف تقريباً عمّا ورد في «سفر التثنية»، وإعلانه بصفته الشريعة «الثانية» قبل ألف سنة من إنهاء ما سُمّي التلمود الفلسطيني، لأن هذا الأخير منحهم صفة مميزة ضد المسيحية.

لماذا كانت الحاجة عموماً إلى التلمود؟ والجواب عن هذا السؤال يعد بدهياً بما أن اليهود كانوا موزعين في العالم، وعلى الأغلب إلى الآن، ولم يفلح هؤلاء اليهود بعد من تجميع أنفسهم من جديد حول «الهيكل» مثلما يعتقدون ويخططون، وفي دول الشتات آنذاك واجههم «عدو» جديد. تلك الديانة، التي فضحت ولادتها، تعاليم الفريسيين وعدّتها هرطقة «الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون»، فضلاً عن ذلك، أصبحت الشريعة اليهودية معروفة بفضل ترجمتها «للعالم الوثني» التي عثر فيها على شيءٍ ما مفيدٍ له، ولكي تتم المحافظة على «الشعب المختار» «معزولاً» كان لابد من إيجاد شريعة جديدة خاصة بهم يمكن إخفاؤها عن أعين غير اليهود، لذا احتاجت التوراة إلى «سياج» لحماية نفسها، يكون ذا قوة كافية للمحافظة على اليهود من الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها وعدم السماح لهم «بعبادة إله آخر» حسب اعتقادهم.

كان التلمود في الحقيقة رداً عدائياً على المسيحية، وخطة إعادة نظر جديدة لحملة تقف في وجه «العدو» الجديد، والموسوعات المعاصرة لا يجوز الثقة بها، عندما تكتب عن اليهودية، لأنها تخفي هذا الأمر عن القراء غير اليهود، ونقف عند إحدى هذه الكتابات: «غالباً ما يتهم المسيحيون ــ بصورة غير عادلة مطلقاً ــ التلمود ضد المسيحية» إن هذه الكلمات غير صحيحة بتاتاً فقد دست بأيدٍ متحيزة لتشويه الحقيقة بهدف عرض الوقائع بصورة دعائية، إن الهجوم على المسيحية معلن في الطبيعة الخاصة للتلمود، إضافة لذلك إن تعاليمه الأخرى لا يوجد فيها شيء جديد، إنها إعادة لكلمات حزقيال والفريسيين.

وقد ورد في الموسوعة اليهودية: «إن ما جاء في الأساطير اليهودية، وفي التلمود وفي المدراش[1] (وفي المواعظ داخل المعابد) وفي الكراس عن «حياة السيد المسيح» (ولادة يسوع). كل هذه المصادر تمتلكها نزعة عدائية، بدأت باستخدامها في القرون الوسطى، تنتقص من شخصية السيد المسيح، وتلصق به تهمة الولادة غير الشرعية، والساحر، وكذبه المشين (حاشا للسيد المسيح أن تلفق بحقه هذه التهم. المترجم ــ غ.ك). وتسميه «هذا الذي ليس له اسم»، و«الكذاب»، و«مدعي النبوءة»، و«ولادة غير شرعية» . وإن اتهامه بالولادة غير الشرعية اطلقوه كي يصفوه كما جاء في سفر التثنية «**لَا يَدْخُلِ ابْنُ زِنىً فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ**». سفر التثنية ٢٣=٢ . ويحرّمون ذكر اسم السيد المسيح في العائلات اليهودية.

ووفقاً للموسوعة اليهودية فإنّ الكراس عن «حياة يسوع المسيح»، بدأ استخدامه في القرون الوسطى»، ومن المستبعد أن يكون ببساطة عبارة عن بقايا التاريخ الماضي. كان هذا من تأليف الحاخامات في العصر التلمودي ويستخدم في المدارس اليهودية حتى هذه الأيام، وبأشكال كثيرة متغيرة تكراراً لجميع الاستهزاءات والتهكمات التي صبت على السيد المسيح خلال فترة تألمه على الصليب. وقد سموا يسوع المسيح الولد الذي كانت ولادته غير شرعية لامرأة حلاق تدعى ماري وجندي روماني باسم بانديرا، ويلقبونه بتسميات عجيبة غريبة يمكن إيرادها، مثل «ولد العذراء المتهور». ويضيفون: إن يسوع المسيح تعلم

---

(١) ــ مدراش: كلمة آرامية وتعني المدرسة الدينية. المترجم ــ غ.ك.

السحر عندما أخذه يوسف إلى مصر. ويحوي هذا الكراس أخباراً فريدة عن السيد المسيح، التي يباح إخبارها لليهود. والصفة المميزة في كل هذه التصورات كانت للتأكيد، وكأن السيد المسيح لم يصلب. وبعد ظهوره في أورشليم، واعتقاله بسبب ادعاءاته و«السحر» الذي مارسه، زعموا أنه سُلّم إلى مجلس السنهدرين، حيث أمضى أربعين يوماً، عند «عمود العار» وبعدها تم رجمه بالحجارة وعلق في يوم عيد الفصح «اليهودي» فسأله رئيس الكهنة: «**أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟** » **قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُدرةِ، وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً «قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟** » **فَأَجَابُوه: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ». حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ قَائِلِينَ: «تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟** ». متى ٢٦=٦٤-٦٨ . إن هذا النوع من الموت يتناسب مع ما جاء في سفر التثنية للسيد المسيح، بينما عملية الصلب لا تتفق مع مطالب الشريعة اليهودية، ويضيف الكراس بأن السيد المسيح سيتم تعذيبه في جهنم بغطسه في ماء مغلي وسخ ملوث، وبدوره لا يلقب التلمود السيد المسيح إلا بهذه الألقاب مثل «مختل العقل» و«ساحر» و«كافر عديم التقوى» و«خارج على الدين» و«عابد الأصنام» و«....«و ».......» ونعوت أخرى مماثلة، والتعاليم بمثل هذه الخلاعة والعهر مستمرة لمئات السنين، وحصيلة الكتب التي ظهرت، كتبت بنفس هذه الطريقة لليهودي الإسباني «موسى دوي ليون» وأعيد طباعتها في عام /١٨٠٠/، إذ تتحدث عن السيد المسيح وكأنها تتحدث عن «وفاة ... دفن في كومة زبالة» والنصوص الأصلية اليهودية القديمة لهذا التفنن التلمودي وردت في كتاب لبيبل «يسوع المسيح في التلمود» يكتب هذا العالم: إن الحقد على السيد المسيح في المرحلة التلمودية «أصبح أكثر عنفاً معبراً بذلك عن الطبيعة العامة لليهود» وإنه «مع ظهور المسيحية فقد استحوذ الحقد المسعور الشبيه بالجنون على عقلية اليهود» وأن «الحقد والازدراء كانا بالدرجة الأولى موجهين دائما ضد شخصية السيد المسيح» وأن «ضغينة اليهود للسيد المسيح ـ حقيقة راسخة ثابتة، رغم أنهم يحاولون إظهارها بأقل ما يمكن».

إن الرغبة في إخفاء ما تعلّموه عن العالم الخارجي المختفي وراء سياج التلمود، أدى في القرن السابع عشر إلى حذف متقن للأدلة الموجودة في التلمود، وأصبحت محتويات التلمود لهذه الفترة معروفة بشكل واسع، وخاصة بفضل فضحها من قبل اليهود البروتستانت، وقد أدت للاستياء العام واضطرار الشيوخ التلموديين لإصدار الأمر التالي (بخصوص النصوص الواردة في النسخة اليهودية القديمة وفي ترجمة كتاب «دراخ» المربي في المدارس التلمودية الذي اعتنق المسيحية متأخراً): «نأمركم تحت خطر التحريم الأعظم، بعدم طبع أي شيء في الإصدارات اللاحقة كما هي «المشنا» وكذلك «جاماره» حسناً أو سيئاً عن أعمال يسوع المسيح الناصري، وإلى جانب هذا كونوا مثل الحلقة على شكل حرف (O) لتحذير الحاخامات ومعلمي المدارس، والتأكيد على أن هذه النصوص يجب أن تُدرّس للتلاميذ الشباب فقط شفهياً، وهذه التحذيرات تمنع اتباع يسوع الناصري بكل الإمكانات المتاحة من الهجوم علينا في هذه المسألة» (مرسوم المجلس اليهودي «سينودا» في بولونيا لعام ١٦٣١). وفي وقتنا الحالي، تقمع عملياً النقاشات والاحتجاجات العلنية المتعلقة بهذه المسألة من قبل الحكومات غير اليهودية، وأعيدت النصوص المشار إليها حسب معلوماتنا كاملة في إصدارات التلمود باللهجة اليهودية القديمة)، وإن محاولة الانتقاص والتشهير بـإصدارات الكتب للديانات الأخرى الغريبة، تميّز بقوة اختلاف اليهودية عن المعتقدات الأخرى، والتلمود عن سائر الكتب الدينية الأخرى. لم تعلّم الديانة الإسلامية والديانة المسيحية ولا حتى البوذية أو الكونفوشيسية الحقد على أي ديانة أخرى، أو على أي إنسان حسب معتقده ولا الرسول الكريم (ص) ولا يسوع المسيح علموا ذلك، كما تفعل اليهودية، فهم جاهزون للتميّز عن الآخرين بالعقيدة ويأملون أنه في وقتٍ ما وبمختلف الطرق وبـإرادة الرب سيجمعون شملهم.

فعلى سبيل المثال، يتحدث القرآن الكريم عن السيد المسيح كما ورد في الآية الكريمة التالية «**إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ**» سورة المائدة الآية ١١٠ . ويلوم اليهود لأنهم رفضوا «رسول الله» الذي أعطي «**الإنجيل بتعاليمه النورانية**» ويتحدث القرآن الكريم عن العذراء والدة السيد المسيح «**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**». سورة آل عمران

الآية، ٤٢ ويضيف «إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ». سورة آل عمران الآية ٤٥ .

فالجوهر الأساسي للتلمود يكمن في أنه الأحدث بين جميع «الشرائع الجديدة» لليهودية؛ وواضحٌ تماماً بأنه: تم توسيع الشريعة خصوصاً لكي تتم محاصرة المسيحية، ولم يدع مجالا للشك ما يجب على اليهود القيام به تجاه التلمود.

لقد واجهت الطائفة الحاكمة مشكلة أخرى، إذ طالبت بـإجراء تعديلات على كتب الشريعة: فقد وجد غير اليهود في ترجمة التوراة (أي العهد القديم) فوائد جمة لهم، بغض النظر عن أن الحدية القاتلة كانت موجهة ضدهم تحديداً. ولم يكن بـإمكان الكتبة اللاويين القدماء توقع ذلك، كما أنهم لم يتوقعوا ترجمة التوراة نفسها إلى لغات أخرى. وعانت الطائفة الحاكمة من صعوبات كبيرة لمنع وصول شريعتها الجديدة الخاصة بها إلى أعين الغرباء، لقد كان من الضروري إطلاع اليهود بالرغم من أن شرائعهم الدينية العنصرية تم ضمها إلى الإنجيل المسيحي لغاية ما، إلا أن التلمود نفسه، بقي لليهود وحدهم تحديداً وهم مطالبون بـاتباعه كاملاً.

وبهذا الشكل فقد وسع التلمود الهوة أكثر وشيّد جداراً أكثر مناعة بين اليهود وأتباع الديانات الأخرى، ولقد أشرنا سابقاً بأن التوراة تحدثت إلى اليهود وغير اليهود بلغات مختلفة، وبالأخص في سفر التثنية، ففي الترجمة يصفون غير اليهود بصورة غير مؤذية نسبياً مثل «شعب بلا عقل» غير أنهم ووفقاً لمقالة الموسوعة اليهودية عن «العنصرية ضد غير اليهود» في النسخ اليهودية القديمة، يسمون غير اليهود شعوباً «قبيحة وفاجرة» وخلافاً لذلك، تحتلّ التفسيرات المختلفة المكانة نفسها لليهود وغير اليهود في النسخ الأصلية للتوراة وترجمتها، أما التلمود، فهو سهل المنال والفهم لليهود فقط، وهو لهم، لم يدع أي شك فيما يتعلق بـإمكانية الترجمة الأكثر سهولة: إن النقاط الواردة أعلاه في سفر التثنية مستخلصة من سفر حزقيال الإصحاح ٢٣=٢٠ في المكان الذي يحدد فيه غير اليهود، مثل الناس «الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كَلَحْمِ الْحَمِيرِ وَمَنِيُّهُمْ كَمَنِيِّ الْخَيْلِ»، بهذه الروح تحديداً استمر التلموديون بتفسير شريعتهم.

كل كتابات التلمود كانت تهدف إلى تلك الغايات نفسها، والشريعة وفقاً للتلمود اقتضت إعادة الملكية المفقودة، ولتكن مثلاً الأرض، إذا كان صاحبها «أخاً أو جاراً» لكن لا يجوز إعادتها لغير اليهودي. وأما الكتب غير اليهودية، فقد دعوا إلى حرقها بكل بساطة، فأسلوب حرق الكتب من ابتداع التلمود مثلما هو في حينه «صيد الساحرات» فقد فرضتها التوراة. وطلبوا من اليهود يومياً التفوه بكلمات الشكر «ليهوه» قائلين «**مبارك أنت... لم تصنع مني إنساناً من عامة الناس**»، ووفقاً لما جاء في التلمود، فإن كسوف الشمس هدد بها فقط البائسين من غير اليهود، وقد أقر أحد أقطاب التلمود، الحاخام «ليون» بأن منع الانتقام لا يخص غير اليهود «**لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ**» سفر اللاويين الإصحاح ١٩=١٨ وبتفسير ما جاء في سفر عاموس الإصحاح ٨=٤ بشكل جامد «**إِسْمَعُوا هَذَا أَيُّهَا الْمُتَهَمِّمُونَ الْمَسَاكِينَ لِتُبِيدُوا بَائِسِي الأَرْضِ**». عثر فيه تأكيداً لكلماته، معطياً الانتقام طابعاً عنصرياً حيث لا يستطيع غير اليهود ان يفترضوا أي شيء من ذلك.

إن اليهودي الذي يقوم ببيع أرضه لغير اليهودي والمحاذية حدودها لأرض يهودي آخر، يخضع للتحريم وفقاً للتلمود، ولا يمكن لغير اليهودي من الإدلاء بشهادته في الجرائم الجزائية أو المدنية، فأقواله غير موثوق بها، بينما يوثق بشهادة اليهودي، واليهودي الذي يظهر في المحاكم غير اليهودية كشاهد وحيد ضد يهودي آخر يخضع للتحريم، وإن ممارسة الزنى من قبل اليهودي مع غير اليهودي لا تعتبر جريمة «**فالوثنيون لا يوجد لديهم شريعة تعقد لهم الزواج على زوجاتهم، وعلى هذا لا تعدّ هؤلاء النساء بمنزلة زوجات لهم**». وهكذا يستثنى عمداً غير اليهودي من الحياة الأبدية.

والتأويل التلمودي لأساس الشريعة الأخلاقية الإنجيل «**أحب إلهك من كل قلبك**» تلخص في التلمود وكأنها أمر للإنسان «ممارسة تعلم الكتابات المقدسة والمشنا في معاشرته للعلماء والحكماء من الناس» وبعبارة أخرى، **فأفضل** الجميع من يبين حبه للإله، ذلك هو الذي يقرأ التلمود متحاشياً مجتمع الناس من المعتقدات الأخرى، ومثال بسيط من وقتنا الحالي يوضح كيف إن الخضوع

للتلمود لقرون كثيرة مسخ الفكر البشري، وقد وصف أحدهم ويدعى «فرانك خودرف» في عام ١٩٥٢ الحالة على الشكل التالي «في إحدى الليالي الباردة، قرع علينا الباب حاخام، منظره يدعو للشفقة، كان يرجف من شدة البرد، إلا أنه بعد أن شرب كأساً من الشاي الساخن، حدثنا كيف أراد إنسان طيب بسيط اعطاءه قفازين (كفوفاً للأيدي تقيه البرد الشديد، وتصنع عادة من الجلد أو الصوف ـ المترجم. غ.ك) لكنه رفض قبولها، وشرح لنا الحاخام: إن اليهودي يجب ألّا يساعد غير المؤمن (وبالطبع فالمؤمن بنظرهم هو اليهودي فقط ـ المترجم غ.ك) لنيل مباركة الله العلي ورضاه. لقد اصطدمت هنا للوهلة الأولى بمذهب «الشعب المختار» واتضح لي أن هذا المذهب غير منطقي، ومن غير المعقول أن يكون بهذه **الحماقة والسفالة**».

إن هذه الحادثة تشير إلى ما أدى إليه «**السياج**» الذي شيده التلموديون بين اليهود وباقي البشر، وقد ألهم اليهود بشعور الازدراء والضغينة والحقد تجاه العقائد الأخرى. لكن ما أهمية التلمود لليهود؟ فقد كتبت الموسوعة اليهودية: إن «**التلمود حوّل التوراة إلى قانون جنائي**» بغض النظر عن الدقة المعتادة للموسوعة اليهودية، فإن فحوى هذه الجملة غير واضح تماماً. لقد كانت التوراة قانوناً جنائياً دائماً، ويكفي أن تقرأها بتمعن اليوم، حتى تتأكد بنفسك، إن العقوبات المكتوبة في التوراة قد نفذت في الواقع كما وردت على سبيل المثال في سفر «عزرا» و«نحميا»، ضد اليهود أو ضد الرومان بأمر من السنهدرين الذي أصدر حكمه على السيد المسيح «**الحليم والحكيم**». ويبدو أن الموسوعة اليهودية تريد القول بأنه في ظل النظام التلمودي تم تطبيق القانون الجنائي بانتظام وبصرامة أكثر.

وكما أشرنا سابقاً، إن هذا لا يثير الشك في أن الحاخامات «**شجعوا القتل حتى الموت بلا محاكمة، كتدابير احتياطية خارج المحكمة**» بقدر ما كانت قوانين البلاد التي يعيش فيها اليهود كمواطنين لتلك البلاد لا تسمح لهم باتخاذ حكم الموت، وهذا وحده كافٍ ليؤكد لأي درجة تم تطبيق التلمود «كقانون جنائي» عملياً. إن الوصايا القديمة الكثيرة والبسيطة بقيت بعيدة عن الكم الهائل من الشرائع وقرارات التلمود التي منعت أحياناً العيش بشرائع

أخلاقية، ولم تكتف بذلك بل أوجدت عقوبات صارمة بسبب «المخالفة». إن الالتزام بشرائع التلمود، كان هو الأساس، وليس السلوك الأخلاقي إطلاقاً.

وقد ناقشوا الأساليب التي يمكن من خلالها إصدار الحكم بالموت على المرتدين، وحسب رأي الشيوخ ينبغي أن يتنفس المرتد لوقت، مادام فمه مفتوحاً، حيث كان من الضروري حينها صب الرصاص المنصهر فيه، غير أن أحد الحاخامات «المباركين» أضاف في هذه الحال: يجب إبقاء فم المقرر إعدامه مفتوحاً، والإمساك به بمساعدة الملقط، كي لا يموت قبل صب الرصاص المنصهر فيه، ليدخل في أعماقه ويحرق روحه في جسمه. إن كلمات الحاخام «المبارك» هذه استخدمت بلا استهزاء يذكر، وربما حاول هذا الحاخام بتعاليمه المذكورة تبيان حقائق نيات الشريعة.

«لقد استحال التلمود إلى قشرة لا تخترق حول النواة التي قررت العيش ودثرت قلب اليهود بعقيدة باردة كالجليد، وقاسية كالفولاذ. لقد أصبح التلمود الذي حمله اليهود معهم في كل مكان بيتهم «وكما يرى «أوغسطين» أن التلمود: بيت بُنِيَ من الجليد والفولاذ وراء السياج بجدران عالية حوله، نوافذه مغلقة بـإحكام، وأبوابه موصدة».

واليهود في مسكنهم هذا «تبنوا أفكار الشعب المختار والخلاص المقبل واستطاعوا فهم كل ما يحدث، وقد وضعوا أنفسهم في مركز كل شيء» إن كرتنا الأرضية تشق طريقها في الفضاء وسط عدد لا يُحْصَى من النجوم، لكي تجلس اليهود على عرش ذهبي في المعبد، محاطين بأحضان جثث القتلى من الوثنيين: «**لقد عزلتهم الشريعة بحواجز لا تخترق عن العالم الخارجي**».

لم يستطع يهودي واحد، ما عدا معلمي التلمود من استيعاب كل هذه الأكوام من التشريعات ومن المحتمل، أن رواية هيئة الشيوخ التي مرت معنا هي التي كانت سهلة المنال لغير اليهود. ولو من السهل الحصول على النسخ الأصلية، لكان احتاج استيعابها بترجماتها إلى لجنة كاملة من المختصين، يوافقون على العمل بها طوال حياتهم.

حينما تم الانتهاء من صياغة التلمود، طرح سؤال: هل كان بـإمكان الطائفة الحاكمة ربط اليهود بهذه الشريعة «الجديدة»، والذين يعيشون في الكثير

من دول العالم، مثلما كان الوضع عندما أقدم عزرا ونحميا بمساعدة الفرس، على إرغام يهود «أورشليم» في عام /٤٤٤/ ق.م على الخضوع «للشريعة الجديدة» آنذاك (عزرا ونحميا كانا في ذلك الوقت في بابل)؟ . وقد أحسنت الطائفة أداء هذه المهمة بنجاح، وفي المؤتمر الثاني للمجلس اليهودي العالمي الذي عقد في بال بسويسرا عام ١٧٩٨ ، أعلن الصهيوني من مدينة كييف الدكتور «مانديلشت» أن «اليهود يرفضون قطعاً الأفكار التي تدعوهم للالتقاء مع الشعوب الأخرى، وسيظلون أوفياء لآمالهم التاريخية، أي إقامة إمبراطوريتهم اليهودية العالمية».

ويعدّ القرن العشرون الشاهد الحي على هذه المساعي والجهود التي تبذل لتحقيق هذه الآمال. لقد أكد نظام الغيتو بجميع الأحوال على مدى نجاح التلمود، وأتاحت الدعائية المستمرة تحقيق ما سعى إليه، واعتقاد الكثيرين من الباحثين للأسف في القرن العشرين أن الغيتو ما هو إلا بمنزلة معسكرات اعتقال، احتجز فيه اليهود من «المضطهِدين» غير اليهود. وقد تعرضت الحقائق عن كل تاريخ ظلم واضطهاد الجماعات الأخرى المختلفة من السكان في الغرب إلى تحريف: ومن ذلك التاريخ تم حذف كل شيء في القرن العشرين، ولم يبق إلا شيء واحد هي كلمة سيئة الشهرة: «ملاحقة اليهود».

وقد تعرض خلال الـ /١٩٠٠/ سنة الأخيرة، عدد كبير من البشر للملاحقة، ومن جملة هذا العدد كان اليهود، وهكذا فإن عدد اليهود الذين تعرضوا للملاحقة لم يكن كبيراً جداً، وفي أقسى فترة من الملاحقة والاضطهاد في القرن الحالي والتي حدثت في روسيا السوفيتية **لم يُضطهَد اليهود، بل اضُطهِدَ الروس أنفسهم.** ومؤلف هذا الكتاب لمس ذلك من خلال تجربته الخاصة، التي من غير المستبعد أن تكون قد سمحت له بالإجابة عن هذه الحقائق. فالغيتو (الأحياء اليهودية المغلقة) لم يشيد من قبل غير اليهود أنفسهم، بل كان استجابة ضرورية منطقية للمزاعم التلمودية، وأنهم تعلموا هذه التجربة اليهودية منذ بدايتها في بابل، وقد شبّه «اوغسطين» سابقاً التلمود بـ «البيت» الذي يعود إليه اليهود دائماً لايبرحونه، غير أنه لأجل إثبات وجودهم كان من الضروري وجود جدار يحميهم وسقف يختبئون تحته، والتلمود أقرّ بأن غير

اليهود لا يمكنهم أن يصبحوا جيران اليهود، ولم يسمح لليهودي بالقيام ببيع أرضه التي يملكها «للغرباء» من غير اليهود، إن هذا الوضع القائم من المستبعد أن يكون له هدفٌ آخر، غير إبعاد اليهود عن غير اليهود وعزلهم داخل الغيتوات.

إن أول غيتو تمت إقامته كان في بابل من قبل اللاويين، بموافقة السلطة المحلية هناك. ووفقاً لبعض المصادر التاريخية، فإن الغيتو التالي كان قد أقيم في فلسطين وجرى تشييده بمساعدة جنود الإمبراطور الفارسي الأخميني، وبُني حوله جدار ولم يسمح لغير اليهود بالعيش داخله. والغيتو الذي ظهر في أوروبا لاحقاً أُنْشئ بالشكل الذي كان موجوداً في بابل. ومن المحتمل بخصوص اليهود المعاصرين، فإن نظام الغيتو عد الأصعب من جميع الإرث الروحي، مثلما كتب الشاعر اليهودي: «**الغيتو صديقي، الغيتو حيث ماتت جميع آمالي بعد الولادة**».

واليهود المعاصرون الذين لا يعرفون ما هو الغيتو، يشعرون بأن مجرد التفكير به كافٍ لكي يزرع الرعب بداخلهم، رغم أنه أحد مكاسب التلمود الفريدة، الذي خضع له أسلافهم، وكان بمنزلة الوسيلة المحكمة المتقنة لإحكام السيطرة على اليهود الموزعين في مجتمعات مختلفة، وَوَضْعَ عقولهم تحت المراقبة، وأغلق الباب عليهم، وكأنهم في زريبة، ومن ثمّ فرض عليهم سلطة كاملة فوق رؤوسهم.

وجاء الطلب بتنظيم الغيتو من التلموديين أنفسهم (وبطبيعة الحال، فإن حياة اليهود خارج حدود بولونيا سارت داخل الغيتو) وإن النظرة المعاصرة، وكأن الغيتو يعني العنصرية ـ هي جزء من تلك الأساطير عن «الملاحقة والاضطهاد» والتي اعتبرت الهدف الأساسي لترويع اليهود وجعلهم يخافون الحياة المستقلة داخل المجتمعات التي يعيشون فيها، ومازال هذا الهدف لليوم يخدم الأسطورة والخرافة المفتعلة عن«معاداة السامية».

وعندما تمّ في الثلاثينيات من هذا القرن القضاء على الغيتو في روما، بأمر مباشر من موسوليني، وصفت المطبوعات اليهودية من صحف ومجلات هذا الحدث في حينه وكتبت عنه التالي: «لقد اختفى المكان الذي كان أحد الآثار العظيمة للحياة اليهودية، حيث كانت تدب فيه الحياة اليهودية منذ أشهر قليلة

وينبض نبضات نشطة، أصبح شبه مدمر، ولم يعد فيه سوى بضع أبنية مهدمة، كشاهد حي وذكرى لاختفاء هذا الغيتو، الذي راح ضحية عشق ومحاسن الفاشية، وبأمر من «موسوليني» تم مسحه من على وجه الأرض. ومن ثم فإن مسألة القضاء على الغيتو رآها اليهود خطوة «فاشية» ولكن البدايات الأولى لإقامة الغيتو (بطلب من اليهود أنفسهم) فسرت من قبل المؤرخين اليهود على أنها جاءت نتيجة طبيعية ومباشرة «للاضطهاد والجور اللذين تعرضوا لهما».

لقد اختفى الغيتو في عصر التحرر، وعدت مسألة البقاء عليه في هذا العصر بمنتهى الوقاحة، رغم أن القادة اليهود رأوا أن الفكر التحرري لن يحقق المساواة في جميع الأحوال. وقد ورد في طبعة الموسوعة اليهودية لعام ١٩٠٣ أن «**في الوقت الحالي وفي جميع العالم المتحضر لا يوجد غيتو واحد، بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة**» هذه زلة لسان مهمة للغاية، لأن اليهود في أماكن كثيرة بهذا الشكل أو ذاك مازالوا يعيشون بصورة ضيقة ضمن تجمعات متماسكة، وبطبيعة الحال إن الجدار الذي كان يحيط بالغيتو لم يعد موجوداً في عصر التحرر. لكن القانون الذي يحرم بيع الأرض «للغرباء» التي تقع إلى جوار أرض يهودي آخر قبل الحصول على الموافقة مازال ساري المفعول، ومن أجل إثبات هذا الكلام يجب أن نشير إلى أن مدينة مونتريال في كندا، حيث تم بفضل القانون المذكور تنفيذ هذا الأسلوب هناك، فإن أغلب الأحياء في المدينة المذكورة من الشرق حتى مركز الجبل برمتها يقطن فيها اليهود فقط، ولا يقل هذا شأناً عما إذا كانت هذه الأحياء بمنزلة غيتو حقيقي أم صوري.

إن تقهقر أسلوب الغيتو في العصر «التحرري» اعد ضربة قاضية للدعائم الأساسية التي تستند إليها السلطة التلمودية، وكان من الضروري البحث عن بديل له، وبخلاف ذلك فالقضاء الفعلي على الغيتو كان يمكن أن يؤدي إلى موت ما نسميه روح الغيتو، وقد تم العثور على هذا البديل في الصهيونية ــ أسلوب جديد لتحقيق الأهداف القديمة: وضع التجمعات اليهودية في حظائر وعزلهم عن باقي العالم، وهذه بعض التفسيرات لهذه المسألة فقد كتب الحاخام ايلمر بيرغير يقول: «**كثيرون يأملون بمراقبة صارمة لليهود على اليهود، وفي الوقت نفسه يأسفون على أنه في روسيا، حيث كان يوجد الأسلوب القديم**

للغيتو، والذي سمح بشكل عام بـإيجاد مراقبة سهلة لم يعد بـإمكانه الاستمرار من جديد» .

وكتب بيرنارد جورج أيضاً: «**أعمى البصيرة فقط هو من لا يرى، بأن تشجيع العيش ضمن جماعات على أساس العادات الدينية القديمة والثقافة الغنية يعني العودة إلى الغيتو... ومآثر الذين يحاولون تخليد نظام الغيتو غير عظيمة... وحتى أن المعرفة السطحية للتاريخ تؤكد أن اليهود هم أنفسهم من أقام نظام الغيتو»** .

إن ما ذكره أعلاه على لسان اثنين من الخبراء بالمسألة اليهودية، يؤكد أن الصهيونية ما هي في الحقيقة إلا انبعاث وولادة من جديد لنظام الغيتو التلمودي، وأهدافها هي هدم كل ما حققه عصر التحرر للشعوب، ودعوا من جديد لعزل اليهود وإبعادهم عن «الغرباء». إن النزعة الشوفينية والدعوة إلى الاستيلاء وإقامة إمبراطورية يهودية في «الشرق الأوسط» تخدم حقيقة هذه الأهداف الخفية لهذه العملية.

لقد حقق الصهاينة نفوذاً سياسياً ليس فقط على الحكومات غير اليهودية بل حتى على اليهود أنفسهم؛ ومن ثم فإن احتجاج بعض الشخصيات العالمية على ذلك لن يغير شيئاً في الواقع، لقد أعاد الصهاينة من جديد شريعة اللاويين حسب تفسير الفريسيين والتلموديين بكل ما كانت تملكه من قوة قديمة. وكما كانت مواقفهم السابقة في علاقاتهم تجاه الآخرين (وفي المستقبل ستكون عبر إملاء وفرض هذه الشريعة) لم تكن إطلاقاً مثل ما جاء في مقالة «مواقف اليهودية المعاصرة» عام ١٩١٦ .

وبعد عام واحد من نشر المقالة المذكورة آنفاً، وتحديداً في عام ١٩١٧ جرت أحداث ومتغيرات كثيرة في العالم، في الوقت الذي استحوذت فيه تقاليد التلمود على عقول أغلبية اليهود ولم تستطع أي مواقف لليهودية المعاصرة الصمود أمام هجوم الذين ظهروا علناً على مسرح السياسة العالمية وهؤلاء هم الحكماء الصهاينة الخياليون.

انتظار مسيا (المخلّص)

لقد عاشت الجماعات اليهودية في الغيتو في ظل مراقبة صارمة لنظام التلمود، عبر إيجاد أساليب الإرهاب المباشر، حيث تم وضع نظام المراقبة والوشاية، والحرمان، واللعن، وعقوبة الموت، وأوجدوا نظام الشرطة السرية ومعسكرات الاعتقال، ومن الواضح أن هذا النظام الذي أقامه القادة الشيوعيون فيما بعد، أنشئ على هذا الشكل وكان معروفاً جيداً لمنظميه التلموديين.

وخلال قرون كثيرة، من الإدارة، كان الإرهاب والعقيدة الجامدة لهذا النظام، وقد خلف وراءه عاقبتين جديتين: من جهة كانت الاصطدامات المتكررة للذين كانوا ينتظرون مجيء مسيا ــ كتعبير عن رغبتهم في التحرر من الإرهاب الروحي، ومن جهة ثانية الاحتجاجات المتكررة ضد العقيدة الجامدة وسط اليهود أنفسهم.

وفي هذا الشأن يمكن رؤية الأحاسيس ذاتها التي جعلت «الشعب يبكي» قديماً في الفترة الأولى لإعلان الشريعة. لقد منع التلمود عملياً اليهود من مزاولة أي نشاط، ماعدا جني النقود (وفقاً لكلمات «أوغسطين»: «لقد سمحوا لليهود بحرية القيام بأي عمل ضروري لمصلحة النشاط الاقتصادي») ودراسة التلمود («عندما لم تكن الشريعة تعطي تعليمات واضحة وصريحة فيما يخص أي تغيير طارئ في الحياة العملية لليهود، كانوا يحاولون إيجاد تفسير قريب يسمح لهم بذلك»).

لقد تم توجيه نشاط جميع اليهود ضمن شبكة محكمة بشدة، هذه الشبكة التي وقع اليهود في أحابيلها «فهم لم يقوموا ببناء سياج حول الشريعة

لكنهم عزلوا أنفسهم عن العالم الخارجي بشكل كامل، أكثر مما كان عليه الوضع في القديم وحشر اليهود أنفسهم في إطار الشريعة الخاصة بهم، وأقاموا جداراً حول أنفسهم، ومع هبوب أي رياح أو حركة معينة في أي مكان ما، كان عليهم أن يفكروا فيما إذا كان «التلمود يسمح بذلك أم يحرمه». أما الطبقة الحاكمة اليهودية، فهي التي تجد الحلول لهذه المسألة.

ومع مرور الوقت تولدت شكوك عن صلاحية هذه الشريعة حتى لدى الخاضعين لها: «**هل يمكن أن تكون، في الحقيقة جميع التعليمات الجديدة أو قرارات المنع قد أعطاها الرب على جبل صهيون؟** لقد أصر الحكام على هذا بلا قيد أو شرط وقد كتب ألفريد ايدرسغ يقول: «**وفقاً للعقيدة اليهودية، إن الرب أنزل لموسى على جبل صهيون في وقت واحد الشريعة شفهية ومكتوبة مع كافة التأويلات والتفسيرات وأسلوب استخدامها**». لقد خضع اليهودي ظاهرياً، لكن بداخله لم يكن بمقدوره أن يوافق على المطالب السياسية البحتة، فأدّى ذلك إلى عواقب طريفة أحياناً.

ومثالاً على ذلك، فإن البرتغالي «ماران اوريل داكوستا» (لقد كان المارانيون يهوداً، واعتنقوا المسيحية، بشكل ظاهري فقط) عاد ليعتنق اليهودية. ولكنه انذهل من مضمون التلمود، ونشر في عام /١٦١٦/ في هامبورغ، «خطاباً ضد التقاليد التلمودية» فضح فيه «الفريسيين»، مؤكداً بأن أعمال التلمود كانت من صنع أيديهم، وبجميع الأحوال لم تأت من الرب. كان هذا الخطاب موجهاً إلى يهود البندقية، وحاخامهم، ويدعى «ليومودين»، الذي وصم «داكوستا» بأوامر من الهيئات العليا، بأنه العدو اللدود المرعب وأصدر بحقه الحرمان من اليهودية، وإثر وفاة الحاخام «مودين» عثروا على كتاباته، التي يوضح فيها، بأنه كان متّفقاً كلياً مع وجهة نظر «داكوستا»، ولكنه لم يتجرأ على قول ذلك، وأصدر الحرمان على «داكوستا» جرّاء ما آمن به هو نفسه.

ولم يستسلم «داكوستا»، ونشر في عام /١٦٢٤/ «بحثاً عن تعاليم الفريسيين ليتسنى له مقارنتها مع الشريعة المكتوبة». وعلى إثر ذلك تقدم التلموديون من امستردام، حيث مقر عيش «داكوستا»، بدعوى «شكوى» ضده إلى المحكمة الهولندية يتهمونه فيها وكأن خطابه يقوض أسس العقيدة المسيحية،

وأُحرقت أعمال «داكوستا» بأوامر من السلطات غير اليهودية؛ ووضعت هذه السلطات نفسها في موقع المطيع والأداة للتلمود. إن هذه الحادثة توضح أن خضوع السلطات غير اليهودية لأحلام وتطلعات قادة الطائفة اليهودية يتكرر عبر التاريخ قرناً بعد قرن منذ انهيار بابل وحتى يومنا هذا. وجرت محاولات عديدة لدس السم «لماران داكوستا»، إلا أنه مات في عام /١٦٤٠/ مقتولاً بالرصاص.

إن التاريخ اليهودي له باع طويل في مثل هذه الحوادث، وينتاب المؤرخين رعب مخيف عندما يقومون بنبش صفحات التاريخ اليهودي، وكان ما يسمى «بالحرمان الأعظم» مساوياً من حيث الجوهر الحكم بالموت، وكانت الغاية تكمن في صب اللعنات المذكورة على رؤوس الضحايا، كما وردت في سفر التثنية، واستخدمت هذه اللعنات حرفياً وعلى محمل الجد، وأما لأنصار الطائفة، فإن هذا الأمر مازال مستمراً حتى وقتنا الحالي.

وفي مقالة عن اللعنات، كتبت الموسوعة اليهودية قائلة «إن الأدبيات التلمودية أظهرت العقيدة بكل ما لهذه الكلمة من قوة حقيقية، وصلت إلى حد الخرافة العلنية، واللعنة التي يوجهها الحاخام العالم حتمية، حتى وإن كانت لا تستحق أن توجّه، ووجّهوا اللعنات أحياناً من دون التلفظ بكلمات، فكانوا يكتفون فقط بـإلقاء نظرة ثاقبة على الضحية، والنتيجة الحتمية لهذه النظرة كانت إما الموت المفاجئ وإما العوز المادي.

ومازالت هذه الممارسات معروفة، إلى يومنا هذا مثل «نظرة ازدراء» عمّا قيل في الموسوعة: «هذه الخرافات القديمة عرفتها جميع الأجناس تقريباً، وإلى الآن مازالت تعيش وسط الأميين والمتوحشين» ووفقاً للموسوعة اليهودية: إن مثل هذه اللعنات متساوية في أحكام فرضها حسب الشريعة اليهودية، مادامت «التوراة أيضاً» تعتبر خاضعة للتلمود، وكتب مترجم التلمود إلى اللغة الإنكليزية «م. ل رودكينسون» يقول «إن أي سطر في التلمود»، لا يجوز أن يتعرض نهائياً لأي تعديل، وبالتالي فإن التلمود مستمر وفقاً لتقاليد وممارسات اللاويين الواردة حينه في سفر التثنية.

فالأمثلة الواردة تبين، بأن صب اللعنات بالكلمات أو «نظرات الازدراء» مازالت تعد جزءاً لايتجزأ من الشريعة لتاريخه. والمثال على هذه الأفعال «نظرة

العداء الثاقبة» ما أورده «ويتاكير تشامبيرس»، حيث يصف اللقاء مع محامٍ يهودي كشف له عن العميل السوفيتي «ألجر هيس». وبعد احد هذه اللقاءات، أصبح لدى «تشامبيرس» نيّة إنهاء حياته انتحاراً، ولكن مناسبة سعيدة فقط هي التي أنقذت حياته، لذلك ندع القراء يتخيلون حل اللغز بأنفسهم، هل كانت هاتان الحادثتان متصلتين فيما بينهما.

كان التحريم بمنزلة سلاح فتاك، أدلى بشهادته عنه فصيح اللسان ـ المترجم «م. ل رودكينسون» حيث يقول: «من السهل أن نعي كم كان فظيعاً انتقام الحاخامات التلموديين من الناس العاديين أو العلماء، الذين تجرّؤوا على قول رأي معين، يختلف بشيء ما عن أرائهم الشخصية، أو على سبيل المثال، الذين يخالفون شريعة السبتيين باستخدامهم منديل الجيب للأنف، ويشربون النبيذ غير اليهودي. إن هؤلاء عدّوا حسب رأيهم مخالفين للشريعة، ومن يتجرأ ويعترض على سلاح الحرمان المخيف، يمسخ هذا الانسان بتحويله إلى ذئب، ويعزل بعيداً عنهم، فهو موبوء للآخرين؟ وكثيرون هم من تجرّع هذه الكأس المرة وابتلعه القبر وآخرون فقدوا عقولهم».

لقد كان هذا مصير عدد كبير من العلماء البارزين، ومن هؤلاء العلماء «موسى بن ميمون» الذي ولد في المركز التلمودي في قرطبة عام ١١٣٥، وهو مؤلف التشريع الشهير للمبادئ اليهودية، وامتلك الشجاعة ليكتب: «أثناء الصفقات لا يجوز الإغواء أو الكذب على أي إنسان. ومن الضروري أن تكون العلاقة مع غير اليهودي كما هي تحديداً مع اليهودي... وبعض المتكبرين يسمحون بالكذب على غير اليهودي، وهذه خطيئة مبنية على الجهل... وكل الكذب والنفاق والاحتيال والنصب في العلاقة مع غير اليهودي ـ منظورة في أعين القادر على كل شيء، وجميع الأفعال غير العادلة، قبيحة في نظر الله سبحانه وتعالى».

لقد وشى التلموديون بـ «ابن ميمون» لدواوين التفتيش لمحاكمته، وذكروا في التهمة التي وجهوها إليه «في وسطنا يوجد مرتد وغير مؤمن، وقد أغوى «موسى بن ميمون»، وبذلك تطهرون تجمعاتنا من المرتدين، وتطهروننا نحن أيضاً». وبناءً على هذه المطالب، فقد تم حرق كتبه في باريس ونابولي، واستناداً

للشريعة التلمودية التي أمرت بإحراقها، ونُقِشَ على قبره الحجري الكلمات التالية «هنا يرقد اليهودي المحروم».

نفّذَتْ دواوين التفتيش والملوك غير اليهود في القرون السابقة تمنيات الطائفة المتزمتة، كما يفعله الآن ساسة يومنا هذا. غير أنه بمساعدة تزييف التاريخ، تم الإيماء لا قناع غير اليهود، وكأن الهدف الأساسي لدواوين التفتيش كان دائماً «ملاحقة اليهود».

إن الأنموذج الحي في هذا المجال الذي استشهدنا به مراراً هو أنموذج «اوغسطين»، الذي كتب منذ البداية: إن دواوين التفتيش لاحقت «المرتدين والناس أصحاب العقائد الغريبة» وأضاف «أي على الأغلب اليهود»، وبعد ذلك رسم اللوحة كما لو أن اليهود هم من تعرض للملاحقة، (والشبيه بهذا في وقتنا الحالي هو الادعاء بالملاحقة الهتلرية التي مرت بأربع مراحل دعائية تحريفية: دار الحديث أولاً عن **«السياسيين المعارضين»** وبعدها عن **«السياسيين المعارضين واليهود»** ولاحقاً عن **«اليهود والمعارضين السياسيين»** وفي النهاية وحدهم **«اليهود»**).

وحدث أن قامت دواوين التفتيش بحرق كتب التلمود، بالرغم من أنه كان منطقياً أكثر ــ وإن كان مجرد التخمين، حسب رأينا ــ لو أنّهم قاموا بترجمة ونشر الادلة الأكثر وضوحاً فيها. وكان من المفيد أيضاً القيام بلا شك بذلك الآن. غير أنهم احرقوه واحرقوا الكتب التي تنتقد التلمود، وتم ذلك حسب رغبة الطائفة اليهودية الحاكمة. وإذا كان الدومينيكاني «نيكولاي دونين» في عام ١٢٤٠ الذي اعتنق المسيحية اليهودية، قد تقدم ببلاغ عن التلمود، فقد غادر إحدى دواوين التفتيش في باريس بلا عقوبة. لكن في عام ١٢٣٢ تم جهاراً إحراق أعمال «ابن ميمون» التي تنتقد التلمود بشكوى من التلمودين.

والناقد الأخطر الآخر للتلمود كان الفيلسوف «باروخ سبينوزا»، الذي ولد في امستردام عام ١٦٣٢، فقد فرض حاخام امستردام الحرمان عليه، وألقى عليه صيغ اللعنات المأخوذة مباشرة من سفر التثنية: بحكم الملائكة وبأمر القديسين نصدر الحرمان ونبذ ونلعن «باروخ سبينوزا» أمام هذه الكتب المقدسة وما أدرج فيها من /٦١٣/ أمر تحريم أعطاها يشوع بن نون ليرخون، نلعنه مثلما لعن

يرخون الأطفال، وكل اللعنات الواردة في التوراة، وسنصب عليه اللعنات ليلاً ونهاراً، ملعوناً عندما يخرج من داره وحين عودته إليه، ولن يغفر له الرب أبداً، وسنحرق هذا الإنسان بغضب وسخط وغيظ الرب، وستحل عليه جميع اللعنات المكتوبة في الشريعة، وسيمحي الرب اسمه من قائمة الموعودين بالجنة، وسيلقي به الرب خارجاً مع جميع الملاعين من السماء، لأجل هؤلاء الهالكين من جميع قبائل بني إسرائيل كما هو مكتوب في التوراة، لا تدع أحداً يتكلم معه، ولا أحداً يكتب له، ولا يظهر أحدٌ تجاهه الرحمة، ولا يلتقِ أحدٌ معه تحت سقف واحد، ولا يسير أحدٌ بجانبه.

لقد تم طرد «سبينوزا» من امستردام، وحسب كلمات الموسوعة «تعرض للملاحقة، التي جلبت له الموت»، هذه الملاحقة التي تمت وفقاً للأسلوب المتبع، الذي كتب عنه «م.ل رودكينسون»، دفع حياته ثمناً لذلك، وبسبب العوز المتقع الذي وضعه فيه الآخرون فقد توفي عن عمر يناهز أربعة وأربعين عاماً، حيث عاش في مدينة مسيحية، بعيداً عن مركز التلمود، لكن ابتعاده هذا لم يكن كافياً كي يتجنب عملية التحضير لقتله.

وبعد مرور مئتي سنة على هذه الحادثة، وفي عصر «التحرر» وقع اليهودي الألماني «موسى منديلسون» في هرطقة، أعلن أنه يجب على اليهود الحفاظ على عقيدتهم، والاختلاط مع باقي البشرية، وإنقاذ مصيرهم، وهذا يعني التحرر من أغلال التلمود والعودة إلى الأفكار الدينية القديمة، النور الذي شعر به أنبياء بني إسرائيل القدماء، وكان أساس فكره «**أخوتي، بدءاً من الآن ينبغي أن تكونوا مثالاً يحتذى للمحبة، مثلما كنتم إلى الآن مثالاً للحقد**»، نشأ «منديلسون» وتعلم التلمود، وترجم الكتاب المقدس لأجل أطفاله إلى اللغة الألمانية، وطبع هذه الترجمة لاحقاً لأجل استخدامها وسط اليهود، ليعلن بعدها الحاخام التلمودي: «إن ترجمة منديلسون يمكن أن تعلم الشاب اليهودي اللغة الألمانية، وليس فهم التوراة وقد حلت عليه اللعنة الدينية.» وأضاف قائلاً: «على جميع اليهود ذوي الإيمان، الذين لا يرغبون أن يتعرّضوا لخطر الحرمان من الدين، لا يجوز لهم استخدام هذه الترجمة»، وكان من نصيب هذه الترجمة بعد ذلك الحرق علناً وجهاراً في برلين.

إن المحاولات التي جرت لإصلاح اليهودية، أقلقت اليهود دائماً ولم يكتب لها النجاح قطّ: لقد تغلبت عليها الطبقة الحاكمة دائماً وكان لهذا سببان: فمن جهة أولى، ساندت السلطات غير اليهودية بلا تحفظ الطائفة اليهودية بعقيدتها الجامدة، ومن جهة ثانية، تعوّد اليهود على الطاعة العمياء. وبهذا الخصوص فاليهود أو الحشود كفيفو البصر وسواد الناس لا تختلف بشيء عن غيرها عبر جميع مراحل التاريخ المتعددة. لقد انقادت الجماهير للثوار في فرنسا، وللشيوعيين في روسيا، وللحزب القومي ـ الاشتراكي في ألمانيا، لقد كان انقيادهم بلا وعي دائماً، وأقوى من إرادتهم في التصدي بسبب الهلع والخوف أمام الخطر المحدق، وهكذا تعاملت دائماً مع اليهود والإرهاب التلمودي.

المهمة التخريبية

إن قراءةً لمئات المراجع حول تاريخ صهيون تقود إلى فهم أساس مهمته، ومعبراً عنها بشكل صريح في الكلمات القليلة للمؤلف اليهودي موريس صاموئيل التي نستشهد بها عما ذكر أعلاه، حيث يقول: «نحن اليهود ـ مخربون... وسنظل دائما مخربين... بحيث لا تفعل ذلك الشعوب الأخرى، وهذا لن يكون الجواب النهائي لحاجاتنا ولا على مطالبنا»[1].

ويتبين لنا، للوهلة الأولى أن هذا القول، عبارة عن حديث مفخخ، وصاحبه مصاب بمرض «النورستنيا» أي ضعف الأعصاب، إلا أن قراءة عميقة متأنية للمسألة توضح لنا بأن هذه الكلمات منتقاة بشكل ممتاز، وتعني أن الإنسان يُولَد يهودياً ويظل على الدوام يهودياً، ويحصل على وظيفة تخريبية، ولا يمتنع عن تنفيذها إلا من لا يكون بوعيه.

والمنحرف عن الشريعة، لن يعد في نظر القيادة، يهودياًجيداً، وإذا أراد أو اضطر لأن يكون جيداً يجب عليه إطاعة هذه الشريعة.

---

(١) ـ «نحن اليهود، الذين نصّبوا أنفسهم كمنقذين للعالم، نحن الذين تباهوا بأنهم قدموا للعالم المخلّص، ولم نعد اليوم أكثر من مخربين للعالم. إننا أدواته المدمرة ومشعلو حرائقه وجلادوه. لم يحدث بعد ذلك أي تقدم، والأقل الأقل في مجال التقدم الأخلاقي. وبالفعل فإن أخلاقنا حالت دون أي تقدم حقيقي. والأكثر من ذلك، أنها حالت دون إعادة تعمير العالم الواقع في الخراب. إني أنظر إلى هذا العالم وأرتجف، خاصة أني أعرف المنفذين الروحيين لهذه الأهوال إنهم نحن اليهود». د. واسكارليفي «المؤشر العالمي للثورة الروسية» كتيب نشره في أوكسفورد م. ج. بيت. نقلاً عن كتاب الصهيونية. دار النضال ـ بيروت عام ١٩٩٠ ص٢٨٩ المترجم ـ غ.ك.

وفي هذا الشرح يتبين بأن دور القيادة اليهودية، كان هكذا دائماً عبر مراحل التاريخ، ولم يكن بـإمكانه أن يكون شيئاً آخر غير تخريبي، واستطاعت مهمته التخريبية في حياة هذا الجيل في «القرن العشرين» تحقيق قوتها الكبرى، حيث أدت إلى النتائج التي مازال من الصعب التكهن بها كاملاً، وهذا ليس رأي مؤلف هذا الكتاب وحده فقط. وكما هم الكتّاب الصهاينة أنفسهم، وكذلك الحاخامات «خونة» اليهودية، ولم نقل بعد عن المؤرخين غير اليهود، الذي اتفقوا فيما بينهم حول فهم المهمة اليهودية على أنها تخريبية. ولا يوجد شك حول هذه المسألة لدى الباحثين الملتزمين، وعلى الأرجح إن هذه المسألة هي الوحيدة التي ساد فيها الرأي بالإجماع.

ولقد صور اليهود كل التاريخ البشري بهذه الصورة، وإن المهمة التخريبية عُدّتْ شرطاً ضرورياً لتنفيذ الشريعة اليهودية وتحقيق الانتصار النهائي لليهودية.

وإن «التاريخ البشري» يعني لليهود كلهم عكس ما يعنيه للمسيحيين. فالتاريخ للمسيحيين يعني «مدونات تأريخ المسيحية» وما كان سابقاً، قبل ذلك كانت تسوده الأساطير والخرافات، أما لليهود فالتاريخ قد كتب في (التوراة ـ والتلمود ـ ورسائل الحاخامات) وتعود بدايته إلى عام /٣٧٦٠/ قبل الميلاد، وكأنه تأريخ دقيق لخلق العالم، فليس هناك فرق عندهم بين «الشريعة» و«التاريخ» ولا يوجد تاريخ آخر عدا تاريخ اليهودية، وجميع القصص التي انبسطت أمام أعين اليهود ما هي إلا مجموعة أعمال تخريبية متلاحقة وثأر يهودي، أكان ذلك في وقتنا الحالي أم منذ /٣٠٠٠/ سنة مضت.

وفي مثل هذه الحالة تعد حياة جميع الشعوب الأخرى فاقدة لجميع مصالحها وأهميتها. وكل الواعظين وغير اليهود ينظرون إلى ماضي العالم وحاضره من خلال عيون يهودية. ويشاهدون أن كل ما افتخروا به أو خجلوا منه وما بدا لهم موجوداً بكل بساطة بأنه غير موجود، وربما يكون خلفية رمادية لتاريخ صهيون البهي. وكأنك تنظر بعين واحدة إلى نفسك من الجهة المعاكسة للأنبوب البصري، وينظر الآخرون عبر عدسة مكبرة إلى اليهود. وأما اليهودي المؤمن، فإن الكون مسطح مثلما بدا لنا في القرون الوسطى؛ ويرى اليهودي بأن

سيده القادم يقبع في مركز هذا الكون. واتيح للطبقة الحاكمة اليهودية لدرجة معينة من فرض نظريتها حتى على شعب أوروبا الغربية، مثلما تمكنت سابقاً من إرغام اليهود على قبول الشريعة. وإن أمر «التخريب» نتاجٌ لأسس الشريعة التي أوجدها اللاويون. وإذا تم إلغاء هذا الأمر، فلن يبقى شيء من الشريعة حتى شريعة موسى، ومن ثمّ قد يفقد الدين اليهودي بكامله وجوده ويتحول إلى لا شيء سوى صيغة «**خَرِّبْ**» وهي صفة أساسية للشريعة، وإن هذه الكلمة بالتحديد هي التي لم يتم انتقاؤها مصادفة، وكان بالإمكان اختيار كلمات أخرى «**حَارِبْ**» و«**انْتَصِرْ**» و«**أخضع**» والخ.. ولكن تم انتقاء كلمة «**خَرِّبْ**». إن هذه الكلمة فكر بها المؤلفون الذين صاغوا الشريعة، ولكنهم وضعوها ونسبوها على أساس أنها تعاليم الرب، وهذا هو التحريف في العهد القديم تحديداً الذي فضحه السيد المسيح حين قال للفريسيين «**أنتم ... تُعَلّمون شريعة بشريّة**»(١).

إن تحريف اللاويين للتاريخ بدأ منذ البداية الأولى، عندما نطق الرب الكلمة وكأنها قيلت لهم مع الوعد الإلهي بأرض الميعاد «أَبِدْ جميع الشعوب الذين منحك سيدك الرب سلطاناً عليهم»، وحتى قبل هذا فأول وثيقة ثأر ضد الوثنيين نطقها الرب أيضا: «**فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ... وأَضْرِبَ كُلَّ بِكْرٍ في أَرْضِ مِصْرَ..**».

وبدءاً من هذا المطلب فإن كلمة «أبد» تمر عبر كل الشريعة، حيث احتلت هذه الكلمة المكانة الأولى، ويأتي بعدها كتابة الأحداث التاريخية، وأحيانا تبدو وثيقة الإبادة وكأنها مؤامرة بين الرب والشعب المختار «وكأن الرب يدعو إلى الإبادة، أو أن الشعب المختار يطلب من الرب أن يفعل ذلك». وفي كلتا الحالتين، تبدو الإبادة لدرجة معينة فعلاً تشكر عليه، وأنها خدمة تجيب عن نفسها بنفسها: «**إذا أردت أن تكون... وفعلت كل ما أتكلم به، اعادي أعداءك... وتبيد جميع الشعوب، التي أعطاك الرب إلهك إياهم**» سفر الخروج. وهنا نجد بأن الرب وعد بالإبادة بدلاً من «المحافظة»، وكذلك الأساس الذي ارتكزت عليه «الشرائع والكتب» ورد فيه: «**أبيدوا كل الأماكن، التي تحتلونها، حيث الشعوب، تكونوا قد خدمتم ربكم**» سفر التثنية.

إن الأمر «**بالإبادة الكاملة**» يعد من أحد أسس عقيدة الشريعة، وإظهار أي رحمة وتسامح لا تعد خطأً فحسب، بل مخالفة مؤلمة للشريعة. وجراء هذه الجريمة تحديداً (ووفقاً للشريعة، فإن هذه لم تكن ذنباً مقترفاً بل هذه جريمة بالتحديد)، قد تم معاقبة «شاول» القيصر الأول والوحيد للقيصرية اليهودية ـ الإسرائيلية الموحدة. وعزل اللاويون «شاول» من على العرش، ووضعوا في مكانه «داؤود» اليهودي، وزد على ذلك إن أهمية وأسباب اعتلاء «داؤود»: «قيصر جميع العالم المقبل» تكمن في أنه يجب أن يتم اختياره من جنسه. وهذا المطلب قاسٍ للانتصار الوارد مراراً في كتب الشريعة وبالأخص في القصة المجازية عن مذبحة ميديان، واحتوائها رواية عن النبي موسى ـ (سفر العدد). هذا هو الأساس الذي بنيت عليه كل الشريعة، التي لقن بها التاريخ القديم وجميع العصور اللاحقة، ومنذ تلك اللحظة، عندما نبذهم «إسرائيل» وترك اليهود وحدهم تحت رحمة اللاويين، حيث وقعوا بذلك تحت السلطة المطلقة لرجال دينهم، الذين علموهم، أن المطلب الأساسي ليهوه كأنه كان هو إبادة جميع «الغرباء» وإنهم أي اليهود اختارهم الرب لأجل هذه الأهداف. ومن ثم، فإن اليهود تحولوا إلى الشعب الوحيد في التاريخ الذي كانت مهمته التخريب بحد ذاته، التخريب كأحد العوامل المساعدة للحروب ـــ وطبيعتها معروفة جيداً للتاريخ العالمي. لكن التخريب كهدف معلن جهاراً كان غير معروف لتاريخه، ومصدر هذه الأفكار الوحيد المعروف لنا هو التوراة والتلمود. وكانت النية واضحة بقدرٍ ما، لتنظيم قوى فاعلة تخريبية دائمة، وهذا ما يمكن أن يجعلنا شاكرين «لموريس صامويل»، للاعتراف الصريح الذي استشهدنا به سابقاً.

وخلال جميع الأوقات، التي كانت فيها مجموعة كبيرة من يهود الشتات وسط الشعوب الأخرى خاضعة لمثل هذه الشريعة، كان يجب عليها حكماً، أن توجه قدرتها للتخريب. وعندما أتيح للاويين خلال أعوام /٤٥٨ـ٤٤٤/ قبل الميلاد، تكبيل أغلبية اليهود في بابل بقيود شريعتهم، ليؤدي ذلك إلى ولادة «أمة» بمساعدة الفرس، هذه «الأمة» التي مازالت تلعب دوراً مؤثراً لتاريخه: لم تغير نفسها، بل غيرت ظروف الحياة بانتظام، وطبيعة الشعوب المحيطة بها.

لقد أصبح هؤلاء اليهود منظمين لكل العالم، وكان التغير الذي دعوا إليه

مهلكاً دائماً. إن هذه العملية جلبت المصائب والويلات للشعوب غير اليهودية (الذين خدموا الطائفة الحاكمة جلبوا لأنفسهم الكوارث) غير أنها لم تعط أي شيء جيد لليهود أنفسهم، ورثة هذه المهمة الكئيبة.

إن غير اليهود عاشوا وسيعيشون لاحقاً، بغض النظر عن وجود أكثر من دانيال ومورد‌خاي قديماً وفي وقتنا الحالي. وقد حانت الساعة الأخيرة لهؤلاء الشعوب الذين كأن «الرب إلهك أعطاك إياهم» الآن تباعاً أكثر من أي وقت مضى.

إن الشريعة المكتوبة للشعب المختار، ستقضي على هؤلاء الشعوب بحماس منقطع النظير وسط الذين «شتتهم» يهوه عقاباً لهم جزاء «مخالفتهم» الشخصية. وعلى سبيل المثال، ليس من السهل النظر إلى كتاب الخروج (سفر الخروج) على أنه أكثر من أسطورة فهو من تأليف اللاويين في أورشليم وبابل، وقد تمت كتابته بعد أن جرت أحداث خلال مئات السنين شبيهة بتلك التي كتبت فيه، لذلك يكون ما نسبه الكتبة اللاويون إلى المصريين، وتوجسهم من الغرباء الذين يعيشون وسطهم، بلا فائدة مطلقاً، ويمكن أن يكون لديهم نيات خبيثة. إذ تكلموا عن هذا في الإصحاح الأول من سفر الخروج «**هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ**» ١=، ١٠ وقد كتب هذا بوضوح تام لأجل تهيئة اليهود وتحضيرهم لمهمة تخريبيّة. وقد تم هنا ولأول مرة اعتناق المبدأ الذي ينص على أن «الشعب» يجب عليه أن يساعد العدو، ويلجأ إلى القضاء على نظام دولته. وعندما بلغت الرواية عصوراً تاريخية كثيرة أو قليلة (وعلى سبيل المثال، «انهيار بابل») لُخِصت على هذا الاساس، وكأنها أشارت تحديداً إلى هذه الجهة. حيث بدأ اليهود كمساعدين لأعداء بابل، واستقبلوا الغزاة الفرس بالبهجة والغبطة. وعدوا انهيارها بمنزلة ثأر وانتقام استثنائي في سبيل الجنس اليهودي. وقد اتضح ذلك في موت الملك البابلي، وطبيعة موته نفسها (أكانت تاريخية في الحقيقة أم غير ذلك، فهي بلا شك بدعة، ولكنها مهمة لنا لإظهار صلة سابقة بها).

وانتهت الأحداث أيضاً، كما أظهروها في العهد القديم، بوثيقة ثأرية أخرى، في هذه المرة حيث وقعت على رأس المحرر الفارسي. وغالباً ما يشعر

القادة السياسيون الغربيون في القرن العشرين بأنهم متزلفون، عندما يقارنهم المبعوثون اليهود بالإمبراطور الفارسي الطيب «قورش»، محرر اليهود. ومن المستبعد أن يكون القادة الأوروبيون قد قرؤوا الشريعة بتمعن، أو لفتوا انتباههم لما جرى لاحقاً مع الفرس، الذين جاء دورهم لكي يدفعوا الثمن جرّاء عيش اليهود في وسطهم.

كانت مصر الدولة اللاحقة بعد بابل والإمبراطورية الفارسية، في اختبار فعل قوى التخريب اليهودية. حيث كانت الجماعات اليهودية كبيرة العدد في الإسكندرية حتى قبل انهيار بابل وخروجهم منها، وكان هذا أكبر حشد في العالم المعروف آنذاك، وكانت علاقتهم مع مصر شبيهة لحد ما بعلاقتهم مع روسيا خلال أعوام الحرب العالمية الأولى /١٩١٤-١٩١٨/ وشبيهة في وقتنا الحالي بالحالة الراهنة في الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت علاقة اليهود، أو على الأقل علاقة شيوخ الطائفة اليهودية مع المصريين، كما هي في السابق مع الفرس والبابليين (الخيانة والغدر وعدم الوفاء).

ومثلما كتب أوغسطين، كانت مصر «الملجأ التاريخي» لليهود، وهذا ما تطلّب إظهار التعبير بالشكر والامتنان لمصر في البداية، مادامت الكلمات اللاحقة لم تتضح بعد، فالواضح أن مصير هذا «الملجأ» كان يقتضي القضاء عليه كلياً، ويصف «أوغسطين» علاقة اليهود بالمصريين بتلك الكلمات تقريباً، كما وردت في سفر الخروج التي تورد أحاديث المصريين عن اليهود. وحسب كلماته حول حياة اليهود في مصر يقول: «**عاش اليهود في مجتمعات مغلقة، منعزلين، قاموا ببناء معابدهم الخاصة بهم، حتى شعر المصريون بأن اليهود في انعزالهم الديني هذا، يحتقرون عقيدة المصريين ويرفضونها**»، ويضيف «أوغسطين»: إن اليهود في «الحقيقة» كانوا قد انحازوا إلى الفرس، بقدر ما ساعد الفرس اليهود في إعادة ما سمّي «باليهودية».

وبعبارة أخرى، إن مصر التي استقبلتهم ومنحتهم «**الملجأ التاريخي**» لا تستحق الثناء والشكر والوفاء من وجهة نظر يهودية، وإن العداء اليهودي للشعوب التي عاشوا في وسطها، تجلى في مساندة اليهود لأعداء مصر، وقد خلق ذلك بدوره حالة عدم ثقة لدى المصريين تجاه اليهود: «**لقد كانت أسباب**

العداء الأخرى، هي محاولة اليهود التهرب بكل الطرق من الاندماج والمحافظة على انعزالهم، وعدم ربط مصير ملجئهم بمصير الدولة... وضرورة خلق حالة نفسية حادة لتوثيق عرا الاتصال بين كل فروع «الأمة»، إن الإخلاص بلا استثناء تجاه جميع مجموعات «شعبهم»، تعد حالة لابد منها لإخلاصهم كأنهم مواطنون لدولة أخرى يعيشون فيها، «كما كان الحال في بابل القديمة» ــ وينهي أوغسطين ــ «بأن اليهود المصريين استقبلوا الغزاة الفرس بأحضان مفتوحة» بغض النظر عن أن المصريين من جهتهم لم يقوموا بأي شيء سوى حسن الضيافة.

في البدء كان دور بابل وفارس ومصر، والآن جاء دور اليونان الإغريق[1]، ففي عام /٣٣٢/ قبل الميلاد احتل اليونان (الإغريق) فارس، وكانت مصر خاضعة للسلطة الإغريقية أيضاً، وأصبحت الإسكندرية عاصمة الإغريق، واتبع عدد كبير من يهود الإسكندرية بطيب خاطر نصيحة ارميا «انشدوا السلام في المدينة» غير أن الطائفة الحاكمة بمذهبها التخريبي كانت هنا أقوى.

رغم أن الثقافة الإغريقية كانت «ذات ذهن متألق براق» لكن المؤمن «أوغسطين» نصير طائفته عدها في الوقت ذاته «بدائية ملفقة، ظالمة، نميمة، ماكرة، خمولة، مغرورة، فاجرة، بخيلة، وغير عادلةً. وكانت الأحداث الإغريقية قليلة الأهمية لتاريخ البشرية حسب زعمه، وختم حديثه بكلمات متعجرفة متعالية معتزاً بما قام به اليهود، حيث يؤكد: «كان يهود الإسكندرية السبب في تفسخ ترسانة الثقافة».

وكما كانت الاحداث التاريخية في بابل وفارس ومصر والإغريق، كذلك

---

(١) ـ وقد كتبت صحيفة «البلاد» اليونانية في شهر تشرين الثاني من عام ١٨٨٨ قائلة: «الإسرائيلي هو العدو الأبدي والمميت لليونان وكرهه لها مزمن إلى أبعد الحدود وهو لايرحم. إن أحداث التاريخ المعاصر تردد صدى ذلك عندما سلم السلطان محمود الثاني بطريرك الروم الأرثوذكس على باب الكاتدرائية إلى اليهود الذين مثلوا فيه أبشع تمثيل لم تحدث مذبحة مسيحيين في الشرق إلا وكان اليهود ضالعين فيها...» نقلاً عن كتاب الصهيونية والشعوب الشهيرة «الحفل السّاهر الكبير تأليف بيير هابيس ترجمة مفيد عرنوق وإدوار عرنوق. دار النضال ـ بيروت عام ١٩٩٠ ص ٢٢٣ المترجم. غ.ك.

كان التاريخ بمجمله منذ بدء الخليقة وحتى بداية العصر المسيحي، يقدم اليهود كأصحاب كتب مقدسة وحكماء صهاينة، يقدمون أعمالاً استثنائية خلاقة يهودية، أما «الوثنيون» فقد تم ذكرهم فقط هناك حيث الأماكن التي اصطدموا فيها مع اليهود، عند وصف إبادتهم المحتم لليهود كما هو في السلم كذلك في زمن الحرب.

هل من الممكن قراءة تصوير الأحداث المتشابكة قبل العصر المسيحي بصورة صحيحة؟ وهل هذه الأحداث مستمرة إلى يومنا هذا؟ .

وإذا حكّمنا من وجهة نظر جيلنا، الذي يعتقد دون أدنى شك، بأنه يستطيع قراءة الأحداث، واحتمال استمرارها، فلا بد من أن نعتقد، بأن هذا الأمر قد حصل في الماضي أيضاً. وإن مصادمات الشعوب في قرننا الحالي، شبيهة بالحرب البابلية ـ الفارسية قديماً، ليتضح في البدء، كما لو أنه لا يوجد أية علاقة لليهود في ذلك، ولكن في نهاية الأمر ينتهي كل شيء بانتصار يهودي وثأر «يهوه»، أما الخراب والقتل اللذان تخلفهما الحرب فيعبّران عن إنجاز الشريعة اليهودية، ومثل هذه الإبادة كانت ولادتها الأولى في مصر، وأثناء انهيار بابل وهزيمة مردوخ[1].

وجاء الروم بعد الإغريق. ويظهر أن «شيشرون» الذي عاش في فترة ازدهار روما، فهم دور اليهود في قتل الحضارة الإغريقية، (التي أشار إليها أوغسطين منذ عشرين عاماً مضت في حينها)، وأثناء إلقاء خطابه بمناسبة تأبين «فلاكا»[2]، ولما ذكر اليهود، عِندها تلّفت «شيشرون»[3] حول نفسه بجبن وقال: معروف له

---

(١) ـ مردوخ أو مردوك ـ ممثلاً للنور ـ إله الضياء لدى الشعوب القديمة في بلاد وادي الرافدين حيث دخل في صراع مع تيامة ـ رمز القوى العمياء الشريرة وانتصر عليها. المترجم ـ غ.ك.

(٢) ـ بيرسوس فلاكا من ٣٤ـ٦٢ قبل الميلاد، شاعر روماني هجائي، وثيق العرا بالرواقيين الهجائيين. ذو طبيعة حماسية تجريدية. المترجم ـ غ.ك.

(٣) ـ شيشرون مارك تولي (١٠٦ـ٤٣ قبل الميلاد) شخصية رومانية سياسية، خطيب، كاتب من مؤيدي النظام الجمهوري، حفظ من مؤلفاته /٥٨/ مرافعة قضائية وخطباً سياسية، و/ ١٩/ بياناً سياسياً وفلسفياً وأكثر من /٨٠٠/ رسالة، تعدّ مؤلفاته مصدراً يشهد على عصر الحروب الأهلية في روما. المترجم ـ غ.ك.

بأنهم يتكاتفون مع بعضهم البعض، وأنهم قادرون على إفنائه بسبب معارضته لهم. ونصح «شيشرون» بأنه «يجب أن نكون حذرين شخصياً في أي عمل معهم».

وكان كلٌّ من «فوسيتي»[1] و«أوفيدوس»[2] و«بيرسوس»[3] قد أعربوا عن تحذيراتهم بموقف موحد، أما «سينيكا»[4] الذي عاش في عصر السيد المسيح فقد كتب يقول: «إن من عادة هذا الشعب المجرم الانتشار بسرعة ولديه أيضاً أنصار في جميع الدول، وبهذا الشكل فالمنتصرون يفرضون شريعتهم على المهزومين» وفي هذه الفترة درس الجغرافي اليوناني «سترابون» توزع اليهود وعددهم، وكانت كما هي في وقتنا الحالي أكثر بكثير مما يسمح بإيضاحها في الإحصائيات وكتب يقول: «لا يوجد مكان على وجه الأرض إلا وكانوا فيه».

وجميع الشعوب المسيحية في الغرب رأت، في أن الإغريق والرومان ـ صانعو القيم الأبدية، التي على أساسها نشأت الثقافة الأوروبية، ومن الإغريق انتشر علم الجمال في العالم، ووضع الإغريق أسس الفن والشعر، ومن روما جاءت التشريعات وبناء على قوانينها صدرت الوثيقة العظمى «Habeas corpus» (وثيقة موقعة في عام ١٢١٦ من قبل الملك الانكليزي يوحنا، والتي انخفض بموجبها عدد الذين لا يملكون قطعة أرض، حيث تم توزيع

---

(١) ـ فوسيتي: كما جاء الاسم باللغة الروسية، عذراً من القراء الأعزاء، بأنني لم أتمكن من معرفة الاسم الصحيح والحقيقي لهذا الشاعر والكاتب، رغم جميع المحاولات التي بذلت في سبيل ذلك. المترجم ـ غ.ك.

(٢) ـ بيليوس أوفيدوس نازه (من ٤٣ قبل الميلاد وحتى ١٨ للميلاد) شاعر روماني للحب الرثائي، رسول الادب الفكاهي الهزلي ومرشد ساخر في قصائده، ومعلم الحب، و«الغاية من الحب» ورسول الأدب الروائي الملحمي الخرافي، وله «التغيرات والتحولات» عن «مسخ البشر إلى حيوانات»، المجموعة النجومية، وله أيضاً (عن روما والدين والاعياد) أمضى حياته الأخيرة في المنفى وكتب هناك «شجون الرثاء» و«رسالة مع بونتا». المترجم ـ غ.ك.

(٣) ـ تم ذكره سابقاً. المترجم ـ غ.ك.

(٤) ـ سينيكا لوتيوس أنيبوس (سنة ٤ قبل الميلاد وحتى ٦٥ للميلاد) شخصية رومانية سياسية، فيلسوف وكاتب رواقي، مربي الامبراطور نيرون، وانتحر بناءً على أمر من نيرون، مستخفاً بالموت، وما يميز فلسفته هو دعوته إلى الحرية، بدلاً من الرعب والخوف، والاخلاقية في خطبه «رسالة إلى لوتسييك». المترجم ـ غ.ك.

الأراضي عليهم.ـ المترجم ـ غ.ك). وظهرت حقوق الإنسان في محاكم مفتوحة عادلة وغير متحيزة وكان هذا أعظم ما حققه الغرب.

أما للمؤرخين الصهاينة فإن الأغريق وروما ـ ما هما إلا عبارة عن آثار عابرة للوثنية فقط، متساويتان ببشاعة مضمونهما، وكتب «أوغسطين» باحتقار: إن «اليهودية رأت في روما منذ البداية شيئاً واحداً فقط، هو تجسيد لقوة فضفاضة، غير عاقلة وحمقاء».

لقد تعقبت روما المسيحيين مدة ثلاثمئة سنة متتالية منذ مجيء السيد المسيح، وحكماً لم يتم ذلك لولا مساعدة اليهود، الذين ألَّبوا سلطة روما على المسيحيين، وبعد اعتناق روما للديانة المسيحية عام /٣٢٠/ ميلادية (هناك مصادر تؤكد بأن اعتناق المسيحية من قبل روما تم في عام /٣١٣/ ميلادية. المترجم ـ غ.ك). منع الإمبراطور الروماني قسطنطين اليهود من فرض الختان القسري على عبيدهم، كما منع استخدام العبيد المسيحيين من قبل اليهود، أو عقد زواج ما بين اليهود والمسيحيين، ورغم أن ذلك لا يبدل في الأمر شيئاً، إنما هو رد على ما جاء في الشريعة اليهودية، غير أنه في هذه المرة انعكست الآية، حيث حددت العلاقة من قبل غير اليهود مع اليهود.

وبعد مضي سنوات عديدة أنزل الله الرسالة المحمدية، ليكون ذلك بمنزلة بداية الديانة الإسلامية الحنيفة، حيث تحدث الرسول الكريم (ص) عن اليهود، وإن كان قد كتب الكثير عنهم وعن أعمالهم البشعة من قبل، إلا أن ما جاء على لسان الرسول الكريم (ص) لا غبار عليه ولا نقاش فيه أبداً، فقد ورد في القرآن الكريم، إضافة إلى ما كنا قد أوردناه سابقاً «... **لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...**» سورة المائدة ـ الآية ٨١٤ .

وكما أن الإسلام مثله في ذلك مثل المسيحية لم يظهر العداء للديانة اليهودية، وأوغسطين نفسه كان راضياً إلى حد ما حيث قال «**إن الإسلام أجاز لغير المؤمنين الحرية الاقتصادية، وإدارة الحكم الذاتي... إن الإسلام كان متسامحاً بوجه عام مع أتباع الديانات الأخرى... وإن ما حققه الدين اليهودي من ازدهار بحرية في ظل الإسلام، ما كان بالإمكان تحقيقه في بداية انتشار الديانة المسيحية**».

وإن «إمكانيات الازدهار» هذه تم خلقها لليهود من قبل الإسلام على الأراضي الأوروبية في أسبانيا[1]، لقد فتح الإسلام الغرب ليدخله بذلك «أعنف عدو ظالم» (يقصد بهذا العدو هنا اليهود) وأثناء حملة الجيوش الإسلامية بعد دخولها القدس في عام /٦٣٧/ ميلادية، وجه الخليفة عمر بن الخطاب هذه الجيوش نحو أفريقيا، وبعدها نحو أوروبا) حيث انتقلت الحكومة التلمودية إلى أسبانيا.

إلا أن نظرة الاحتقار تجاه اليهود من قبل الشعب في اسبانيا كانت قوية جداً بشكل عام، وتبين أنه من غير الممكن تليين هذا الاتجاه، وكانت نظرة عدم الثقة من قبل الشعب الأسباني موجهة بشكل خاص ضد الشيع اليهودية «ماران»، ولم يثق أحد بإخلاصهم في تعاملهم مع المسيحية، وفي هذا المجال كان الاسبان محقين في ذلك تماماً، ما دام «أوغسطين» نفسه قد كتب، إن ما بين اليهود و«المعتقدات الأخرى» يوجد «اتفاق سري»، وكما هو معلوم فإن التلمود كان قد سمح بالتعامل الوهمي في حال كان ذلك مفيداً، حيث تم استخدام قرار السماح هذا بصورة واسعة.

وبغض النظر عن كراهية ونفور السكان تجاه اليهود وماران، فقد كلّف الملوك الاسبان وزراء المال من الطائفة اليهودية بصورة عادية خلال مرحلة طويلة بعد خروج الإسلام من أسبانيا، وقد تم تكليف أحد هؤلاء اليهود «إسحاق اربانيل» أمين خزانة الدولة، بتأمين الأموال لاحتلال جزيرة غرينادا، وفي هذه المرحلة شرع شيوخ الطائفة في تنفيذ شريعتهم حرفياً «أعطوا القروض للجميع، ولا تقترضوا من أحد»، وعن ذلك يشهد «أوغسطين»، حيث أكد بأن اليهود قدموا «مساعدات مالية» لمسيحيي الشمال في الغرب أثناء صراعهم لاحقاً مع المسلمين القادمين من الجنوب» (لقد كان اليهود يتمتعون بحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، وحياتهم العادية، في الوقت الذي كان فيه الأسبان ينفرون من وجودهم بينهم، ولكن هذه هي عادة اليهود في زرع الشقاق والخلافات. المترجم ـ غ.ك).

(١) ـ لقد ذكرنا سابقاً، بأن اليهود مثلهم في ذلك مثل الآخرين، تمتعوا بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ونشاطاتهم التجارية والاقتصادية في ظل الحكم الاسلامي لإسبانيا، بسبب سياسة التسامح التي اتبعها الدين الحنيف مع اتباع المعتقدات الأخرى، وقد استغل اليهود سياسة التسامح هذه بشكل سلبي مما آثار حفيظة الاسبان تجاه الحكم الاسلامي. المترجم ـ غ.ك.

وبعد انتهاء الفتح العربي لاسبانيا، انفجرت المشاعر المختزنة منذ ٨٠٠ عام خلال فترة الحكم العربي الإسلامي، فقد عبر الاسبان عن عدم رضاهم وارتياحهم لليهود، حيث لعب اليهود دوراً سلبياً في أسبانيا خلال الحكم العربي الإسلامي، وقد تم طرد اليهود من أسبانيا في عام ١٤٩٢ ومن البرتغال في عام ١٤٩٦ ، ولم يغفر المؤرخون الصهاينة ذلك للاسبان، وتباروا في إبراز البغض والكراهية تجاه اسبانيا وديانتها، وأكدوا على أنه سيأتي يوم ينتقم فيه يهوه منهم. وبذلك عد اليهود أن سقوط الملكية في اسبانيا بعد مرور /٥٠٠/ عام على طردهم، والحرب الأهلية التي اندلعت في الثلاثينيات من القرن العشرين، هي بمنزلة عقاب لهم من قبل يهوه، ولم يخجل القائد الصهيوني وعضو المحكمة العليا «براندیس» في الولايات المتحدة الأمريكية عندما أبلغ رئيس الحاخامات الأميركان «اصطيفان وايز» في عام ١٩٣٣، حيث قال «دع ألمانيا تتعرض لنفس ذاك المصير الذي تعرضت له اسبانيا» والاستخفاف باسبانيا لسنوات طويلة من قبل «دول العالم الديمقراطي» وبالأخص عدم السماح لها لفترة طويلة بالانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة، ينبغي تقويمه ضمن التوجه العام ضد اسبانيا من قبل اليهود والحكومات الغربية الخاضعة لهم.

وبسبب طرد اليهود من أسبانيا، كما ذكرنا سابقاً، نقلت الحكومة التلمودية مقرها بلا سابق إنذار إلى بولونيا ماذا جرى بعدها لليهود السفارديم، الذين كان بـإمكانهم فقط الادعاء بأصل جذورهم اليهودية، وإن كانت هذه الادعاءات صحيحة؟!..

وكتبت الموسوعة اليهودية بدقة تقول: «إن السفارديم[1] ــ هم أنجال اليهود الذين طردوا من اسبانيا والبرتغال، واستوطنوا لاحقاً في جنوب فرنسا، وإيطاليا،

(١) ــ آ ــ السفارديم: ويطلق على اليهود الذين استوطنوا المتوسط وخصوصاً شمال أفريقيا حيث انصهروا مع المور Maures والبربر وفيما بعد مع البرتغاليين والاسبان. وبعدما طردوا من شبه جزيرة إيبيريا Iberique هاجروا إلى هولندا وانكلترا حيث كان يمثلهم أتباع جينسبرغ وغونسبرغ إلى آخره.
ب ــ الاشكناز. إنه الفرع الموغولي لليهودية ويضم السواد الأعظم من يهود روسيا وألمانيا وبولونيا ويمثلهم روتشيلد أوماير واتباع ساسون وصموئيل وشيف ووربورغ وكوهين. نقلاً عن كتاب العار الصهيوني آفاته وكوارثه لوسيان كافرو ديمارس عام ١٩٧٢ . المترجم ــ غ.ك.

وشمال أفريقيا، وآسيا الصغرى، وهولندا، وإنكلترا، وفي شمال وجنوب أمريكا وألمانيا، والدانمارك واستراليا، وهنغاريا» ولم يتم هنا ذكر بولونيا، ذلك المكان الذي وصلت إليه الحكومة التلمودية، لكن اليهود السفارديم كانوا قد انتشروا في أوروبا الغربية وامتدادهم لم يكن نحو الشرق، بل باتجاه الغرب، وابتعدت بذلك الحكومة التلمودية عن «شعبها» وبدأ اليهود بالانتشار.

وقد ورد في الموسوعة اليهودية عن السفارديم في الشتات ما يلي: إن الكثيرين من المستوطنين الجدد ينتمون إلى أسر غنية، عملوا مثل «ماران»، واحتلوا مواقع ذات نفوذ في دولهم، وعدوا أنفسهم من طبقة اليهود النبلاء، ونظروا إلى أتباع دينهم الآخرين نظرة تعالٍ وكأنهم أقل منهم منزلة، ولم يمارس اليهود السفارديم التجارة والربا مع الطبقات الدنيا ولم يختلطوا معهم، ورغم أنهم عاشوا في العالم مع اليهود الآخرين، لكن نادراً جداً ما ارتبط السفارديم معهم بعلاقات زوجية، إذ فقدوا السلطة التي مارسوها عليهم عبر مئات السنين.

وبعبارة أخرى، إن السفارديم الذين غادروا شبه جزيرة ايبيريا(1)، لم يهاجروا إلى بولونيا ولم يختلطوا بسائر اليهود، بل تشتتوا في أوروبا الغربية، وحين التقاهم وجهاً لوجه يهود من أصول مختلفة، كانوا يتعاملون معهم وينظرون إليهم بشكل فوقي، ويشيحون وجوههم عنهم، وبسبب ذلك فقد

---

(١) ـ شبه جزيرة ايبيريا: شبه الجزيرة مخمس تشقه سلاسل الجبال التي تظهر مستعرضة، وبين كل سلسلة من الجبال والتي تليها يوجد واد يجري فيه نهر مستعرض أيضاً.
ولهذا فإن شبه جزيرة إيبيريا تنقسم بالفعل إلى مناطق مستعرضة يلي بعضها بعضاً، وهذه الأنهار يصب معظمها في المحيط الأطلسي، وتنبع كلها من وسط شبه الجزيرة، ولانجد الأنهار الكبيرة التي تحمل الماء الوفير إلا في النصف الشمالي لشبه الجزيرة. وتلك الأنهار من الشمال إلى الجنوب من ناحية الغرب. هي المينو ثم الدوير ثم تاجة ثم الواديانة أو الوادي أنه ثم الوادي الكبير وعليه تقع قرطبة وأشبيلية وهي قلب الأندلس الإسلامي. ومن نهر الوادي الكبير يتفرع نهو شنيل، وعلى فرع من فروعه يسمى «حداره» تقع غرناطة.
أما أنهار الشرق فليس فيها إلا نهر واحد كبير هو نهر ابرو، وتقع عليه برشلونة عاصمة إقليم «قطلونيا» وكان وادي ابرو في ايام العرب يسمى لالنغر الأعلى الأندلسي، وعاصمة سرقسطة، وكان من أكبر مراكز العروبة والإسلام في الجزيرة.
وشبه الجزيرة إقليم جاف بصفة عامة، فلا تكثر الأمطار إلا في نصفه الشرقي أي إلى الشمال من وادي تاجة الذي تقع عليه طليطلة عاصمة شبه الجزيرة قبل الفتح العربي. المترجم. غ.ك.

أضاعوا تأثيرهم الماضي بسرعة، والغريب في الأمر أن المصادر اليهودية أعلنت عن معلومات غير دقيقة بخصوص انخفاض عدد اليهود السفارديم[1]، من أقلية ذات شأن لا يستهان بها إلى عديمة الأهمية، وكأن ذلك يتناقض مع قانون البيولوجيا، لتخلق هذه المعلومات نوعاً من الارتياب والشك.

وبعد رحيل «المركز» الذي حكم باسم «شعبه» خلال ألفي سنة، بدَّل هذا الشعب نفسه من طباعه بصورة مفاجئة كما يتم ذلك في الألعاب السحرية. واليهود المعروفون للعالم من التاريخ القديم حتى الآن هم فقط الذين تأثروا بشريعتهم التي اصطدمت بأوروبا، ووجهت كل ما حدث بتفكير جدي، وبدؤوا فجأة يفقدون وضعهم الغابر في اليهودية (المقصود هنا الديانة اليهودية القديمة)، وانخفض عددهم بصورة حادة أيضاً.

وأصبحت الحكومة التلمودية، التي استقرت في مقرها الجديد في بولونيا وسط الشعب الآسيوي ـ الخزري الذي دخل في الديانة اليهودية قبل قرون كثيرة من هذا التاريخ تحضر للقاء استثنائي مع أوروبا. وسارت الطبقة الحاكمة نحو أهدافها السابقة، ولكن استخدمت شعباً آخر جديداً كلياً ـ آسيويين متوحشين من بقايا الامبراطورية الخزرية التترية، وغير مطلعين على أخطار تجربة أسبانيا.

والطريف جداً هو شروع أحد الناشرين في نيويورك عام ١٩٥٠ بطبع احد كتب مؤلف هذا الكتاب، فنصحه بقوة زعيم إحدى المنظمات السياسية اليهودية بعدم القيام بذلك، وأبلغه بالأخص أن «**ريد اختلق الخزر**». غير أن اليهود المتنفذين موافقون تماماً، حول وجود الخزر ودخولهم في العقيدة اليهودية كذلك، ويوضح الأطلس التاريخي بصورة جلية تطور الإمبراطورية الخزرية التي ازدهرت خلال فترة عام ٦٠٠ ميلادية، وامتدت من البحر الأسود حتى بحر قزوين. ويعود أصل الخزر إلى الشعوب التترية أو أصول تركية ـ منغولية، وفي

(١) ـ يقصد المؤلف بأن المصادر اليهودية لم تقدم المعلومات الدقيقة حول انخفاض عدد اليهود السفارديم بل إنها أوردت احصائيات غير دقيقة بهذا الخصوص مع العلم بأن اليهود السفارديم لايشكلون اليوم إلا نسبة ١٥٪ من يهود العالم وفقاً لما جاء في الموسوعة اليهودية المترجم ـ غ.ك .

هذا الشأن كتبت الموسوعة اليهودية تقول: «إن القائد الخزري الخاقان» اعتنق العقيدة اليهودية مع وجهاء القبائل الخزرية وعدد كبير من القبائل الخزرية الوثنية في عام ٦٧٩ ميلادية تقريباً.

وعن ذلك تشهد المراسلات التي جرت ما بين «خسداي بن شبروط» وزير خارجية أمير قرطبة «عبد الرحمن الناصر» والإمبراطور الخزري «الخاقان» يوسف، المؤرخة حوالي عام ٩٦٠ ميلادية، ووفقاً للموسوعة اليهودية فإن المؤرخين اليهود لم يشكوا في أصل هذه المراسلات، التي ورد فيها ولأول مرة كلمة «اشكنازي». والاسم المتعارف عليه لهذه المجموعة قبل ذلك، كان «اليهود الشرقيين». وعلاقتهم مع السلافيين وهؤلاء «الاشكنازي» ذوي الأصول التركية ـ المنغولية، لايوجد شيء يربطهم مع سائر اليهود السفارديم الغربيين سوى الدين اليهودي. وبسبب فقدان الحكومة التلمودية لسلطتها على الجماعات اليهودية المنتشرة في أوروبا الغربية خلال مئات السنين الأخيرة، فقد أحكمت من سيطرتها بيد من حديد على هؤلاء اليهود الشرقيين، فالعنصر اليهودي الجديد توضع في أوروبا بكثافة عددية أكبر، ونلاحظ في وقتنا الحالي التفوق القوي للعنصر الخزري وسط اليهود، وهذا الشيء لا يدعو للاستغراب نهائياً.

لا أحد يعلم نهائياً سوى اليهود، لماذا أقدمت الطبقة الحاكمة للطائفة اليهودية على السماح لهذا الكم الهائل من القبائل «الخزرية الوثنية» بالدخول في اليهودية التلمودية منذ ثلاثة عشر قرناً، وهذه حادثة فريدة في التاريخ فعلاً! ؟ . فهل حدث ذلك مصادفة، أم أن الحكماء الصهاينة كان لهم الدور المؤثر، والقدر الكافي من إمكانية التأثير على ما جرى؟ وإن لم يكن ذلك قد حصل فعلاً، ولذلك التاريخ عندما بدا السفارديم مشتتين في العالم، مهمتهم التخريبية في اسبانيا منيت بهزيمة نكراء، وقفت جيوش احتياطية جديدة تحضر للمعركة، عادّة نفسها المادة البشرية الأفضل لأهداف الإبادة والتخريب أيضاً.

وكان الخزريون قبل فترة طويلة من دخولهم في الديانة اليهودية التلمودية، في حالة عداء مع المهاجمين الروس من الشمال، الذين أخضعوهم فيما بعد وأسّسِتْ إمارة كييف التي كانت قد دخلت في الديانة المسيحية، ومع مرور الوقت على دخول الخزر في الديانة اليهودية كانت شريعة التلمود قد ترسخت

في أذهانهم بشكل نهائي، وبعد سقوط دولتهم حوالي عام ١٠٠٠ ميلادية، ظل الخزر خاضعين من الناحية السياسية للحكومة التلمودية، فأصبح صراعهم مع الروس تحت شعار الشريعة التلمودية ضد الشريعة المسيحية. وبعد مضي سنوات على هذه الأحداث نزح الخزر إلى روسيا وبالأخص إلى كييف وروسيا البيضاء، وعلى ما يبدو إلى بولونيا وليتوانيا.

وبغض النظر عن عدم وجود نقطة دم يهودية فيهم (إشارة إلى عدم أي صلة تربطهم باليهود السفارديم القدماء)، لكنهم تحولوا في ظل القيادة التلمودية إلى أنموذجهم المعروف «دولة ضمن دولة» في بولونيا وبعدها في روسيا حيث كان وجودهم كثيفاً، وأنشؤوا فيما بعد مراكز تحت راية القيادة التلمودية ضد الثورة الروسية، التي تحولت مع مرور الوقت إلى «ثورة عالمية». وفي هذا المجال وبمساعدة هؤلاء الخزر جهزوا أدوات تخريبية جديدة للقضاء على أوروبا المسيحية.

عاش هؤلاء المتوحشون الخزر في إحدى الثغور الآسيوية خاضعين لسلطة التلمود. مثلما خضع قبلهم «يهود بابل» أو «قرطبة» للتلمود منذ مئات السنين الذي علمهم «**حافظ على الشريعة**». وأضاف: يوماً ما في المستقبل «**ستعود إلى أرض الميعاد**» التي لم يسمع عنها أجدادك القدماء بتاتاً، لكي تقود العالم من هناك. وفي القرن العشرين، عمل السياسيون الغربيون وبحماسة منقطعة النظير على برمجة عملية «**العودة**» مع العلم بأن لا أحد من هؤلاء السياسيين كان لديه تصور مسبق عن الخزر. وحدهم العرب فقط هم الذين عرفوا عن الخزر، والعرب هم أصحاب الأرض والمصير وهم الذين حيكت المؤامرات ضدهم، والذين حاول اليهود الخزر بلا جدوى تنظيم مؤتمر دولي عن أرضهم ومصيرهم في عام ١٩١٩ مثلما نظمته منظمة الأمم المتحدة لاحقاً في عام ١٩٤٧ لكنه باطل عديم الجدوى، حيث سلم فلسطين إلى اليهود.

وبهذا الشكل وبعد ١٥٠٠ عام، عاش في العالم مجموعات يهودية تختلف عن بعضها البعض، فالسفارديم ذوو أصول من جماعات مشتتة في الغرب، وحشد هائل متكاتف بصورة وثيقة «لليهود» التلموديين في الشرق من أصول تترية ــ خزرية.

كان يجب على الزمن أن يبين هل كان بـإمكان المركز التلمودي أن يجعل من هؤلاء الاشكنازي قوة تخريبية جبارة، مثلما تمكن في السابق مع الجماعات اليهودية الأخرى؟ وهل كان بـإمكانه الحفاظ على سلطته فوق الجماعات اليهودية «السفارديم» في أوروبا والتي تعيش في ظل تقاليد جديدة مختلفة كلياً عن تلك العادات والتقاليد التي كانت سائدة في ظل الحكومة التلمودية، ولم ينسوا بعد تجربة طردهم من اسبانيا؟ ! .

في حوالي عام ١٥٠٠ ميلادية، تم جلاء الحكومة التلمودية من اسبانيا إلى بولونيا، وتشكلت من جديد وسط العدد الكثيف من «اليهود الجدد» ورغم أن هذا الأمر غير معروف لأي كان لتاريخه في الغرب (يقصد المؤلف في الخمسينيات من هذا القرن)، فقد ضعفت سلطة التلمود على السفارديم، الذين أصبح عددهم يتناقص بسرعة، ولم يبقوا قوة متراصة، وكان هذا على الأقل حسب قناعة القيادة اليهودية. إن تلك الفترة تنفصل عن فترتنا الحالية بحوالي ٤٥٠ سنة، ولكن خلال هذه الفترة أجاب التاريخ عن السؤالين المطروحين، أما نتائج انتقال المركز التلمودي إلى بولونيا فقد أصبحت الآن بدهية تماماً. ويبدو أن المركز التلمودي كان قد اختفى من الوجود خلال هذه الـ ٥٠٠ سنة ـ وهذا على الأغلب، وفقاً لتأكيد «أوغسطين» ـ أما القوة التخريبية فقد انتشرت في الوقت نفسه في أنحاء أوروبا، وبأشكال جديدة والتي أطلق عليها اسم «الثورة».

وخلال ٤٥٠ سنة التي مضت، أي ما بين أعوام ١٥٠٠ و١٩٥٠ ميلادية، عرف العالم ثلاثاً من هذه الثورات (نذكر الأهم منها فقط) وكل واحدة منها كانت تدميراً للماضي، وفي كل واحدة منها كان من الممكن تبيان آثار الماضي، مادامت طبيعتها واحدة، وصفاتها الأساسية عدّت في تلك الفترة أساس الشريعة اليهودية المكتوبة في التوراة والتلمود. وفي جميع الأحوال كانت الضربة الأساسية موجهة ضد الحكومات الشرعية وروح الشعب والمسيحية. فالشريعة اليهودية لا تعترف إلا بسلطة واحدة وهي سلطة شريعة يهوه، وبالحق الكامل «لقومية» واحدة فقط وهي «الشعب المختار». وتشير التعليقات التلمودية لهذه الشريعة، بأن الديانة المسيحية هي العدو الرئيسي وسط «الآلهة الغرباء» التي لا يجوز «للشعب المختار» إطلاقاً الإيمان بها، فالتخريب والإبادة كما أشير مراراً ـ عقيدة أساسية لهذه الشريعة.

وكانوا يتحدثون دائماً في بداية كل ثورة، على أنها موجهة ضد رموز الاستعباد والاستغلال «القيصر والبابا»، والآن بعدما انتهت سلطة القيصر والبابا مازالت الثورة مستمرة بلا نهاية، وقد أصبح جلياً، بأن هذه الشعارات غايتها الكذب على جماهير الشعب، وكانت الضربة موجهة ضد كل ما تملكه الأمة (ففي كل الحالات كان شعارهم قتل القيصر) وضد الدين (وكان شعارهم أيضاً تخريب الكنيسة)، كل هذا يفضح المذنب متلبساً بجريمته، حيث مصدر كل هذه الأفكار في الحقيقة ـ هو التوراة والتلمود، ومن غير الممكن، العثور عليها في مكان آخر: «**فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ... لاَ يَسْكُنُوا فِي أَرْضِكَ لِئَلاَّ يَجْعَلُوكَ تُخْطِئُ إِلَيَّ، إِذَا عَبَدْتَ آلِهَتَهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ فَخّاً**» سفر الخروج ٢٣=٣١ـ٣٣ . وفي هذه اللحظة تحديداً، عندما توارت الحكومة التلمودية فجأة عن الأنظار، قبل أن تستقر بصورة وطيدة، وسط الشعب الآسيوي الهمجي (الخزر) كان المذهب التخريبي قد دخل إلى أوروبا وبدأ انتصاره يسير إلى الأمام.

إن هذه الثورات الثلاث مِثْلُها في ذلك مثل جميع الأحداث التاريخية التي حدثت قبل العصر المسيحي، يزعمون انها كانت مكتوبة في العهد القديم، والأحداث في العصور المسيحية حتى قبل طرد اليهود من اسبانيا، تعزز وتنفذ الشريعة اليهودية. وجاءت المحصلة النهائية لكل ثورة من هذه الثورات الثلاث انتصاراً لليهودية. فهل كان التلموديون هم المحرضون والمنظمون والقياديون لهذه الثورات بشكل مباشر؟ .

وفي هذا المجال، قد تختلف أُولى الثورتين بشدة عن الثورة الأخيرة. والتاريخ المدون المعاصر ليس في وسعه بعد أن يؤكد ما إذا كان التلموديون دعوا للثورة الإنكليزية والفرنسية وأنهم هم الذين قادوا هاتين الثورتين. وفي جميع الأحوال، فإن مؤلف هذا الكتاب لم يتمكن من العثور على إثباتات مباشرة بخصوص ذلك. إلا أن نتيجة الثورتين كانت بطبيعة الحال بمنزلة انتصار لليهودية: وهي «عودة» اليهود إلى إنكلترا (ذاك المكان الذي طردوا منه في القرن الثالث عشر) وتحرير اليهود في فرنسا، بالرغم من أنه لم يستطع أحد في بداية الثورتين حتى التفكير في أن المسألة اليهودية لها أي علاقة معينة بهما. بقدر ما يمكن الحكم على ذلك الآن بعد انقضاء زمن طويل، وبعدما ظهرت «المسألة

اليهودية» على مسرح الأحداث، وتحولت بعدها إلى إحدى القضايا الأساسية في سياق تطور الثورات نفسها، وما حققته من نتائج لم يكن ممكناً، لو لم يقم اليهود بأنفسهم بتمويل المبادرين لها، ولما كانت قد حصلت هذه الثورات في الاساس.

وأما تاريخ الثالثة، فهو تاريخ الثورة الروسية- هو من نوع آخر كلياً. لقد انتهت هذه الثورة بانتصار يهودي عظيم وعربدة لا مثيل لها في الانتقام اليهودي. وحالة الانتقام هذه لا مثيل لها في العهد القديم ولا حتى في هذه الفترة المتأخرة، وقد تم التحضير والتنظيم والتوجيه لها من قبل اليهود، ورسمت خطوطها رسماً دقيقاً في مناطق الغيتو التلمودية. إن هذه حقائق تاريخية، راسخة ودامغة والأكثر اعتباراً عبر قرون كثيرة من تاريخ صهيون، وقدمت فهماً لأحداث الماضي، وأعطت مفتاحاً لفهم المستقبل.

إن هذه الأحداث في قرننا الحالي والتي أطلقوا عليها كلمة ذات مغزى جديد «الثورة» وأمينة لجوهرها الحقيقي: التخريب بلا نهاية، حتى التنفيذ الكامل للشريعة اليهودية. ربما أخذت هذه التسمية سابقاً مدلولاً محدداً في أوروبا: على شكل انتفاضات مسلحة، لتهيئة ظروف معينة في مكان محدد وفي زمان محدد أيضاً. وكأن حدوث الانفجار في النتيجة كان بسبب الاضطهاد الذي لا يحتمل، والشبيه بانفجار غطاء الوعاء الذي يغلي فيه الماء لدرجة زائدة نتيجة البخار، وهكذا على الأغلب تم الإيحاء لأغلبية الشعب من قبل حكماء القيادة الذين عرفوا جيداً، كيف كانت تحدث هذه الأمور في الحقيقة. وقد بينت الثورة الروسية بأن الثورة الآن تم تنظيمها كشيءٍ مستمر دائماً، كما هي قوة تخريبية دائمة ومنظمة باستمرار من قبل هيئة رئيسية دائمة بهيئاتها وأهدافها العالمية.

إن أهداف الثورة لم تربطها أي علاقة بالظروف المحلية القائمة آنذاك، ولم تحاول الثورة إصلاح شيء ما غير عادل داخلياً. وكانت غايتها تخريبية بحد ذاتها، لكي تقضي على جميع الحكومات الشرعية في العالم وتنصّب محلها سلطة جديدة وحكاماً جدداً. وكان على هؤلاء الحكام الجدد أن يصبحوا تلموديين، وأصبح واضحاً لكل شخص بأن الثورة الروسية تمثل الجوهر التلمودي الخالص.

ومن الواضح أن الأهدف التلمودية هي «الثورة العالمية». إذ جاءت هذه

الأهداف تنفيذاً حرفياً للشريعة. **«ستصبح متسلطاً على جميع الشعوب، ولكنهم لن ينساقوا معك، فالرب وضعك فوق جميع شعوب الأرض».**

لم يكن باستطاعة الثورات الثلاث السير في الطرق المعروفة لنا دون هذه الأهداف السرية، التي رسمت اللوحة مسبقاً لبرمجة المستقبل، وعدّت أطواراً ومراحل فقط في الطريق لتحقيق الشريعة، وإن أولئك الذين كانوا يبدون في حينه حكاماً ذوي نفوذ وسطوة مثل الإمبراطور الفارسي «قورش» والإمبراطور الغامض «إغا سفير» ربما كانوا عبارة عن دمى جديدة للمأساة الدامية العظيمة للمخرجين اليهود، على الطريق للإنجاز العجيب النهائي في أورشليم.

وكان «اوليفر كرومويل»[1] إحدى هذه الدمى، معروفاً لتلاميذ المدارس الإنكليزية فقط كإنسان قام بخلع الملك وأعاد إلى إنكلترا اليهود الذين كانوا قد طردوا منها في حينه. (كان اليهود قد طردوا من إنكلترا زمن الملك إدوار الأول في عام ١٢٩٠، بسبب إساءتهم التصرف في المملكة. المترجم ـ غ.ك)، ولهذا

---

(١) ـ أوليفر كرومويل /١٥٩٩ـ١٦٥٨/ أحد الأعيان الريفيين، الارستقراطيين الانكليز الصغار قاد المعارضة ضد الملك شارل، الذي رفض إجراء الانتخابات ورفض مطالب المجلس التي تتمحور حول حقه في فرض الضرائب، فعلق جلساته، واندلعت الثورة حتى انتصر المجلسيون. كان كرومويل مزارعاً ونبيلاً ريفياً. انتخب في /١٦٢٨/ عضواً في البرلمان الانكليزي ولكن الملك حل البرلمان ولم يعده إلا بعد أن احتاج إلى المال في الحرب ضد اسكتلندا. وقد طالب البرلمان الجديد الملك بتأكيدات من أنه لن يستأنف الحكم الاستبدادي. إلا أن الملك رفض ذلك فثار البرلمان ونشبت الثورة /١٦٤٢/، وصار كرومويل القائد العسكري لجيش البرلمان المؤلف من النبلاء الريفيين، والطبقة الوسطى والمتطهرين، وقد دامت الحرب أربع سنوات. وهزم الملك في معركتي بدكتي مارستون مور /١٦٤٤/، ومعركة غاسبي /١٦٤٥/، وأخذ أسيراً. وبعد خلافات حادة بين فئات الثوار، استفاد الملك منها، فهرب من أسره، إلا أن كرومويل قائد الجناح الأكثر راديكالية، هزم الملك من جديد وقدمه للمحاكمة وأعدمه /١٦٤٩/. ثم ثار الملكيون في اسكتلندا وايرلندا، ونادوا بابن شارل الثاني ملكاً، ولكن كرومويل هزمهم، وانتهت الحرب الأهلية /١٦٥٢/، وأعلنت جمهورية المصلحة العامة. وبسبب الخلافات بين الفرق البروتستانتية الثائرة. حكم كرومويل باسم السيد الحامي واصر على الديمقراطية ورفض تاج الملكية، وكرومويل هذا من أتباع العقيدة اليهودية. وتبين من أصل كرومويل وتاريخ الثورة الانكليزية، بأن الثورة لم تقم بسبب سخط وتذمر الجماهير الانكليزية من الاوضاع القائمة آنذاك، بل قام بها النبلاء في صراعهم مع الملك كشخصية اعتبارية وكنيسة روما الكاثوليكية. ولم تدم الجمهورية طويلاً، حيث انتهت بديكتاتورية اللورد الحامي أوليفر كرومويل نفسه. وحصلت المصالحة بين المجلسيين (البرلمان) وخصومهم الملكيين (أنصار الملكية). المترجم ـ غ.ك.

نضيف: إن المذبحة التي ارتكبها «اوليفر» بحق جميع الكهنة القساوسة في مدينة دروخيد، كانت الحادثة الفريدة من نوعها في التاريخ البريطاني، وبقيت خالدة باسمه في تاريخ بريطانيا، وكثيراً ما تبجح بتنفيذها «اوليفر كرومويل»، عدا عن كونه دميةً من صنع الصهيونية أنموذجية فريدة من نوعها.

كان «اوليفر كرومويل» الوحيد من بين الكثيرين الذين جاؤوا بعده، والذين سموا أنفسهم «مسيحيي العهد القديم». وهذه الحالة تبيّن جوهر هذه المحاولات المعادية للديانة المسيحية، أو كما نعرف جيداً لا يجوز عبادة الرب ومأمون[1]، وقد منع «اوليفر» في الوقت نفسه الاحتفال بعيد الفصح المسيحي، وأحرق الكنائس وذبح الرهبان حتى أراد اليهود اعتباره مسيا المنتظر[2].

لقد جاء «اوليفر» إلى السلطة، في الوقت الذي وعد فيه «شبتاي زيفي»[3]

---

(١) ـ مامون: الاسم هو (ماموناس) في النسخة اليونانية، و(أمامونا) في النسخة اللاتينية إله الجشع ورب المال ورمز الثراء انظر متى (٦=٢٤) »... لاتقدرون أن تعبدوا الله والمال (مامون). ولا نجد أي أثر لهذه الكلمة في أسفار التوراة، بل في الإنجيل كما ورد أعلاه. إن أصل الكلمة آرامي ويذكرنا بالعربية (اليُمن بمعنى البركة). المترجم ـ غ.ك.

(٢) ـ كان الوضع في انكلترا، في عهد اوليفر كرومويل (١٥٩٩ـ١٦٥٨)م مواتياً تماما لاحتضان ونمو فكرة الدولة الاسرائيلية، فالمذهب البيوريتاني الذي تعتنقه ثورة كرومويل بتعصّب مفرط، كان يعني غزو التقاليد اليهودية كما جاء في «العهد القديم». وقد وصف وليام كننجهام المجتمع البيوريتاني على النحو التالي: «كان الاتجاه العام الذي سارت فيه البيوتارنية يرمي إلى التخلي عن الأخلاق المسيحية، وإلى إحلال العادات اليهودية مكانها» الصهيونية والعنصرية.. ص٢٧، نقلاً عن كتاب نصر شمالي «ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، دمشق الطبعة الثانية ١٩٨٥ . المترجم ـ غ.ك.

(٣) آ ـ حركة شبتاي زيفي: أسسها يهودي ولد في أزمير يسمى (شبتاي زيفي) وادعى أنه المسيح المنتظر وأيده بصورة خاصة يهود فلسطين ومصر وتركيا وشرق أوروبا ثم أعلن إسلامه. ومن ثم ارتد عن ذلك وهكذا كان يتقلب بين الإسلام واليهودية فيحاول إرضاء اليهود من جهة وكسب عطف السلطان من جهة أخرى إلا أن السلطان قد أوجس منه خيفة على الإسلام فنفاه إلى بلغراد ومات هناك في إحدى القلاع. نقلاً عن كتاب أسرار الماسونية. الجنرال جواد رفعت أتلخان ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي. مكتبة سومر ـ سورية ـ حلب ص ١٠ ـ ١١ المترجم ـ غ.ك

ب : ولد شبتاي زيفي في (سميرنا) من آسيا الصغرى من أسرة ثرية من يهود السفارديم في عام ١٦٢٦ . وأثناء نشأته طور ميولا غريبة بما يشخص كآبة ـ تشبه حالة الممسوس. وكان خلال فترة المس ينتهك عمداً الشريعة، يأكل طعاماً محرماً أمام الناس. وزعم أن وحياً كان يأمره أن يقوم بذلك، مدّعياً أنه المسيح المنتظر. ←

المقربين منه بانتصار صهيون، حيث أوصل هذا الوعد الجموع اليهودية إلى حالة الحماسة المفرطة، وروع في الوقت ذاته الحكومة التلمودية (على ما يبدو إن الحكومة التلمودية ووفقاً للمخططات السرية المرسومة من قبلها، لم تكن راغبة في كشف أهدافها الخفية، لأن الوقت لم يحن بعد، لذلك أزعجها هذا التصرف الأهوج. المترجم ـ غ.ك)، ومن المحتمل أن هذا الأمر دعا حكماء التلمود لاستخدام «اوليفر» كي يأمنوا تصرفات «زيفي»، وبدأ الرسل اليهود يغادرون امستردام بسرعة متوجهين إلى إنكلترا للبحث في أصول «اوليفر كرومويل». فهل كان «أوليفر» يهودياً؟ وإذا كان ذلك حقيقة، يمكنه في هذه الحالة إعلان نبوءته على أساس أنه «مسيا» المنتظر، مادام الحكماء الصهاينة راق لهم بصورة استثنائية إحدى صفات طبيعته وهي همته وعزيمته في «الإبادة الكاملة لغير اليهود» (لنفترض أنه في وقت ما سيظهر «مسيا» حقيقة، فانتقاء «اوليفر» يبدو مفاجأة غير متوقعة لدرجة ما. وفي عام ١٩٣٩، كان مؤلف هذا الكتاب في براغ، حيث بشّر أحد حاخامات براغ بأن «هتلر» هذا ـ هو «مسيا» اليهودي المنتظر، وسأل اليهود القلقين من معارف المؤلف، ما رأيه في ذلك، وبماذا يفكر عنه؟).

وانتهت فترة «اوليفر كرومويل» ما بين سقوط الملكية وعودتها ثانية إلى الحكم، لكن «أوليفر» بقي في الذاكرة الشعبية ـ الإنسان الذي سمح لليهود بالعودة إلى إنكلترا ـ ولم يحقق الهجوم التلمودي الأول على أوروبا نجاحات

← وفي عام ١٦٦٢ انطلق شبتاي الى أورشليم، كان في حالة كآبة واعتقد انه ممسوس بالشياطين وعلم في فلسطين بوجود حبر شاب يدعى ناتان بارع في طرد الأرواح الشريرة فقصده في مكان وجوده في غزة.
أخبر ناتان شبتاي أنه ليس ممسوساً وأقنعه أنه المسيح المنتظر، وعلم اليهود بظهور مسيحهم المنتظر، فتقاطروا الى شبتاي الذي اختار من بينهم اثني عشر تلميذاً كي يصبحوا قضاة اسرائيل، وأعلن ناتان الانباء السارة الى التجمعات اليهودية في رسائل الى ايطاليا وهولندا وألمانيا وإلى حواضر الإمبراطورية العثمانية.
وصل شبتاي إلى استنبول في كانون الثاني عام ١٦٦٦ فالقي القبض عليه وحبسه الوزير التركي في منزل مريح وخيره السلطان بين الموت أو أن يعلن إسلامه فاختار شبتاي الإسلام فأطلق سراحه على الفور، وتوفي في عام ١٦٧٦ . نقلا عن جريدة الاسبوع الأدبي العدد ٥٨٧ تاريخ ١٩٩٧/١١/٢٢ مقال «من استير التوراة إلى ألبرايت الصهيونية» وليد مدفعي. ص٥ . المترجم ـ غ.ك .

كثيرة. فقد استطاعت إنكلترا التغلب على العواقب الوخيمة للثورة، وأعادت الحياة إلى طبيعتها كما كانت في السابق، وكأن شيئاً لم يحصل نهائياً. وأعيد العمل بالدستور الملكي، أما الدين المسيحي فقد عانى قليلاً من جرّاء هجوم هؤلاء الغرباء (اليهود) عليه وأكثر ما عاناه هو عدم المبالاة التي بدأت تنمو في هذا الوقت لدى الشعب الإنكليزي.

وظهر عاملٌ جديدٌ في السياسة الأوروبية وهو «الثورة»، بعد مئة وخمسين سنة على طرد اليهود من اسبانيا. واحتلت «المسألة اليهودية» الموقع الأساسي في هذه السياسة.

إن العواقب الوخيمة الأخيرة لفترة حكم جمهورية «اوليفر كرومويل» ما بين سقوط الملكية، واستعادة عرشها، اقتضى لفت الانتباه لدرجة معينة، بما أن الملك الذي اعتلى العرش استغلّه اليهود. وقدم اليهود المساعدات المالية للملك «شارل الثاني» بعد موت «كروموبل» (فالملك شارل الثاني الذي اعتلى العرش بعد عودة الملكية في إنكلترا استنجد بأثرياء اليهود، إذ احتاجت لهم الدولة الإنكليزية والطبقة الأرستقراطية التي كانت أحداث «هنري الثامن» وأحداث «كروموبل» الدامية هدت قواها، واستنزفت مواردها المالية وسلبتها أكثر أملاكها. المترجم ـ غ.ك)، والملك «شارل الثاني» هو من جعل وجود اليهود في إنكلترا شرعياً من الناحية القانونية بعد تبوّئه العرش، إن هذا التصرف الأهوج لم يؤدِ إلى خدمة السلالة الملكية، بل العكس تماماً فقد قام يهود امستردام في الوقت نفسه بتمويل حملة «ويل غيل أوران» ضد أخيه، وضد خلفه «شارل الثاني»، وضد الملك «يعقوب الثاني» الذي أضاع العرش أيضاً وهرب إلى فرنسا، ليعلن نهاية سلالة الملكية الكاثوليكية «ستيوارت»[1]. وبعبارة أخرى فالجواب عن هذا السؤال هو: من انتصر في نضال كروموبل ضد «الستيوارت»؟ حكماً هم اليهود (لقد استطاع اوليفر كروموبل محو أثر النصرانية في إنكلترا عملياً. وأرغم الإنكليز على اعتماد التوراة بدلاً من الإنجيل لكي تصبح الأمة الإنكليزية مهودة برمتها. المترجم ـ غ.ك).

---

(١) ـ آل ستيورات «STUART» أسرة من ايكوسيه ـ اسكتلندا حكمت منذ /١٣٧١/ م في اسكتلندا وحكمت انكلترا منذ /١٦٠٣/ وحتى /١٦٨٨/ م. المترجم ـ غ.ك.

وانفجرت بعد مرور مئة وخمسين عاماً، ثورة أخرى، لكن هذه المرة كانت في فرنسا، وبدت حينها للمعاصرين، وكأنها تختلف عن تلك الثورة التي قامت في إنكلترا. ثورة من نوع خاص، فهل كانت الثورة في الحقيقة كما بدت للآخرين؟ .

إن الخطوط الأساسية العامة للثورة الفرنسية، كانت هي نفسها مثلما كانت سابقاً في الثورة الإنكليزية، وبعدها في الثورة الروسية، والضربة الأساسية كانت موجهة للقضاء على الروح الوطنية والقومية الفرنسية والدين المسيحي تحت شعار النضال ضد الطغاة المستبدين: «الملكية والكنيسة». ولكن حين أمكن القضاء على «الطغاة المستبدين» أقيم نظام جديد استبدادي أكثر بكثير من السابق، فقد غرر اليهود وأنصارهم بالشعب الفرنسي، الذي انساق وراء أضاليلهم وتوهم بأنه حقاً محروم من الحرية والعدالة، بينما كان في الحقيقة يتمتع بحرية وعدالة أكثر من جميع الشعوب الأوروبية.

وقد اوقفت الحكومة التلمودية «نشاطها» على الأقل في تلك الفترة بعد تقسيم بولونيا في ذاك الوقت، كما يؤكد اوغسطين، رغم أن استمرارها فعلياً كان واضحاً ولو سرياً. ومن الصعوبة جداً أن نتصور بأنه بعد ٢٥٠٠ عام من النشاط الفعّال تختفي فجأة بإرادتها بلا أسباب خارجية متعددة، وإن كان اختفاؤها هو الابتعاد عن الأنظار، لذلك نجد صعوبة شديدة الآن لمعرفة الدور الاستفزازي الذي لعبته في فرنسا وتنظيم الثورة بأيدي عملائها.

إلا أن الثورة الروسية التي قامت بعد ١٢٠ عاماً من قيام الثورة الفرنسية قدمت الدليل القاطع بصورة لا تدحض عن تدخل القيادة التلمودية اليهودية في هذه الثورة، وزد على ذلك في نطاق عملها الذي لم يكن يتوقعه أحد. لذلك يمكننا أن نرجح أنه خلال التحضير للثورة الفرنسية لعبت قيادة الطائفة اليهودية دوراً كبيراً فيها، أكثر مما كان قد اتضح حسب البيانات التاريخية. فالثورة الفرنسية انتشرت أنباؤها تحت شعار النضال من أجل حقوق الإنسان، وكما اتضح لاحقاً من أجل البشرية جمعاء بلا استثناء، لكن منذ بداية الثورة احتلت «المسألة اليهودية» وبشكل سافر الموقع الأول فيها، وكان احد الأهداف الأولى للثورة هو التحرير الكامل لليهود في عام ١٧٩١ (كما هي المراسيم التي صدرت

ضد ما سُمي «معاداة السامية» حيث كانت احدى الخطوات الأولى للثورة الروسية). ولذلك فالتاريخ السابق للثورة الفرنسية يبدو واضحاً تماماً، كما هي في الحقيقة الثورة الانكليزية التي سبقتها، ومثلما هي الأحداث التعسفية الأخرى الكثيرة في التاريخ، والتي انتهت دائماً بالانتصار اليهودي، ولو لم يكن هناك في الحقيقة أي انتصار يذكر، لكان لابد من أن يظهر متأخراً في «المجريات التاريخية»، وبطبيعة الحال فإن جماهير الشعب الفرنسي انتظرت من الثورة نتائج آخرى مغايرة كلياً، وفي هذا المجال يذكرون جداً الأعداد الهائلة من البشر التي أثقلت كاهلها نتائج حربين عالميتين في القرن العشرين.

لقد اتضح أن تحرير اليهود كان المحصلة الوحيدة دائماً للثورة، وجميع النتائج الأخرى التي تمخضت عنها كانت بلا فائدة تذكر، حيث وضعت فرنسا في حالة لامبالاة روحية، هذه الحالة التي لم تتمكن التخلص منها حتى وقتنا الحالي. إن تاريخ فرنسا بعد الثورة كان عبارة عن فترة مرحلية طويلة، في الفترة التي اختبرت فيها فرنسا تقريباً جميع أشكال الظلم المعروفة للبشرية، ولكن مع ذلك لم تجد فيها الراحة ولا النظام.

وقد عملت الطبقة الحاكمة اليهودية ـ التلمودية منذ انهيار بابل وحتى الثورة الفرنسية كقوة تخريبية دائماً وسط الشعوب، «إلى أي مكان أرسلتك» وإذا أخذنا بعين الاعتبار العقيدة التي تمسكوا بها، فيبدو أن هذا أمرٌ لا مفر منه، مادامت الشريعة كانت موجهة في الوقت نفسه باتجاه الأعمال الرذيلة والمبتذلة في الحياة، ولم يستطيعوا في ظل نير الشريعة اليهودية القيام بغير ذلك، وكانوا محكومين في أن يظلوا «**مخربين إلى الأبد**»: «**انظر وضعتك في كل يوم فوق جميع الشعوب والممالك، لكي تُبيد، وتُدمر، وتُفني، وتُخرّب**».

وفي ظل هذه التعليمات، كان التاريخ اليهودي متشابهاً في كل مكان: في بابل، وفي فارس، وفي مصر، وفي اليونان، وفي روما، وفي اسبانيا، ولم يستطع أن يكون غير ذلك، مادام هذا التاريخ تحكمه جهة واحدة هي الشريعة.

ولكن لم يكن جميع اليهود من صنع هذا التاريخ، فقد انتشر التاريخ بعيداً ولم يشمل جميع اليهود، وإذا ما أشرنا إلى عكس ذلك فهذا يعني أننا سنحكم على جميع الألمان بلا تمييز جراء ما قام به الحزب القومي الاشتراكي، وعلى

جميع «الروس» بسبب مبدأ الغرباء الشيوعيين.

ولقد تحدثنا بأن قسماً كبيراً من اليهود لم يذهب بعيداً في قبول ما فرضته عليهم الشريعة من نظام التخريب أو الخضوع لها. وكانت تتعالى الاحتجاجات القوية في جميع الأوقات من قبل اليهود ضد المهمة التخريبية، وسمعت أكثر مما كانت هي مسموعة وسط تلك الشعوب التي هددتها هذه المهمة مباشرة بالموت، وفي أي مكان من هذا الكتاب إذ لم تذكر كلمة «يهودي»، فمن الضروري أن تُدرك بتحفظ مشروط ومبين.

وقد ظهرت «المسألة اليهودية» مرتين خلال الثلاثمئة سنة التي مضت على طرد اليهود من اسبانيا، على جدول الأعمال اليومية المستعجلة أثناء الهزات الاجتماعية التعسفية، حيث تبين للكثيرين في البداية كأنها كانت مثارة جراء التناقضات للمصالح الوطنية المحلية، وهذا ما جرى في أثناء قيام الثورة الإنكليزية، وبعدها الثورة الفرنسية، وسنتطرق لاحقاً بالتفصيل للمسألة المتعلقة بالأحداث الهامة في التاريخ العالمي ــ الثورة الروسية والدور اليهودي فيها.

إن ردة الفعل على الثورة الفرنسية أوصلت نابليون إلى السلطة، الذي حاول حل المسألة اليهودية أيضاً، مثلما حاول الأخرون مراراً من قبله تجربة حلها خلال قرون طويلة من التاريخ البشري بكل الأساليب الممكنة، عبر استخدام العنف والضغوط أو التهدئة باللين والاستسلام. لكن هذه الأساليب لم تساعدهم في شيء، وظلت المسألة على مر الأيام، مثل القرحة في أجساد الشعوب غير اليهودية. وليس من السهل على اليهود أنفسهم الذين هم من البشر أن يكونوا مرسلين للعالم بسكاكين تحت الجلد.

لقد حاول نابليون إنهاء «المسألة اليهودية» مرة واحدة وإلى الأبد، واختار أبسط السبل من الأساليب الممكنة، ومن المحتمل أنه من أجل هذا تحديداً يذكره أنصار صهيون بشعور ساخر واستهزائي لتاريخه : تبين أن هذا الحشري أذكى منهم أنفسهم، غير أنه حتى محاولاته باءت بالإخفاق، ويبدو أن حل هذه المسالة خارج طاقة الناس، وسيحلها الرب عندما يجد ذلك ضرورياً.

تحقيقات نابليون

إن «نابليون» الذي حقق الوصول لأعلى السلطة بنجاح باهر، تأهب للقيام بعمل ما لأجل فرنسا العظيمة والفرنسيين، ولنفسه ولاسرته.

وبعد أن أصبح إمبراطوراً (ويمكن أن يكون قبل ذلك)، رأى مباشرة أن واحدة من أصعب القضايا لم تأت من قِبل الفرنسيين، بل إنها جاءت من قبل الغرباء وهي «**المسألة اليهودية**» ـ كما توضح له ذلك تماماً ـ هذه المسألة التي لم تكف عن إقلاق البشر خلال مئات السنين.

لم يفلح «نابليون» في إقناع البابا ليضع على رأسه التاج الإمبراطوري[1]. مثله مثل الظل المرعب نما خلف عرشه، وعمل دائماً بشكل مباشر وحازم، ومسك نابليون الثور من قرنه وطلب الإجابة عن المسألة الأبدية: هل يتمنى اليهود في الحقيقة أن يصبحوا جزءاً من أمة أخرى، ولتكن في هذه الحالة الأمة الفرنسية والعيش وفقاً لشريعتها، أو أنهم يخضعون بشكل سري لشريعة أخرى هي التي أجازت لهم إفساد واستعباد الشعوب التي يعيشون في وسطها؟ ! .

لقد اهتزت سمعة «نابليون» في تلك الفترة بقوة بنظر الفرنسيين، بسبب تعاطفه الخاص الذي أبداه (من وجهة نظر الفرنسيين) في العلاقة مع اليهود، واستلم عدداً كبيراً من رسائل الاحتجاج والرجاء، للدفاع عن الشعب الفرنسي

---

(١) ـ يؤكد بعض المؤرخين عكس ذلك حيث يقولون بأن نابليون لم يرغب في أن يقوم البابا بوضع التاج الامبراطوري على رأسه عندما أقيم احتفال التتويج، بل انتزع نابليون التاج ووضعه بنفسه على رأسه، لكي يؤكّد للجميع رفضه الخضوع لسلطة الكنيسة. المترجم ـ غ.ك.

في مواجهة اليهود، حتى اضطر إلى أن يقول في كلمته الموجهة إلى «مجلس الدولة»: إن اليهود، مثل **الجراد ودودة الحرير يلتهمون فرنسا... وإن وضعهم هو «دولة ضمن دولة»**، ونفى اليهود الأرثوذكس في ذاك الوقت هذا الوصف بقوة من قبل «نابليون».

وتضاربت الآراء في مجلس الدولة الفرنسية حول المسألة اليهودية؛ وقام «نابليون» على أثر ذلك باستدعاء ١١٢ شخصاً من زعماء اليهود المتنفذين في فرنسا وألمانيا وإيطاليا إلى باريس، وعرض عليهم الإجابة عن مجموعة من الأسئلة. إن العالم العجيب الذي اصطدم معه «نابليون» يومها، عادة مايفهمه غير اليهود بشكل سيئ، وللايضاح أكثر حول طبيعة هذا العالم العجيب يمكن إيراد استشهادين على لسان مؤلفين معروفين من قبلنا جيداً: فقد كتب «أوغسطين» يقول: «**والفضل في ذلك، يعود إلى أن اليهود يعدون أنفسهم الشعب المختار، الذي وعد بالخلاص، وكان العالم اليهودي لهم هو المركز اليهودي دائماً، واليهود مؤهلون لرؤية جميع الأحداث التاريخية عندما يضعون أنفسهم في مركزها فقط». وأضاف (خ.س. تشمبرلين) يقول: «لقد صنع اليهود التاريخ العالمي الخاص، واضعين أنفسهم في المركز دائماً، ومنذ تلك اللحظة، التي وقّع فيها يهوه عهداً مع إبراهيم، تحول مصير إسرائيل إلى تاريخ للعالم، وفضلاً عن ذلك ــ إلى تاريخ كل الكون، هذا التاريخ الوحيد الذي اعتنى به الخالق. وهكذا فالحلقة تصبح ضعيفة وضيقة، لأنه لم يبق إلا نقطة مركزية واحدة فقط هي: «إسرائيل نفسها »**».

لقد أكدت الأسئلة التي وضعها «نابليون»، خلافاً للبريطانيين والأمريكيين السياسيين المعاصرين الذين استقبلوا الصهاينة، بأنه فهم طبيعة اليهودية بشكل رائع، وخاصة في وضعهم معياراً خاصاً للعلاقات الإنسانية، وهذا لم يكن سراً يجهله. فوفقاً لتعاليم الشريعة اليهودية، إن الكون تم خلقه في وقت محدد استثنائياً لأجل اليهود، وكل ما حدث فيه (بما في ذلك الحوادث التي تعبر عن شموخه ومجده الخاص) كان محسوباً مسبقاً، وربما حدث ذلك لكي ينتهي بالانتصار اليهودي.

لم يقوّم الإمبراطور الفرنسي النظرية اليهودية، أكثر مما فعله اليهودي

«أوغسطين» في وقتنا الحالي، ففي حديثه عن الإمبراطور الفارسي قورش واحتلاله لبابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد قال: «أوغسطين» «**إذا كان الإمبراطور العظيم في حينه مجرد أداة في يد الإله اليهودي، فهذا يعني أن الإله اليهودي لا يتحكم بمصير اليهود فقط بل حتى في مصائر الشعوب الأخرى، ومصير العالم أجمع**».

لقد كان «نابليون» جاهزاً في البداية لكي يكون هو نفسه «**أداة بين يدي الإله اليهودي**»؛ فحاول احتلال أورشليم، ولكن محاولته باءت بالإخفاق بسبب صد هجومه من قبل الإنكليز. (لم يكن الانكليز السبب المباشر في عدم احتلال نابليون للقدس، بل إلى وقوف الجيش الفرنسي خارج أسوار عكا وعدم قدرتهم على اقتحامها، وحراجة الموقف العسكري الفرنسي، وقيام تحالف أوروبي ضده ــ المترجم غ.ك) وحينما أصبح إمبراطوراً فعلياً وذا شأن، لم يعد يرغب بأن يكون أداة لأي كائن كان، وقرر إجبار اليهود للإجابة على أسئلة مختلفة فيما يخص الشرائع التي يعدونها ملزمة لهم. لقد كان في أسئلته شيء من المكر والخديعة، بحيث لم يترك لهم مجالاً للتهرب من الإجابة، فإما الإجابة عن الأسئلة، وكأنهم بريئون من أفكارهم، وإمّا الاعتراف بها، أو محاولة الابتعاد عن الإجابة المباشرة التي كان يمكن أن تؤدي بذلك إلى اتهامهم بالكذب والنفاق. وبطبيعة الحال فقد وصف «اوغسطين» هذه الأسئلة «**بالشائنة**»، ولكن كما تم الإشارة سابقاً، «الشائنة»: تعني دائماً أي نقد من قبل الواقفين خارج الشريعة، أي من غير اليهود، للشريعة اليهودية.

كانت أسئلة «نابليون»، كمن يصوّب نحو الهدف، ضارباً في صلب وجوهر التوراة والتلمود، اللّتين أقامتا جداراً منيعاً ما بين اليهود وباقي الشعوب. وكانت الأسئلة الأساسية: هل تسمح الشريعة اليهودية بعقد زواج مختلط (أي ما بين فرنسي ويهودية وبالعكس؟ المترجم ــ غ.ك) وهل يرى اليهود أن الفرنسيين غرباء أم أخوة لهم، وهل يرى اليهود أن فرنسا وطنهم، وما الدستور الواجب عليهم اتباعه، وهل تعمل الشريعة اليهودية على إيجاد فرق بين اليهود والرهائن المسيحيين؟ .

إن جميع هذه الأسئلة وُجِّهت ضد التمييز العنصري والتعاليم الدينية

اليهودية التي (مثلما هو موضحٌ في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب) كدسها الربائيون اللاّويون على أكوام الوصايا الأخلاقية القديمة، بهدف القضاء عليها. فقد طرح نابليون تلك الأسئلة بمنتهى الصراحة وباشكال مختلفة على ممثلي الطائفة اليهودية هذه الاسئلة التي طرحتها البشرية دائماً على اليهود عبر مئات السنين.

إن النور المبهر لهذه التحقيقات لم يبقِ لدى ممثلي الطائفة اليهودية إلا مجالين فقط: إما أن يعلنوا بصدق عن نبذهم الدائم لشريعتهم الخاصة العنصرية وإما رفضهم لها ولو ظاهرياً، ليحفظوا لها الولاء في الحقيقة، (هذه المناورة، قد سمح بها، كما هو معلوم، التلمود).

وقد اعترف المؤرخ اليهودي الصهيوني «اوغسطين»: نفسه بهذا وكتب قائلاً: (إن **«العلماء اليهود» الذين دُعُوا لدحض التهم الموجهة إليهم، قد بدوا في حالة صعبة للغاية، بقدر ما كانت كل كلمة في التلمود مقدسة عندهم، وحتى أساطيره وخرافاته**)، حيث كان باستطاعة اليهود التهرب من الأسئلة باللجوء إلى الكذب، مع أن نابليون جمعهم ليس من أجل أن «يدحضوا الاتهامات» بل للحصول منهم على إجابات صريحة فقط. ومع ذلك فقد أعلن المندوبون اليهود رسمياً، كما كان منتظراً منهم أن **«الأمة» اليهودية لم تعد موجودة، ولا يأمل اليهود بالعيش منغلقين على أنفسهم كمجتمعات مستقلة، وهم في كل ما يتعلق بذلك يعدون أنفسهم «فرنسيين» ولا يمكن أن يكونوا غير ذلك، ولكن شرطهم الوحيد يتعلق بموضوع الزواج المختلط، وحسب كلماتهم، يمكن ذلك عبر «الزواج المدني»** فقط (بمعنى أكثر وضوحاً، يمنع على اليهودية الزواج من المسيحي وفقاً للطقوس الدينية المسيحية أو بالعكس، ويسمح بذلك فقط عن طريق إجراء مراسم «الزواج المدني». المترجم ـ غ.ك)[1].

---

(١) ـ وقد وجه الاتحاد الصهيوني الالماني إلى الحزب النازي في ٢١ حزيران ١٩٣٣ مذكرة تضمنت التصريح التالي: «في تأسيس الدولة الجديدة التي نادت بمبدأ العرق، نرغب بتطبيع طائفتنا مع البنى الجديدة. إن اعترافنا بالهوية اليهودية يتيح لنا إقامة علاقات واضحة وجدية مع الشعب الألماني متماشية مع واقعه الوطني والعرقي، وبشكل أدق لأننا لانريد ان نقلل من اهمية هذه المبادئ الأساسية ولأننا ضد الزواج المختلط ومع الابقاء على نقاء العرق اليهودي، فان اليهود الواعين لهويتهم والذين نتكلم باسمهم يستطيعون ايجاد مكان لهم في ←

وقد اتسمت الخطوة اللاحقة لنابليون، بعبقرية فذة، حتى اضطر «أوغسطين» نفسه للاعتراف بذلك. مع أن الإمبراطور لم يتعمد ذلك مسبقاً فقد تم بمساعدته، إقرار واقع راهن، حيث وضعهم أمام إجابة ملزمة عن مسائل حياتيه مهمة (المسائل الحياتية المهمة للشعوب التي عاش في وسطها اليهود)، وقدم المندوبون الرسميون اليهود إجابات باطلة عمداً أحياناً أو تلك الوعود التي لايلتزمون بتنفيذها أحياناً أخرى، وأوضحت عشرات السنين التي أعقبت تحقيق نابليون معهم، أن زعماء اليهود لم يكن في نيتهم نهائياً، رفض واقعهم الحقيقي «دولة ضمن دولة». وإن إخفاق نابليون في حل «المسألة اليهودية» تحول إلى انتصار تاريخي حقيقي محافظاً على أهميته في أيامنا هذه.

لقد أدّى نابليون دون وعي خدمة كبيرة لليهود، وبيّن أن الأجوبة التي حصل عليها من اليهود لم تملك فعلياً أية قيمة تذكر. وكانت الشريعة الوحيدة والصارمة، التي اخضعت لها جميع الأعمال والأفكار حتى نهاية القرن التاسع عشر، قد فُرضت على اليهود مجدداً من قبل حكامهم التلموديين، وساعدهم في هذا المجال من جديد السياسيون غير اليهود، مثلما ساعد في حينه الإمبراطور «أرتاكسيركس» النبي «نحميا».

أصادقة كانت الأجوبة التي قدمها اليهود للإمبراطور نابليون أم كاذبة باطلة؟ من الممكن أن تكون وجهات النظر بهذه المسألة مزدوجة، كما كانت اليهودية نفسها، وستظل مزدوجة، وبلا شك. إن المندوبين اليهود، الذين قدموا أجوبتهم، أخذوا بعين الاعتبار ذاك الأثر الذي يكتنف موهبة اليهود المتساوية تماماً في كل دول العالم. ومن جهة أخرى كان الكثير منهم يأمل بجدية أن يتمكن

← بنيان الدولة الألمانية لأنهم تحرروا من الشعور بالكره الذي يواجهه اليهود المندمجون... نحن نؤمن بإمكانية قيام علاقات مخلصة بين اليهود الواعين ــ وبين الدولة الألمانية «روجيه غارودي» الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ــ بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٦ هل كان تصريح المندوبين اليهود بعد لقائهم نابليون وتصريح الاتحاد الصهيوني الالماني الموجه إلى الحزب النازي، مصادفة أم معبراً عن الطبيعة العنصرية لليهود فيما يخص قضيتين أساسيتين تكرر ذكرهما في التصريحين وهما (منع الزواج المختلط والمحافظة على نقاء العرق اليهودي) إن فحوى إعلان المندوبين اليهود بعد لقائهم نابليون في حوالي ١٨٠٣ ، لايختلف عن مذكرة الصهاينة إلى هتلر في الثلاثينيات من القرن العشرين، وقد تم التأكيد فيهما على عدم السماح بالزواج المختلط، إنها العنصرية عينها. المترجم ــ غ.ك.

اليهود في النهاية من الاندماج مع البشرية، دون التخلي عن تقاليدهم السرية وأفكارهم الخفية، والتمني بالاختراق عبر الحواجز القبلية المحرمة التي كانت سائدة وسط اليهود دائماً، رغم أن الطبقة الحاكمة كانت تبدو مصممة على قمع هذه التصرفات. ومن المرجح غالباً أن أحد المندوبين بيَّن الحقيقة كلياً، في الوقت نفسه الذي «خالفه الآخرون سراً» (هذا القول من كلمات أوغسطين) من الذين وعدوه بالولاء.

الثورة العالمية

إن القرن التاسع عشر من العصور المسيحية يختلف عن القرون الثمانية عشر الماضية، فهذا القرن يتصف بظهور حركتين عالميتين، تقاربت قيادتهما تدريجياً، نحو أهداف عامة مشتركة وتحويلها لعوامل حتمية للسياسة العالمية في نهاية القرن العشرين.

إحداها وهي ـ الصهيونية ـ التي حاولت من جديد، تجميع اليهود المشتتين في كل بقاع الأرض «كأمة» موحدة على الأرض التي وعدهم بها «إله اليهود»، وأهداف الحركة الثانية تكمن في ـ خلق الثورة العالمية ـ لكي يتم القضاء على مفهوم القومية كما هو سائد وسط جميع اليهود.

قد يبدو للوهلة الأولى، أن أهداف هاتين الحركتين متناقضة ومتضاربة: فالحركة الأولى، جعلت مفهوم الأمة يحل محل الدين، وحتى عقيدتهم، والحركة الثانية، أعلنت الحرب على مفهوم الأمة، ليس من أجل إحيائه بل بهدف القضاء عليه. وكما يبدو فإن التناقض كان مزعوماً في الحقيقة فقط، فالحركتان تطورتا بطريق متوازٍ، ومع ذلك لم تسيرا للالتقاء مع بعضهما بعضاً، بل للتصادم مستقبلاً. وكأن الرب الذي وعد الشعب المختار بالأرض وعده أيضاً بأن يضعه «فوق جميع شعوب المعمورة» وقهر الشعوب الأخرى «حتى القضاء النهائي عليها».

إن الثورة العالمية التي تنفذ الوعد الثاني لإله اليهود، كانت في الوقت نفسه تهيئ الظروف الضرورية للحركة الأولى (الصهيونية) أكان ذلك مصادفة أم بالاتفاق على مخطط مسبق، فهي تخدم إرادة يهوه، وبالتالي فإن مهمة المؤرخين

تقوم على توضيح ما إذا كان يوجد علاقة بين مؤسسي الصهيونية ومؤسسي الثورة العالمية، وإذا كانت هذه العلاقة غير قائمة، والأهداف المتوازية تلاقت مصادفة بكل بساطة فإن كل أحداث عصرنا تصبح عبارة عن مهزلة في التاريخ، وإذا كانت قد أقيمت علاقة وثيقة، ففي هذه الحال، إن أحداث مئتي السنة الأخيرة تنبئنا وأجيالنا القادمة، أن الثورة العالمية تبدو أنها خادمة للصهيونية.

كانت أحداث مئتي السنة الأخيرة، كما هو ظاهرٌ للعيان من أكثر الحوادث رعونة والأردأ في تاريخ أوروبا وهي جديرة بالاهتمام. وكانت بداية القرن التاسع عشر قد خلفت وراءها سبعة عشر قرناً من الارتقاء المسيحي. ولم يتحْ قبلها للبشر نهائياً تحسين أوضاعهم وعلاقاتهم الشخصية فيما بينهم بهذه الصورة، وحتى الحرب كانت خاضعة لشريعة القوانين الحضارية. وقد تبين بأن استمرار هذا الارتقاء في المستقبل مضمون. وبدا فجأة أن ما تحقق خلال قرون كثيرة قد ضاع نهائياً في منتصف القرن العشرين، وأصبحت نصف أوروبا تحت سيطرة سلطة الآسيويين المتوحشين (يقصد هنا المؤلف بالآسيويين المتوحشين الإشارة إلى يهود الخزر ـ المترجم غ.ك). وأصبح من المشكوك فيه، ما إذا كان بإمكان بقايا الأوروبيين أن يعيشوا بصورة هادئة، ويحافظوا على مثلهم العليا في ظل الحكم الهمجي الخزري، والاجابة على هذا التساؤل يعطينا إمكانية الإجابة على أحداث عشرات السنين الأخيرة من قرننا العشرين.

لقد ترافق التقهقر الأوروبي مع فترة تنامي التأثير اليهودي في حياة أوروبا، هذا التأثير الذي وصل إلى مستوى رفيع، والذي لم يصل إليه أي ملك أوروبي أو حتى كان باستطاعة الكنيسة تحقيقه. إن لوحة هذه القوة المتنامية، اقتربت من أوروبا كسحابة رعدية قادمة من الشرق، ويمكن إثارة الصورة باستشهادين، الأول ـ منذ بداية القرن التاسع عشر، والثاني في نهايته. وقد كتب المؤرخ العظيم «يوهان هوتغريد فون هِرْدِر» في عام ١٧٩١ قائلاً: إذا التفتنا إلى مئات السنين الماضية نرى أن «**بسطاء الشعب الأوروبي، أصبحوا طواعية عبيداً للمرابين اليهود، وكان اليهود وسيظلون في أوروبا شعباً آسيوياً** (إشارة إلى يهود الخزر الآسيويين ـ المترجم غ.ك) **وغرباء عن قارتنا، يخضعون لشريعة قديمة، وصلت إليهم في ظروف مناخية غريبة عنا، هذه الشريعة التي لا يمكن**

التحرر منها، حسب اعتراف اليهود أنفسهم، الشريعة التي تجعلهم غرباء عن الآخرين، وفي حالة عداء دائمة مع جميع الشعوب الأخرى».

ونطالع في صحيفة تعود لعام ١٨٠٧ ، تأكيد «سيندريون» حيال امتناع «هِرْدِر» عن فهم الأمة اليهودية، ومن المحتمل أن هذا المعاصر عدَّ «هِرْدِر» منافقاً ومتعصباً (ولو بشكل غير مباشر «معادٍ للسامية») إلا أن السنوات والأحداث الأخيرة أثبتت، بأنه مثل الكثيرين من قبله. لقد عرف «هِرْدِر» ما تحدث عنه.

وبعد مضي مئة سنة تقريباً، أي في عام ١٨٩٩، كتب عالم آخر وهو «هوستون ستيوارت شمبرلين»، مستنداً إلى ما كان قد كتبه «هِرْدِر»، حيث أكد على أن الاغتصاب القوي للسلطة يتم من قبل اليهود: «لقد جرت متغيرات جدية: يلعب اليهود الآن في أوروبا حيث انتشر نفوذهم هناك ـ دوراً غير ذلك الدور الذي لعبوه منذ مئة سنة مضت، وكما قال «فيكتور خون» «نحن نعيش اليوم في القرن اليهودي» ويمكننا أن نفكر بأي شيء عن التاريخ الماضي لليهود، لكن حالياً وهم يحتلون مواقع متعددة في تاريخنا، لم يعد بإمكاننا غضُّ نظرنا أكثر... فالعناصر الغريبة التي نبه إليها «هِرْدِر» يزداد تأثيرها أكثر فأكثر... والتأثير المباشر لليهودية في القرن التاسع عشر بدأ يتغلغل لأول مرة في التاريخ الحضاري، الذي أصبح مسألة ملحة للمعاصرين. وأصبح هؤلاء الغرباء لنا في مطلع القرن التاسع عشر تحديداً شعباً غير متناسب لدرجة كبيرة، وعاملاً مؤثراً في مجالات كثيرة في حياتنا...».

وكان «هِرْدِر» قد قال «**إن بسطاء أوروبا أصبحوا طواعية عبيداً للمرابين اليهود**» ولو كان بإمكانه النطق اليوم، لقال الكلمات نفسها عن أجزاء هامة من العالم المتحضر، وعن حكوماتنا ودساتيرنا وعلمنا وتجارتنا وأدبنا وفنوننا، ومختلف نواحي حياتنا، التي أصبحت عملياً عبيداً لليهود وللقيود الحقيرة طواعية. وإذا لم تكن هذه القيود تكبل ساقينا، فعلى الأغلب قد كبلت ساقاً واحدة، وأصبح التأثير اليهودي المباشر في القرن التاسع عشر مشكلة ملحة مؤلمة في حياتنا، نحن لا نتحدث عن المسألة الحالية فقط، بل عن مستقبل العالم أجمع... وإذا استطاع التأثير اليهودي، تحقيق انتصاره في أوروبا في وسط المثقفين والثقافة، فسنتخذ موقفاً سلبياً من جديد تجاه القوى التخريبية.

وهكذا تطورت الأحداث خلال مئة سنة من «هِرْدِر» إلى «شمبرلن». وإن الجمل الثلاث الأخيرة تعدّ تنبّؤاً أقرب إلى الواقع لأن «شمبرلن» لم يكن باستطاعته مشاهدة الحقائق التي تنبأ بها: الانتصار الخيالي للمتآمرين العالميين في نطاق ثورة أكتوبر العظيمة عام ١٩١٧، عندما انتصرت الشيوعية كقوة مدمرة لمفهوم الأمة، والصهيونية كمؤسس لمذهب سيادة الأمة الصهيونية في وقت واحد.

لقد ظهرت أشكال هذه العملية في الأفق بصورة تدريجية على امتداد ثلاثمئة سنة. وأصبحت آفاقها التاريخية واضحة تماماً اليوم، خاصة إذا تناولنا كل ثورة على حدة في ضوء التالي:

١ ــ يرى المؤرخون أن الثورة الإنكليزية عبارة عن حادثة غير متوقعة في التاريخ الإنكليزي، وكانت الادعاءات موجهة ضد الأسرة المالكة آل ستيوارت والكنيسة الكاثوليكية، وكما يسمونها ضد «البابوية». ولم يخطر ببال أحد من هؤلاء المؤرخين حينها، بأن هذه الثورة كان يمكنها أن تكون ثورة عالمية ضد جميع الأديان، وجميع الحكومات الشرعية. (وأصبح اليوم معلوماً لنا، أن الطبقة الحاكمة للطائفة اليهودية زودت الدكتاتوريين الثوار الإنكليز بالنقود، وتم استخدام هذا الأسلوب بتحريض ودعم من القيادة اليهودية التي كانت الرابح الأكبر من نتائج هذه الثورة، ومن المحتمل أنها كانت المحرض الأساسي لها، ولكن لا يوجد أدلة دامغة مباشرة، ولم يتم حفظ أي شيء عن آثارها، والمخطط المسبق الذي جهز للثورة لم يعد موجوداً).

٢ ــ إن طبيعة وتطور الثورة الفرنسية يبين لنا مدى انعكاس ضوء الثورة الإنكليزية عليها. وقد اتضح للمؤرخين حينئذٍ، على أنها لم تكن مطلقاً حادثة تاريخية فرنسية بحتة، اندلعت بسبب ظروف محلية فرنسية. بل على العكس، تماماً فإن الثورة الفرنسية قامت وفق المخطط المعد مسبقاً لكل الثورات والذي انفضح وأصبح معروفاً قبل عدة سنوات من قيامها، واكتُشف حينها أيضاً، أن المنظمة السرية الثورية لها أعضاء في دول كثيرة، وفي مختلف طبقات مجتمعات هذه الدول. لذلك فإن طبيعة التوجه العام للثورة كانت (قتل الملك وتدنيس المقدسات). وبما أنهم كرروا أعمال الثورة الإنكليزية، لم يعد أحد

حينها يعدّ أعمال الانتفاضة انتقامية عشوائية، بل أصبح واضحاً أن جميع الأعمال نفذت عمداً، وتتبع مخططاً واحداً، وهدفاً واحداً أيضاً، وهو القضاء على جميع الأديان والحكومات الشرعية أينما وجدت. إن كشف هذه الحقائق جعلنا نؤكّد بأن حتى الثورة الإنكليزية تم تحضيرها من قِبَل تلك المنظمة السرية، بهدف القضاء على جميع أمم العالم. (يتضح لنا من الثورة الفرنسية والثورة الإنكليزية بأن الرابح الأكبر كان دائماً الطائفة اليهودية، التي تمكنت من تحقيق إنجازات لجميع اليهود في المساواة عن طريق الثورات، واستخدمت هذه الثورات كغطاء لممارساتها السرية في عشرات السنين اللاحقة. وبالرغم من كل هذا الكلام عن الدور اليهودي، فقد كان من الصعب أيضاً الكشف عن الاشتراك المباشر لليهود كمحرضين للثورة، ولم يكن لنا من السهل الحصول على هذه المعلومات. ومن ثَمّ فإن اختلاف الثورة الفرنسية عن الثورة الإنكليزية، يكمن في أنها كشفت مباشرة عن وجود مؤامرة عالمية واسعة ذات جذور عميقة، وأصبحت من تلك اللحظة طبيعة مخطط الثورة واضحة الرؤية. ومن كان يمنع الحديث عنهم من المتآمرين الذين أمكن الكشف عنهم، عُدّوا بمنزلة أدوات وعصابات منفذة لا يربطها أي شيء بعضها ببعض، سوى أنها تزرع الرعب وتنشر الخراب في كل مكان، وأصبح الهدف بدهياً كلياً. مع أن المنظمين الفعليين للثورات ظلوا لغزاً. والأنموذج الحي بخصوص المعلومات في هذا المجال كانت الكلمات المشهورة للمؤرخ السياسي الإنكليزي ذي النفوذ الكبير «لورد اكتون» (١٨٣٤ ـ ١٩٠٢) الذي حلل المشهد التاريخي عبر الشكل التالي: **«إن المخيف في هذه الثورات ليس عربدتها وإساءتها ولكن في منظماتها. وإذا اخترقنا النار والدخان فسنكتشف وجود منظمة مدبرة لكل هذه الأعمال، ويظل قادتها مخفيين بشكل سري متقن تحت أقنعة مختلفة، غير انه لا توجد فكرة منذ البداية تمنعنا من الاعتقاد بوجودهم في خضم الأحداث».**

وبعبارة أخرى، إن الثورة الفرنسية فضحت وجود مخطط مسبق لها قبل اندلاع الأحداث الثورية، وكان هذا المخطط على النطاق العالمي. وما كان قد اتضح سابقاً في الثورة الإنكليزية على أنه عشوائي، اصبح بعد الثورة الفرنسية عبارة عن نتاج مخطط ومدبر ومفكر به، وأوضحت المؤامرة بأنها قوية وناجحة، وينبغي التسليم بوجود تخطيط مسبق للثورة، ومع ذلك لم نتمكن أيضاً في

الثورة الفرنسية من نزع القناع كاملاً عن قادتها الفعليين الحقيقيين، ولم تكشف غير نصف أسرارها الخفية.

٣ ــ لقد سمحت الثورة في روسيا بتقويم الثورة بصورة أوضح مما هي، كما في إنكلترا، كذلك في فرنسا. وأعمالها في ممارسة الاغتيالات وتدنيس المقدسات عبّرت بلا شك عن وجهها الحقيقي، وعبر هذه الثورة بيّن اليهود لكل من يرغب أن يرى، أن المهمة التخريبية العالمية، تسير وفق مخطط مرسوم، هذا المخطط الذي كشف في أحداث الثورة الفرنسية لأول مرة. فضلاً عن ذلك ما أعلنته خلال مئة سنة متتالية من «افتراءات» و«تلفيقات» تكشف الآن عن سريتها ولم تعد تخفي شيئاً على أحد: وابتداءً من عام ١٩١٧ اصبحت الثورة العالمية معترفاً باستمراريتها. وأما هدفها فهو الانتصار في جميع العالم، وما كان مؤامرة سرية سابقاً، أصبح حزباً سياسياً، يقاد من موسكو وينشط علناً في جميع الدول.

ومن ثم بينت الثورة الروسية بدورها وبوضوح تام، طبيعة ومصادر الثورة الفرنسية، أما فيما يخص الاسرار الخفية والقيادة المقنعة في الثورتين السابقتين، فنجد انه في ضوء أحداث الثورة الروسية ظهرتا بشكل جلي أكثر وأصبح بالإمكان التعرف على اصليهما اللذين لم يستوعبهما أحد لتاريخه. وإن أغلب أعضاء قيادة الثورة الروسية تقريباً كانوا من أصول شرقية (يهود الخزر)، والاغتيالات وتدنيس المقدسات كانت من أعمالهم أيضاً، وأصدروا قانوناً يحذر عملياً أي نقاش عن الدور اليهودي في الثورة، أو أي شيء يذكر فيما يتعلق «بالمسألة اليهودية» .

وهكذا تم إعطاء الإجابات عن قضايا حياتية هامة، وما كان سرياً أيضاً في عام ١٧٨٩، قد اصبح أمراً بدهياً في عام ١٩١٧ . وكل من بحث في هذه المسألة تبين له بأن الثورة الفرنسية كانت مهمة أكثر، لأنها كشفت عن وجود مخطط عالمي للثورة ومنظمة أوجدت هذا المخطط، وإن نشاط هذه المنظمة تحول خلال تسعة عشر قرناً إلى قرن المؤامرة العظيمة. ومع أن كل ما حدث غير مدرك، فقد شعر قسم من الناس القلقين، والشعب بأكمله بوجود شيء ما عدائي ينفّذ في الظلام، هذا الشعور الشبيه بشعور المساجين في الأعماق تحت الأرض الذين يتوجسون من الأصوات التي تصدر ليلاً. وأصبح الهواء من حولنا

موبوءاً وكأننا نشتم منه رائحة المؤامرة. وأحست الانسانية منذ لحظة اندلاع الثورة الفرنسية، بأن في وسطها يعيش كائن عدائي، ونحن نشعر في أيامنا هذه بأثر المؤامرة علينا، ونرى بوضوح مع من نتعامل، ونعرف أنه تم وضعنا أمام أباليس شيطانية.

ومن المحتمل أن الخدمة الأسوء التي قدمت للبشرية هي حروب نابليون وانتصاراته، وشَغلت هذه الحروب والانتصارات انتباه الشعوب عن أمور أكثر خطورة كانت محدقة بهم بكثرة: الثورة العالمية وقيادتها السرية. ولو لم يكن نابليون، لكان العالم أولى هذه المؤامرة اهتماماً أكثر، بما أن أدلّة وجودها كانت ظاهرة للعيان.

مخطط المؤامرة

في عام ١٧٨٦ حصلت الحكومة البافارية على أوراق لإحدى منظمات «آدم ويسهاوبت» السرية (أخوية التنويريين) ونشرتها في عام ١٧٨٧ حيث تم العثور على مخطط الثورة العالمية، والكشف عن منظمة قوية، يتبوأ أعضاؤها مراكز عُليا في أجهزة الدولة. ومنذ تلك اللحظة لم يعد هناك أدنى شك بأن هؤلاء الناس ينشطون في جميع الدول وبين مختلف الطبقات الاجتماعية، بأهداف موحدة لتدمير كل الحكومات الشرعية والقضاء على جميع الأديان (باستثناء الديانة اليهودية). وبعد انفضاح أمر المتآمرين انتقلوا إلى العمل السري، إلا أن المنظمة خرجت، واستمرت في نشاطها، وظهرت من جديد في أعلى المستويات بعد مئة وخمسين سنة أي في عام ١٩١٧، وتعمل لتاريخه بحرية مطلقة، مثل المنظمة الشيوعية العالمية، ولا تخفي أهدافها، التي كشفتها الحكومة البافارية في عام ١٧٨٦ .

وأصبحت وثائق «ويسهاوبت» جديرة بالإعلان بفضل المصادفة الغريبة نوعاً ما التي حفظت وثائق «ويتكار تشامبرس» في عام ١٩٢٨ التي كان من الضروري أيضاً سردها للقراء لاحقاً.

كان «ويتكار تشامبرس» فتى أميركياً، سريع التأثر، حين التحق بجامعة كولومبية عام ١٩٢٥ واصبح عميلاً للشيوعيين تحت اسم مستعار، وقام بإعطاء الوثائق الحكومية المسروقة لقادته الشيوعيين، وفي عام ١٩٣٨ ملّ هذا العمل، وخرج من صفوف الحزب، كما أخافه أيضاً تحالف الشيوعيين مع هتلر عام ١٩٣٩ (إشارة إلى الاتفاقيات التي تم توقيعها بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا في هذا العام ـ المترجم غ.ك) وحاول أن يضع الرئيس روزفلت في حقيقة الأمر،

حول تغلغل العملاء الشيوعيين في الأجهزة الحكومية للولايات المتحدة الأمريكية والقيام بالتجسس عليها، لكنه لقي رداً جافاً حين نصحه مستشار الرئيس «بأن يغرق نفسه في البحيرة»، ونتيجة لحذره، خبأ «ويتكار تشامبرس» الأدلة الموجودة لديه (صور عن مئات الوثائق الحكومية السرية في حفرة لمصعد لا يعمل، في أحد المناجم ونسيهم بعد ذلك؛ ولم تثر هذه الوثائق ـ حتى عام ١٩٤٨ ـ اهتمام أي إنسان كان، غير أنه في عام ١٩٤٨، تم ذكر اسم «ويتكار تشامبرس» أثناء عمليات التحري والبحث التي قاموا بها عن عميل شيوعي آخر، حيث تم استدعاؤه إلى المحكمة بصفة شاهد، وهنا أشار «تشامبرس» أنه بتكليف من موظف حكومي رفيع المستوى «ألجر هيس»، قام بـإعطاء الشيوعيين وثائق حكومية سرية جداً، فسرعان ما قام «هيس» بالهجوم على «تشامبرس» نتيجة وشايته تلك وبعدها طلب «تشامبرس» من قريبه في نيويورك التحقق من وجود (الصندوق الذي يحتوي على الوثائق التي كان قد خبأها في حفرة المنجم قبل ١٠ سنوات) حيث تم العثور على الصندوق المغطى بالغبار. وأذهلت هذه الوثائق الموجودة بداخله «تشامبرس» نفسه، حيث كان قد خبأ هذه الوثائق، في حفرة مصعد لأحد المناجم الواقع في مزرعته في حقل اليقطين (القرع). ومن خلال دفاعه عن نفسه قدم الوثائق إلى المحكمة، وهذا ما أدى إلى إدانة المتهم «ألجر هيس» وإلى كشف جزء بسيط للعمالة الشيوعية في الأجهزة الحكومية. وقد تبين عمق ونطاق هذا التغلغل خلال الحرب العالمية الثانية، حيث كانت سياسة الولايات المتحدة لدرجة معينة واقعة تحت التأثير المباشر لقادة الثورة العالمية القابعين في موسكو. وحول هذا الموضوع سيتم التحدث لاحقاً بشكل مفصل أكثر في الفصول القادمة، وسنشير الآن إلى أن هذا لم يكن محض مصادفة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، بل كان نتيجة مفعول الخطة المرسومة التي كان قد تم الإعداد والتحضير لها من قبل أكثر من خمسين عاماً، حتى قبل «تشامبرس» و«ألجر هيس» والرئيس روزفلت.

وباختلافها عن محتويات صندوق تشامبرس في حقل اليقطين (القرع) ففي يومنا هذا، كان بالامكان نشر وثائق أخوية التنويريين في حينها وربما جزئياً. وكان قد تم إتلاف أغلبها، بعد أن اصبح معروفاً عن نشاط وممارسات التنويريين حتى قبل عام ١٧٨٦ . والفضل في ذلك يعود لتباهي عدد من أعضاء الجماعة،

ولحدٍ ما حسب توضيحات هؤلاء الأعضاء الذين كانوا منذ ١٦٠ سنة كما هو «تشامبرس» ـ ثاروا ضد هذه الأخوية مبينين طابعها الحقيقي. وكان قد ابلغ الأعضاء السابقون لأخوية التنويريين الذين كانوا قد تركوها في عام ١٧٨٣ دوقة بافاريا ماري أنا: إنه وفقاً لتعاليم هذه الهيئة، فالدين يعد بلا معنى (نذكر بأن ماركس قال ـ الدين أفيون الشعوب) والوطنية ـ اعمال صبيانية والانتحار له مسوّغاته، وفي الحياة يجب أن تقود الشهوانية وليس العقل، مما يسمح بتسميم أعدائنا... الخ .. ونتيجة لهذه المعلومات المماثلة أو تلك، أصدر دوق بافاريا في عام ١٧٨٥ مرسوماً ضد التنويريين، واعتبار الأخوية فرعاً من الماسونية العالمية، ومنع الموظفين الحكوميين، والعسكريين، والعلماء، والمعلمين والطلاب من الدخول في هذه الأخوية، وتعرضت جميع الجمعيات السرية التي لم تكن مسجلة بصورة رسمية إلى الحظر.

هذا الحظر (بطبيعة الحال بقي غير فعال لدرجة ما، لأن الجماعة السرية من غير الممكن خضوعها للمرسوم) أيقظ المتآمرين (حسب شهادة اثنين من المؤرخين التنويريين .س.ف. فورست ولبيدو انجل)، حيث «اخفوا بـإتقان، واحرقوا أغلب وثائق الهيئة المهمة». زد على ذلك «ربما حافظوا على عدد من هذه الوثائق، التي تعرضت أغلبيتها للإتلاف، وأوقفوا تعاملهم الخارجي لكي يبعدوا الشبهات عنهم».

ومع ذلك فقد عُثرَ على القليل منها، وعلى أوراق أخرى مطبوعة، بالرغم من أنها لم تبين خطورة نشاط أخوية التنويريين، وعدد أعضائها، واتصالاتها في فرنسا وإنكلترا وأمريكا، ورغم هذا تم الكشف عن طبيعة الجماعة السرية ونيّاتها التخريبية، وأصيب أحد الأعضاء التنويريين بصدمة صاعقة في سيليزي عام ١٧٨٥ عندما عثر لديه على أوراق قادت إلى تفتيش منازل اثنين من قادة التنويريين. والمراسلة التي جرت ما بين «سبارتاك (آدم فيسهاوبت) و«أربو بانميت» (محفل المستشارين المقربين) والتي عثر عليها عند تفتيش عدد من الوثائق الأخرى، كشفت عن المخططات الكاملة للثورة العالمية، والتي تعرفنا عليها جيداً في القرن العشرين تحت اسم «الشيوعية».

من الصعب التصديق، في الوقت الحالي، بأن هذه المخططات التخريبية

الجبارة ولدت برئاسة أحدهم ربما هو بروفسور بافاري قليل الشهرة. واصبح واضحاً لكل شخص مثلما كتبت «نيستا بيستر»، أن «ويسهاوبت» وأنصاره لم يدعوا، بل مهدوا السبيل لخلق تأثير قوة مخيفة، غفت مئات السنين في انتظار ساعة الصفر.

لقد أسس «ويسهاوبت» أخوية التنويريين في الأول من أيار عام ١٧٧٦ ليصبح فيما بعد عميداً لكلية الحقوق في جامعة اينغول شتاد (وفي وقتنا الحالي غالباً ما استقر الاساتذة الشيوعيون السريون في كليات الحقوق). لقد حقد ربيب اليسوعيين على تلاميذه ولكنه صاغ منظمتهم السرية، وشوههم وقادهم لتحقيق أهداف متناقضة كلياً. وحسب كلمات شريكه، الثوري الفرنسي الكونت «ميرابو»، إن أسلوبه يكمن في أنه «وزع شخصيات مهمة في جميع أنحاء العالم تحت قيادة واحدة». هذه الأفكار وحدت أكثر الناس اختلافاً لتحقيق هذه الأهداف بمساعدة المنظمة السرية، التي ظلت غير معروفة لهم، حيث تم التعرف عليها بعد كشف المراسلات والوثائق الأخرى للتنويريين، بعد أن وضعت الحكومة البافارية يدها عليها.

قُدِّمت الأفكار المشار إليها بغيرة باعثة على الحسد، وأما الأساليب الكثيرة لتحقيق النجاحات فقد كانت مبتدعة للغاية. وهنا بلا شك، يتم استخدام تجارب الأنشطة السرية المتراكمة لقرون كثيرة، وكانت المؤرخة الإنكليزية «نيستا بستر» مضطرة، أن تتوجه إلى الماضي إلى بداية العصر المسيحي وإلى عصور ما قبل الميلاد أيضاً بحثاً عن المصادر الأولية لهذه الباثولوجية وتحريف المبادئ. إن الوصف الدقيق لأهداف، وأساليب ونجاحات «آدم ويسهاوبت» نجدها كما هي لدى الشيوعيين المعاصرين، وهي موثقة بأمثال كثيرة في مصادر طائفة القبالة العارفين المتهوسين.

إن الوثائق الأصلية لـ «ويسهاوبت» لم تثر الشك. وكانت الحكومة البافارية قد حذرت حينها من الصراخ الممكن عن «التزوير» (خاصة أنه قد أصبح ظاهرة القرن العشرين)، ودعت جميع من يرغب في التعرف على وثائق «ويسهاوبت» في أرشيف الدولة في ميونخ. إن وضع اليد على هذه الوثائق كشف أولاً: أهداف الهيئة. وثانياً: أساليب عملها. وثالثاً: العدد الهائل

لأعضائها، على الأقل مقارنة مع المنطقة الصغيرة الموجودة فيها، (وبالأخص في جنوب ألمانيا) وسنناقش هذه القضايا الثلاث بالتفصيل.

إن الفكرة الرئيسة تم صياغتها بكل وضوح في رسائل «سبارتاك» التي تبادلها مع رفاقه المتآمرين والسريين أيضاً، وانتحالهم أسماء مستعارة. وهي تدمير جميع السلطات الشرعية، والقومية، والدين لفسح المجال أمام طبقة جديدة حاكمة من التنويريين للاستيلاء على السلطة، وكان المؤرخ الفرنسي «هنري مارتن» (١٨١٠ ــ ١٨٨٣) قد بيّن طبيعة أهداف هذه الجماعة على الشكل التالي: **إلغاء الملكية الخاصة، والقضاء على جميع الفعاليات الاجتماعية، والقومية، والدين وإعادة البشرية إلى الوضع السعيد قديماً، عندما كانت فيه العائلة واحدة ــ موحدة بلا حاجات صناعية، وعلم بلا فائدة، عندما كان رب العائلة مقدساً وقاضياً. وبالطبع غير معروف عن أي ديانة يدور الحديث، بغض النظر عن الاستخدام المتكرر لإله الطبيعة، وجميع الشواهد تؤكد بأن لدى ويسهاوبت لم يكن يوجد إله آخر، ما عدا «إله الطبيعة».**

وهذا ما تؤكده كلمات ويسهاوبت نفسها «**سيتم انحلال الملكية والقومية... والشريعة الوحيدة التي ستكون للإنسان هي العقل**» تستثنى كلياً جميع الأفكار «الإلهية السلطوية» فوق الإنسان في كل كتابات ويسهاوبت.

وكان الهجوم على «الأمراء والملوك» مجرد حروب تمويهية ضد القومية كلها (وهذا ما حدث تماماً بعد ذلك)، وبما أن الشيوعيين لا يوجد فرق لديهم، ففي الوقت الذي لم يعد فيه وجود للأمراء والملوك هناك، بدؤوا يقضون على السياسيين ورؤساء الحكومات ذوي الأصول البروليتارية. وكانت أهداف الهجوم على «البابوية» قد تجلت في مراسلات ويسهاوبت الخاصة مع العاملين المقربين منه: إن الأكاذيب في هذه الحال ألهمت الشركاء الصغار والشخصيات الاجتماعية عندما عرفوا شيئاً ما عن نشاط التنويريين. لقد استطاع «ويسهاوبت» استمالة شخصيات مرموقة إلى منظمته بصورة رائعة وهؤلاء سعوا لإظهار «تقدميتهم» «وليبراليتهم» وإن ما يؤكد ذلك، هو وجود عدد غير قليل من أسماء الأمراء (البرنس) ورجال الدين ضمن القائمة السرية للأعضاء.

لقد كان هجوم ويسهاوبت صفة مميزة لمذهبه على الدين. ونظريته عن إله

العقل وإله الطبيعة القريبة جداً من اليهودية في علاقاتها مع غير اليهود، فقدت أهميتها، بعد أن أصبحت التنويرية شيوعية لاحقاً، ووقعت الشيوعية تحت تأثير القيادة اليهودية. وقد ورد في الشريعة اليهودية: إن غير اليهود (الذين هم مستثنون من المملكة العالمية اليهودية مستقبلاً) يجب أن يبلغوا دين الطبيعة والعقل فقط وهذا ما علمه تحديداً «ويسهاوبت». وفي مذكرات «موسى منديلسون» (فيلسوف يهودي ١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) يتحدث: «**إن جميع الحاخامات موافقون على أن الشريعة المكتوبة والشفهية، التي شكلت ديانتنا هي الملزمة لقوميتنا فقط. لقد أعطانا موسى الشريعة، نحن ورثة أولاد يهوه، نؤمن بأن الرب أوصى جميع شعوب الأرض الأخرى باتباع شريعة الطبيعة... ومن يتبع في حياته الدين المشار إليه: الطبيعة والعقل، يعدّ لدى الشعوب الأخرى من الأتقياء**».

وقد كتب «موسى منديلسون» عن ذلك منذ مئتي سنة مضت، محدداً بصورة صحيحة علاقة اليهود مع الذين أطلق عليهم كيبلينغ «الأقليات خارج الشريعة». وفي وقتنا (١٩٥٥) يناقشون في اليهودية إمكانية تقريب هذه «الأقليات» لليهودية أيضاً ولو اسمياً، لكن في الواقع استثنوا إلى الأبد لأنهم غير مؤهلين لذلك. ونتذكر بأنه قبل مجيء المسيحية بحثوا عن أنصار جدد وقبلوهم، ولكن مع بداية العصر المسيحي لم يسمح اليهود بصورة عدائية بدخول غير اليهود في اليهودية (والاستثناء الوحيد، هو دخول الشعب الخزري بأكمله وهم الذين كوّنوا الاشكناز ـ يعني اليهود الشرقيين) ويتحدث التلمود بوضوح أن «الأنصار الجدد لدرجة معينة كريهين لإسرائيل مثل الجرب».

وفي عام ١٩٥٥ أدلى حاخام إصلاحي شاب هو يعقوب «بيتهوفسكي» المولود في ألمانيا، لكنه عاش في أمريكا، برأيه عندما قال: إنه قد حان الوقت الذي يجب على اليهود أن يبدؤوا فيه بالتبشير وسط غير اليهود. واستندت مقترحاته على أساس تلك المبادئ التي كان قد عرضها في حينه «موسى منديلسون»، وربما تفادى «بيتهوفسكي» الصعوبات التي تبينت «لمنديلسون» أنه لا يمكن التغلب عليها «**اقتداء بمبدأ ديني، يمنع عليَّ إدخال أي كان في ديانتي، غير مولود على شريعتنا... فالديانة اليهودية لا تسمح بذلك إطلاقاً**».

وفي الحقيقة، ووفقاً لمخطط «بيتهوفسكي» فإن إدخال معتقدين جدد من غير اليهود قد يبدو لليهود الأصليين شبيهاً بذلك الوضع الذي كان فيه الزنوج الأميركان لدى مالكيهم البيض في مزارعهم في عصر العبودية. وطلب من الدخلاء الجدد (بالأصح لقد سمح لهم) ربما الخضوع «لشرائع نوح السبع» (وكما يبدو، على أساس ما ورد في الاصحاح التاسع من سفر التكوين) وليس لمئات الأوامر والتحريم التي تعدّها شريعة موسى معطاة من الرب. وبهذه الطريقة حصلت «الأقليات» من أيدي اليهود على «ديانة الطبيعة والعقل» التي رأوها سابقاً أنها مناسبة لهم كما رآها «آدم ويسهاوبت» وكذلك «موسى منديلسون». ولكن «الدخيل» كان بـإمكانه أن يسمي نفسه «يهودياً» كحال الزنجي الذي أخذ كنية مالكه لنفسه.

إن المقترحات الظريفة! يمكن تفسيرها بأن السلطة اليهودية في العالم اجمع هي «عظيمة» في وقتنا الحالي حسبما يزعمون، بحيث من الضرورة بشكل ما حل مسألة «الاقليات» أيضاً، ليتسن «الالتزام» بالشريعة حرفياً. ومثلما كتب «بيتهوفسكي» نفسه قائلاً: **يؤمن اليهود المتدينون، بأن مخطط المملكة الإلهية على الأرض أعطي بين أيديهم... وأولئك غير اليهود الذين يفكرون بهذا الانقاذ العظيم القادم، ينبغي عليهم أن يتعرفوا على ما يمكن أن تعطيه اليهودية ويجب دعوتهم للاعتقاد بأن مصيرهم هو في بيت إسرائيل**».

إن ما يطرح هنا على غير اليهود ما هو إلا مثل «دين الطبيعة والعقل» عملياً دون إدراك الإله الحقيقي الموجود والمستحق للمختارين فقط، ومما ورد سابقاً، من أقوال قد عززت من نفوذ وهيبة اليهود، التي لا يختلف فيها «منديلسون» عن «ويسهاوبت»)، والتي بينت أن الإله نفسه قد استثنى غير اليهود من عداد الذين دعاهم إليه، وأمرهم بالعيش متبعين شريعة «الطبيعة والعقل» فقط. وبعبارة أخرى، إن ما عرضه «ويسهاوبت» عليهم لم يكن إلا ما حدده الإله اليهودي. وإن لم يكن الحاخامات التلموديون ملهمي التنويريين (وإن كنا لا نستطيع إظهار ذلك مباشرة إلا أنه من السهل توضيحه)، لماذا اصبحوا في المستقبل يؤدون دوراً قيادياً في الحركة الشيوعية.

لقد عزا التنويريون جميعهم إلى أنفسهم أسماء مستعارة، تعاونوا وتراسلوا من خلالها مع بعضهم بعضاً، وما زال هذا النهج (من الأسماء المستعارة الحزبية)

مستمراً إلى يومنا هذا، وأصبح أعضاء الحكومة الشيوعية التي استلمت السلطة في روسيا عام ١٩١٧، معروفين للعالم للمرة الأولى تحت أسماء مستعارة، ويعرفهم من خلالها أتباعهم حتى وقتنا الحالي. وبينت هذه التفسيرات في أعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٥ في أميركا وكندا واستراليا أن العملاء الشيوعيين المتغلغلين في حكومات تلك الدول، استخدموا أسماء مستعارة، كما فعل ويسهاوبت وأنصاره بالضبط في ذلك الوقت. وكانت منظمته تتألف من عدّة درجات وهيئات خارجية دخل فيها أعضاء مقبولون مجدداً. وكان التقدم حسب الدرجات مصحوباً بالتطور التدريجي في معرفة أسرار الأخوية. وكان «ويسهاوبت» يفضل تجنيد الأعضاء من وسط الشباب السريعي التأثر من ١٥ حتى٣٠ سنة (ويطبق هذا الأمر في أيامنا هذه: «ألجر هيس»، «غاري ديكستر وايت»، «ويتكار تشامبرس»، «دونالد مالكين»، «غاي بوركيس» وكثير من الأسماء الأخرى التي تم تجنيدها في الشبكة في سنوات الدراسة في الجامعات الأمريكية والإنكليزية) ووفقاً للتطور في التجنيد أو التغلغل في مجموعات الجماعة الخاصة، فقد صيغت درجات ومراتب جديدة. وكان قد ذكرسابقاً، كيف تم تجنيد رجال الدين. وإذا كان الشيوعيون يتمسكون بشعار مفاده أن الشيوعي الأول كان يسوع المسيح، فإنهم يقومون بذلك بتقليد ويسهاوبت بشكل أعمى واضعين «الشيوعي» عوضاً عن «التنويري». وأن تنسيب اعضاء جدد كان يتم بأشكال مختلفة وذلك حسب الظروف القائمة.

كان يجب على الشباب اليافعين الذين تجندوا مع المتآمرين أن يؤدوا اليمين في احتفال يُرَوَّعُون فيه عمداً، بما في ذلك الاستهزاء بالاسرار والقرابين المسيحية، وطلب منهم القيام بعمل ما ضد عائلاتهم بتحويلهم إلى «عرفاء أساسيين»[1]، وتحتم عليهم التجسس أحدهم على الأخر (اتخذتها الأحزاب الشيوعية المعاصرة قاعدة طبيعية لها)، وربما تناولتها في البداية شريعة موسى، التي طالبت أيضاً بالإبلاغ عن الأقارب الذين يرتاب من هرطقتهم وضرورة التمسك بشعار «**التجسس على الجواسيس**» التي تم إدراجها ضمن قائمة «الشريعة والكتب».

---

(١) ـ درجة من درجات أخوية التنويريين. المترجم ـ غ.ك.

وقد أوصي الشاب التنويري، بأنه لن يعلم نهائياً، كم هو عدد الموظفين غير المعروفين الذين يتعقبونه، والذين كانوا معروفين له فقط هم قادته المباشرون. وعلّموه الوشاية على جميع من حوله، واعتبرهم بدورهم وشاة عليه. هذا هو المبدأ الأساسي للقيادة عن طريق الارهاب، الذي لايكفي لنجاحه جرائم القتل وحدها، والتعذيب، والسجن فقط، وكذلك لاتكفيه المعرفة في أن عدم الوثوق بأي شخص كان ـ حتى لو كان، الأب، أو الابن، أو الصديق ـ قد يقود الضحية الى الخضوع التام.

بالرغم من أنه لم يعثر في وثائق التنويريين على أوامر معينة أو غيرها تشير إلى عملهم في فرنسا، غير أنه لامجال لأي شك، في أن الثورة التي اندلعت هناك قبل ثلاث سنوات حينها، انتقلت إلى الهجوم العلني على الدولة والدين، وفقاً لمخطط «ويسهاوبت» وانصاره تماماً، ومنذ تلك اللحظة وحتى الآن عمل عدد لا يحصى من الكتّاب في خدمة الثورة العالمية، تلك الاسماء من الفيالق التي لا تكفّ عن نفي أي علاقة كانت مابين التنويريين والثورة الفرنسية، ولم يتبنّوا أفضل الذرائع، بل إنهم استخدموا الحجج الساذجة، لأن الجماعة السرية تم حظرها في عام ١٧٨٦ ولم تستطع لعب أي دور في عام ١٧٨٩ .

وكما الشيوعية في وقتنا الحالي لاتخفي كثيراً قبولها الشريعة الجديدة، وإظهارها بصورة غير علنية، كذلك فإن «حظر» التنويريين في عام ١٧٨٦ لم يمنعهم من استمرار وجودهم. واعطى عملاؤهم الثورة الفرنسية مزايا أنموذجية، كتلك التي ظهرت كمخلوقات للثورة العالمية. وفي جميع الأحوال إن الثورة الفرنسية لم تقم بسبب احتجاج الشعب الفرنسي وعدم رضاه عن أوضاعه. ولم يكن بالإمكان أن نتخيل، كيف كانت تنفذ الأعمال الإرهابية تماماً من قبل، ولكنها وجدت طريقها قبل ذلك بوقت طويل في مخيلات التنويريين. ومن كان يستطيع من قبل أن يفكر وينظم موكباً علنياً، برئاسة الحمار الذي يحمل في شوارع باريس الأواني المقدسة المستخدمة لتقديم القرابين؟ كانوا هم انفسهم من وضعوا التقاليد القديمة التي تسخر من المسيحية، ونسّبوا أعضاءهم في احتفالات استهزؤوا فيها بالأسرار المسيحية، بزعامة من!.. عدا «ويسهاوبت» وانصاره الذين كان يمكن أن تتولد لديهم فكرة تتويج فنانة في كاتدرائية العذراء بباريس بصفة إلهة العقل؟ ! .

«لكي تدعو أرواح الجنة... من الضروري... تدنيس أسرار الدين وتمييع جوهره المقدس» هذه كلمات **«أ. بي. ويت»** الذي يصف مكونات السحر الأسود، أما السحرة السود والشيطان فقد أصبحوا أجزاء مكونة لطبخة التنويريين.

ومن المحتمل أن ويسهاوبت ووكلاءه وكبار مساعديه، عزموا على التغلغل في فرنسا بوساطة عملائهم التنويريين السريين، الذين كانوا يحتلون مناصب عليا. ونرى في وقتنا الحالي، النجاحات التي أمكن تحقيقها بهذه الأساليب. فنتائج الحرب العالمية الثانية وحالة الهدنة العسكرية، التي وضع فيها العالم أجمع كانت نتيجة لنشاط أُناس على طراز «هيس» و«وايت» وشخصيات رفيعة المستوى غير معروفة. لقد اختار «ويسهاوبت» الطريق الأفضل لكي يضع في يده زمام توجيه السياسة الفرنسية، واستطاع استخدام منظمة سرية أخرى، حيث تغلغل بداخلها واستحوذ على أساليبها الواردة في وثائقه، وكانت هذه المنظمة هي الماسونية وتسميتها «الشرق العظيم».

إن النجاحات الواسعة، التي حققها «ويسهاوبت» تظهر جليّة من خلال تذمر وشكاوي دوق «براون شفيغ»[1] الماسوني الألماني، استاذ الشطرنج الكبير والعضو السابق لأخوية التنويريين، بعد مرور خمس سنوات على بداية الثورة الفرنسية. وبفضحه في عام ١٧٩٤ المحفل الماسوني، كتب باحساس ممزوج بالمرارة والاستغراب يقول: «نرى كيف أن بناءنا (أي الماسونية) انتشر حتى غطى الأرض بشظاياه، نحن نرى التخريب وأيدينا عاجزة عن ايقافه بسهولة... تمردت طائفة ضخمة تصنع الأعمال السوداء وتحوّل سعادة البشر فريسة لها تحت شعارات الخير وسعادة البشرية، هذه الطائفة معروفة للجميع، معروفة مثل إخوتها ومن اسمها كذلك، وهؤلاء هم من حفر تحت اساس أخويتنا حتى التخريب الكامل، وهؤلاء هم من سمم البشرية جمعاء، وجهوا مصيرها في الطريق الباطل على مدى أجيال كثيرة، وهم من بدأ بالتشهير بالدين... والتخطيط لتخريب العلاقات الاجتماعية وتدمير جميع الأنظمة، كل ذلك يتراءى في كلماتهم وأفعالهم.. وهم من جنّد الأنصار من مختلف فئات المجتمع، وكذبوا على

---

(١) ـــ براون شفيغ: مدينة في ألمانيا ـ مقاطعة سكسونية. المترجم ـ غ.ك.

الأذكياء من البشر وأخفوا بكذبهم نياتهم الحقيقية، وأراد قادتهم بأي ثمن قلّ أو كثر التربع على عرش العالم، حيث ستعمل بعدها حكومات الشعوب بأوامر من اجتماعاتهم الليلية، وهذا ماتمَّ عمله ومازال مستمراً إلى الآن. ولكننا نشاهد أن الأمراء والشعوب لم يعرفوا كيف وبأي الوسائل جرت مثل هذه الأعمال، لذلك يجب أن نقول لهم وبكل وضوح: إن استهتار أخويتنا (الماسونية) أدى إلى تلك الفواجع السياسية والأخلاقية التي تملأ عالم اليوم، وأنتم مدعوون للانضمام إلينا لترفعوا اصواتكم لنبين للشعب والأمراء أن المتآمرين مرتدون عن أخويتنا، ولقد كانوا وسيظلون صانعي هذه الثورة والثورات القادمة... ولكي يتم انتزاع جذور التعسف والأخطاء، ينبغي علينا وبسرعة نشر أخويتنا في كل مكان»[1].

من خلال الاستشهاد الذي أوردناه، تنتقل بذلك خمس سنوات إلى الأمام عن وصف الأحداث، لكي نبين كيف أن أحد قادة الماسونية لتلك الأجيال تاب عن أضاليله، وأشار إلى التنويريين على أنهم صانعو الثورة الفرنسية والثورات اللاحقة. ترى من هو الشخص ذو النفوذ الذي تمكن أكثر من الماسوني الألماني أستاذ الشطرنج الكبير أن يشهد على النجاحات التي اعترف بها «ويسهاوبت» نفسه، وعلى نيته بالاستحواذ على الماسونية من الداخل واستخدام العملاء التنويريين في الماسونية لأجل قيادة الثورات؟ .

وشاركت وفود التنويريين في عام ١٧٨٥ في المؤتمر الماسوني في باريس، وبدءاً من هذه اللحظة، أصبح التخطيط الدقيق للثورات وفقاً لجميع المعلومات من عمل «محافل الأصدقاء الموحدين» الذين استخدموا «كستار» للتنويريين. وهنا اختفت آثارهم، بنتيجة كشف نشاط التنويريين في بافاريا، ومنعت أخويتهم في أواخر عام ١٧٨٦ وأتلفت وثائقهم سيئة الصيت، وكأنها لم تكن موجودة، ولكن في عام ١٧٨٧ وصل إلى باريس وفد التنويريين بدعوة من لجنة المحافل السرية.

وكانت الحقيقة أن الثورة أشعلها وَقادها التنويريون، معروفة واصبحت علنية حتى قبل التطور الكامل للأحداث الثورية، وحتى في اتهامات وتحذيرات

(١) ـ إن تبرئة الماسونية من هذه الأعمال، التي يتحدث عنها دوق «براون شفيغ»، هي محاولة منه لنفي ما تقوم به الماسونية على النطاق العالمي اليوم. المترجم ـ غ.ك.

«ماركيزدي ليوش» نشاهد اليوم وصفاً دقيقاً ومدهشاً ليس فقط كيف ستطور الثورة في فرنسا، بل الطريق اللاحقة للثورة العالمية حتى يومنا هذا. وكتب في عام ١٧٨٩ يقول: «**هل تعلمون بأنه يوجد مؤامرة للاستبداد ضد الحرية، وعدم الكفاءة ضد الموهبة، والرذيلة ضد الفضيلة، والجهل ضد المعرفة، وهدف هذه الجماعة السلطة فوق جميع العالم... وهدفها السيطرة العالمية... لم يصب عالمنا بمثل هذه الفواجع في أي وقت من الأوقات**».

لقد وصف «ماركيز دي ليوش» بدقة الدور الذي كان على الملوك أن يلعبوه في فترة تكون فيه الثورة في طور النضوج قائلاً: «**كما تلاحظون بأنه سيكون خادماً للرعب تجاه المحيطين حوله، وأنه سيعطي السلطة للذين لايستحقونها خلافاً لقناعته الخاصة، وهذه فضيحة بحد ذاتها**» وفي هذه الحال التي يرثى لها، قادوا الثورة في فرنسا (نحن لانتحدث بأن الدولة التي حكمها التنويريون قد غابت عن الوجود، لكنها بلغت حد الإذلال، ولم يعد يحسب لها أي حساب في المجال السياسي أو تقام معها علاقات سياسية، وسيقل عدد سكانها لاحقاً). وكيلا تظل تحذيراته بلا اهتمام يذكر، كتب «دي ليوش» يقول ستحل «**سلسلة من الكوارث التي تتوارى فيها الدولة في الزمن المجهول... وستحترق بالنار الأبدية تحت الأرض، وانفلات هذه السلسلة من الكوارث بشكل منكر إلى الخارج سيؤدي إلى الهلاك والانفجار التدميري**».

وليس من السهل جداً أن نصف أحداث الـ /١٦٥/ سنة الأخيرة بدقة، أكثر مما تنبأ بها «دي ليوش»، فقد تكهن أيضاً عن «الليبراليين» والتقدميين» أنصار الثورة، الذين سيحدث بسببهم الهلاك والانفجار التدميري. فهذه المئة والخمسون سنة كما يقول: «**مرعبة للغاية كثيراً، لاهتمامها بمساندة نظام التنويريين، وستكون أخطاء حكامها المعتدّين بأنفسهم وبثقافتهم كثيرة للغاية، لتؤدي بشعوبهم إلى الهاوية**». وتنبأ عن تنامي قدرة وقبضة المتآمرين حيث قال: «**وقادة الأخوية لن يتخلوا أبداً عن بلوغ السلطة ولا عن امتلاك الثروة في عهدتهم**».

وكان اليهود خلال الثورة الفرنسية، (خلافاً للمكانة التي كان يحتلها المتآمرون) وفي جميع الثورات الأخرى كما جاء عنهم في القرآن الكريم «غرسة

الخصام»، في الوقت الذي لم يتبين فيه أنهم كانوا القادة المباشرين لهذه الثورات. ويحصل احياناً أن يكون من الصعب التمييز ما بين اليهود وغيرهم، كما هم عليه في الحقيقة في مصادر ذلك الوقت، لأن مؤلفي هذه المصادر لم يفصلوا اليهود عن الآخرين. وفضلاً عن ذلك تبين بأن الثورة في مرحلتها الفرنسية كانت موجهة ضد جميع الأديان وكل ما هو وطني (ومرحلتها الروسية غير منفصلة عن ذلك). فعندما عكفت معابد باريس على «عبادة العقل» وقام عامة الناس بجلب الصلبان والكؤوس المقدسة إلى مقر الجمعيات الثورية، شارك اليهود على قدم المساواة مع الآخرين، حيث جلبوا من الكنيس أشياءهم المقدسة وجعلوها أضحوكة، وأكد أحد المواطنين «الذي تربى على العقيدة اليهودية الخرافية» في «معبد الحرية» أن «جميع أنواع الخدمات الدينية ـ كذبٌ مساوٍ لإهانة الإنسان» في حين رأى اليهودي «الكسندر لامبيرت» ضرورة الوقوف علناً في وجه الاستعباد التلمودي حيث قال: «إن خيانة المواطنين التي يتّهم الفرنسيون اليهود بها، لاتصدر عنا، بل من قبل الحاخامات، فدينهم يسمح لهم: أن يأخذوا من أتباع دينهم فائدة بنسبة ٥ ٪ على الديون، ويوصوا بالأخذ من الكاثوليك نسبة أكثر من ذلك، وفي صلواتنا الصباحية نطلب عادة من الرب الرجاء لمساعدتنا في الاغتناء على حساب المسيحيين، وهذا ليس كل شيء، والأكثر شناعة للمواطنين هو: في حالة حصول خطأ معين في الصفقة التجارية بين يهودي وآخر، فاليهودي ملزم بتعويض الخسارة لليهودي الآخر، أما إذا كان غير اليهودي قد دفع نسبة ٣٥ ٪ فاليهودي غير ملزم بإرجاع أي شيء له منها، أي سفالة هذه؟! أو أي شناعة هذه؟! . ياترى، من الذي كانت تصدر عنه كل هذه التعليمات، كما لو أنها ليست من الحاخامات؟! إذاً من أجل من ينبذوننا تحديداً؟ أليس السبب هم رجال ديننا، وعن المواطَنة كان يجب علينا أكثر من الجميع في العالم أن ننبذ تلك الديانة التي تجعلنا نتكبد حياة الكآبة والعبودية، وتمنعنا من أن نصبح مواطنين صالحين».

إن الجزء اليسير من هذه الاستشهادات التي أوردناها ما هو إلا لتذكير القارئ بأنه عندما تحدث «لامبيرت» عن هذه الأمور، كانت قد بدأت لتوها مرحلة «الحاخامات» في التاريخ اليهودي. وكان المركز دائم الحضور ظاهرياً

لتوجيه اليهود قبل تقسيم بولونيا في عام ١٧٧٢ . وفي البداية، كان هؤلاء هم اللاويون في أورشليم وبابل، وفي المرحلة الرومانية كان الفريسيون هم الأحزاب السياسية السائدة والحاكمون فعلياً، وأصبح هؤلاء بعد انهيار أورشليم هم التلموديون «الحكومة المتجولة» التي نقلت مركزها من فلسطين إلى بابل وبعدها إلى اسبانيا، واستقرت في بولونيا بعد وصول الأعداد الهائلة من الخزر إليها. وحين اختفاء هذا المركز عن الأنظار في عام ١٧٧٢ بدأت مرحلة «الحاخامات»، حيث قاد اليهود في هذه المرحلة الحاخامات. وبطبيعة الحال كان بينهم أُناس بطبائع مختلفة وتعصب بدرجات متفاوتة لعقيدتهم، من الحد الأقصى حتى الأكثر تسامحاً، إلا أنه كما تبين في قرننا الحالي، فإن الأغلبية العظمى منهم، كما هو في جميع المراحل السابقة للتاريخ اليهودي، اتبعوا حرفياً الشريعة اليهودية، التي تُعدّ من وجهة نظر غير اليهود متطرفة في حدها الأقصى.

وإذا كان اليهود يبدون اثناء وصف الممارسات المشينة للثورة كما هم في الحقيقة، وليس مجرد مشاركين في الأحداث بكل بساطة، فإننا لا نكون مديونين بهذه المعلومات للمتهمين من الجانب المسيحي بل لتباهي اليهود أنفسهم.

فعلى سبيل المثال، ها هو الكاتب، «ليون كان» حاول بكل قواه كشف المشاركة الفعالة لليهود في النضال ضد الملوك والكنيسة ـ وقد تم هذا بعد مئة سنة من وصفنا للأحداث. وهذا ما نجده غالباً في المراجع اليهودية كأنموذج مثالي لمحاولة تبيان، أن جميع الأحداث المماثلة، يمكن أن تحدث في العالم وفقاً لرغبة يهوه فقط، وبعبارة أخرى، برغبة اليهود. ومن الواضح أن «ليون كان» لم يكن في الحالة التي تسمح له بتصور الثورة الفرنسية إلا كما هي في حادثة دانيال وبلاتصر. ولولا الثورة الروسية، لكان بالإمكان نسيان كل شيء عنها، غير أن وصف الأحداث التاريخية في يومنا هذا تحديداً يأخذ صوراً معينة قريبة من الحقيقة عن جميع الثورات.

وبطبيعة الحال استطاعت القيادة اليهودية بعد الثورة الفرنسية، توجيه الوضع الناشئ لمصلحتها، على أن ذلك حقها الطبيعي. غير أنه في ضوء الأحداث اللاحقة بدت الأمور جليّة، فقد كان الرابح الأساسي من كل هذا

«اليهود الشرقيين» أي غير الساميين، الذين دخلوا في اليهودية، واستطاعوا في هذه المرحلة تحديداً من حفر أول ثغرة في الجدار الأوروبي.

لقد كان أغلب اليهود في فرنسا من السفارديم أسلاف اليهود الاسبان والبرتغاليين الذين كان لديهم بعض التقاليد التي تربطهم مع اليهود القدماء، مع أن هذا الارتباط كان ضعيفاً جداً. ورفعت جميع القيود المفروضة على هؤلاء اليهود بموجب المرسوم لعام ١٧٩٠ ومنحوا جميع حقوق المواطنين الفرنسيين. وتم في الوقت نفسه تأسيس جمعية اليهود الأشكناز، ذوي الأصول الشرقية الأوروبية، في الألزاس؛ ولم يتحمل السكان المحليون هؤلاء اليهود المتحدرين من روسيا، واستدعت المقترحات بمساواتهم بالمواطنين الفرنسيين نقاشات حامية في الجمعيات الثورية والانتفاضات الفلاحية في الألزاس، وتعالت أصوات التحذيرات من جديد التي سُمعت كثيراً في الغرب. وتوجه الأب موري رئيس دير كاثوليكي إلى النواب بهذه الكلمات «عاش اليهود سبعة عشر قرناً، ولم يندمجوا مع الآخرين... فيجب عدم اضطهادهم بل الدفاع عنهم بصفتهم شخصية مستقلة، ليسوا مثل الفرنسيين لكونهم لايستطيعون أن يكونوا مواطنينا... ومهما عملنا، فهم دائماً يظلون غرباء في وسطنا» وأضاف ويبسكوب من نانسي القول: «يجب أن نوفّر لهم الحماية والأمن والحرية، كيف يمكن قبول عشيرة في عائلتنا كانت دخيلة علينا وتفكر باستمرار في أرضها وتحاول مغادرة الدولة التي تعيش فيها؟ هذه الاعتراضات طرحوها لمصلحة اليهود أنفسهم.

واعترض اليهود السفارديم أيضاً: «نحن نظن أن وضعنا في فرنسا لم يصبح موضوعاً للنقاش لولم يبدأ يهود الألزاس ولوتارينغي بتقديم طلباتهم الخاصة، مما يؤدي إلى خلق البلبلة التي ستنعكس علينا... ووفقاً للمعلومات الرسمية، فإن هذا الشعب غير عادي للغاية (الخزر) ويدعو للعيش في فرنسا بوضع خاص معين، وأن يكون له تشريعه الخاص به، وتكوين طبقة من المواطنين منعزلة عن الآخرين».

هذه الاعتراضات اليهودية (تكررت دائماً خلال قرون كثيرة وحتى يومنا هذا، لكن الحكومات غير اليهودية كانت تتجاهلها دائماً) وتبينت أنها بلا

جدوى، مثل اعتراض التجار الباريسيين قبل ثلاثين سنة مضت على دخول اليهود في غرفهم التجارية «الاتحاد الاحتكاري» حيث كان: «كل تاجر فرنسي يرى مصلحته في أن يكون عمله منفرداً، ومصلحة كل شركة في انعزالها لدرجة معقولة، حيث كان اليهود في ذاك الوقت، مثل زئبق قليل الكمية وبامكانيات متواضعة يندمجون في كتلة واحدة».

وبغض النظر عن جميع الاعتراضات، فقد صدر قانون في عام ١٧٩١ ينص على تحرير اليهود في الألزاس، وأصبحت المسألة اليهودية مشكلة من الدرجة الأولى في اللحظة التي وصل فيها نابليون الى السلطة وتحولت الى مشكلة دولية بعد المحاولات المخفقة لحلّها..

حاولت الطائفة الحاكمة اليهودية منذ هذه اللحظة التفرغ بكل قواها لنفوذ اليهود ـ السفارديم، واعلاء شأن الكتل المتراصة لليهود الشرقيين الأشكناز، الذين بدؤوا بالانتشار على شكل جماعات في أوروبا الغربية وبعدها في أمريكا، وانتقلت قيادة الثورة العالمية إلى أيديهم، وبدؤوا بالهجوم على الحكومات الشرعية والدين والأمة.

لقد كانت الثورة الفرنسية المرحلة الأولى للثورة العالمية، وفتحت الباب أو خرقت السد لشق الطريق وتمهيده لهذا الهجوم. وفيما يخص علاقة اليهود بالثورة، كان يمكن في البداية أن نكتفي بالقول: إنهم شاركوا فيها بمساواة مع الآخرين، مع أنهم استفادوا منها بقدر كبير جداً ولكن وفي سياق الأحداث الأخيرة، تبين بأنهم لم يشاركوا فيها فقط، بل كانوا قادة لهذه الثورات.

بعد أن تم كشف مخطط التنويريين للثورة العالمية وانفجارها في فرنسا خلال المئة والخمسين سنة، لم يعد مصير اليهود والثورة العالمية قائماً بحد ذاته ومنفصلاً أحدهما عن الآخر، بل اندمجا معاً في خط واحد. وتحولت المؤامرة المستمرة «واليهود» أيضاً (في فكر قيادة طائفتهم) إلى هدف واحد. ولا يجوز النظر إليهم منفصلين، فمنذ منتصف القرن التاسع عشر والثورة العالمية يقودها اليهود، ومهما كان الوضع سابقاً، فالثورة الآن بالكامل أصبحت في قبضتهم.

تحذيرات دزرائيلي

لقد حذر «بنيامين دزرائيلي[1]»، اللورد بيكونسفيلد لاحقاً، العالم المسيحي من الثورة العالمية مراراً، ومثل «دي ليوش» و«الكسندر هاملتون» و«ادمون بيرك» منذ خمسين سنة من قبله رأى بأنه يوجد «مخطط» للثورة. وتحدث للورد «اكتون» بعد خمسين سنة عن «قيادتها السرية» فقط وبالمقارنة معه، فقد حدد دزرائيلي بصورة جلية أكثر على أن اليهود هم منظمو الثورة، وأصبحت مئة السنة الماضية منذ هذا التاريخ (يعني قبل عام ١٩٥٠) أكثر وضوحاً بفضل تحذيراته التي أكدت أنه كان محقاً في ذلك. وأياً كان منبعها، فالثورة العالمية المنظمة قادها اليهود في منتصف القرن التاسع عشر واستمروا في قيادتها على الأغلب حتى عام ١٩٢٠ . وحسب رأي المؤلف فإن هذا الوضع

---

(١) ـ لقد كان بنيامين دزرائيلي (كونت بيكونسفيلد ١٨٧٦) نائباً مدة ٤٤ سنة في مجلس العموم من سنة ١٨٣٧ إلى ١٨٨١ عن حزب المحافظين بعد أن كان راديكالياً، ووزيراً للمالية في وزارة «دربي» سنة ١٨٤٩ ، ثم من ١٨٥٢ إلى ١٨٥٨ . وحصل ١٨٥٣ على قرار بإدخال اليهود السفارديم إلى البرلمان الذي كان مغلقاً في وجههم قبل ذلك الحين إلا إذا اعتنقوا المذهب الانغليكاني. وما لبث أن أصبح رئيساً للوزراء خلفاً للورد دربي سنة ١٨٦٨ ، ثم من ١٨٧٤ إلى ١٨٨٠ .

إن هذا السليل لعائلة يهودية طردت من اسبانيا في القرن السادس عشر بعد إعادة الكتلة إليها اعتنق البرّوتستنتية عن عمر ١٢ سنة. ومنهم دزرائيلي نفسه. إن تحذيرات دزرائيلي انصبت على دور اليهود والخزر الاشكناز الذين انتشروا في أوروبا قادمين من القسم الآسيوي لروسيا. حيث رأى فيهم الخطر القادم على حياة اليهود السفارديم في أوروبا بعد أن رفعت القيود عنهم، وأصبحوا يتمتعون بحرية مطلقة في الدول الأوروبية وتبوؤوا مناصب رفيعة المستوى. نقلاً عن كتاب العار الصهيوني ـ لوسيان كافرو ـ ديمارس عام ١٩٧٢ ص٦٩ ـ المترجم ـ غ.ك .

مازال قائماً لهذا اليوم بكل تأكيد.

بأي شكل استولت طائفة التلموديين على قيادة المنظمات الثورية التي اسسها «ويسهاوبت» وكيف تربّعت منذ البداية على رأس الهيئات الثورية؟ الجواب عن هذين السؤالين غير ممكن في الوقت الحالي.

إن أفكار السيطرة اليهودية على العالم خلال مئات السنين، أوحى بها التلمود ولاسيّما طائفة القبالة. وإذا ما أقدم «شعب مقدس» في وقتٍ ما على استعباد «الوثنيين» في الحقيقة ، يمكن أن يصبح هذا استثناء بمساعدة منظمة تخريبية، شبيهة بتلك التي أسسها «ويسهاوبت». وإذا كان «ويسهاوبت» قد أسس أخوية «التنويريين» في تلك اللحظة، التي كان فيها المركز اليهودي ينشط في بولونيا تحديداً وبلا انقطاع لأكثر من ألفي عام على التوالي، بعيداً عن الأنظار، فمن الصعب جداً اعتبار ذلك مجرد مصادفة بسيطة، غير أنه من الممكن أيضاً أن الطائفة اليهودية المتسلطة، استولت على قيادة المنظمات التخريبية لتنفيذ أوامر التلمود، والتي أسسها غير اليهود لأهداف أخرى.

وقد أفصح دزرائيلي عن تحذيرين أكثر أهمية، قبل وبعد الانفجارات الثورية التي روعت الدول الأوروبية في عام ١٨٤٨، التي تم تنظيمها وفقاً لتجربة الثورة الفرنسية وعدّت بالحساب الثانية قبل خمسين سنة من هذه «الانفجارات، التي تم تنظيمها وفقاً للأوضاع القائمة» والتي تنبأ بها «دي ليوش» و«الكسندر هاملتون»، وأشرفت عليها منظمة الثورة العالمية. إن هذه المحاولات الانقلابية باءت بالإخفاق ولم تحقق أي نجاح يذكر، ومن المحتمل كون ذكرى أحداث الثورة الفرنسية، مازالت حديثة العهد وعالقة في أذهان الحكومات والشعوب الأوروبية، مما دفعهم لاتخاذ إجراءات فعالة ضدها، وبغض النظر عن القضاء المبرم على هذه الثورات، فإن «دزرائيلي» لم يكن يتوهم خصوصية المستقبل الذي ينتظر أوروبا. وكل ما جرى كان مكتوباً لهم قبل مدة طويلة من حدوثه، وتنبأ بعد هذه الأحداث نفسها عن استمرار المؤامرة وتكرارها.

ولم يساور «دزرائيلي» أدنى شك، في أن «**العالم لايقوده اولئك الذين يعدون حكام الناس، الذين لايدرون ما يدور في الخفاء من وراء الكواليس**» وقد تمت الإشارة بوضوح، إلى أن الحكام الفعليين يتحركون متخفين عن

الأنظار. وجميع الناس المطلعين يعرفون جيداً أن الأمور تسير بهذا المنحى، غير أن أي رئيس أميركي أو رئيس وزراء بريطاني يسمي التقارير المماثلة عن هذا الواقع بسرعة «باصطياد الساحرات». وقد أعلن بطلهم سيدوني[1] بلسانه ذلك قائلاً: «**يتبين لي بأنه لا يوجد أخطاء سخيفة أكثر من أن نتصور وكأن الثورات استدعتها أسباب اقتصادية**». وهكذا كان دزرائيلي يعتقد (بمعنى أن الثورات لم تندلع لأسباب اقتصادية أو اجتماعية)، ولكن «لويد جورج»، و«ولسون روزفلت» و«ترومان» خلقوا تصوراً في وقتنا الحالي وكأن الثورات في فرنسا وروسيا ودول أخرى كانت انتفاضات عفوية تمرد «الشعب» فيها ضد «الطغاة».

عندما توفي ويسهاوبت في عام ١٨٠٣، خلف وراءه مخططاً ومنظمة للثورة كُشِفَ عنهم، في وثائق التنويريين في عام ١٧٨٦ كان عمر «دزرائيلي» آنذاك ٢٦ عاماً. لقد كان تاريخ الخمسين سنة الأخيرة، مفعماً بالصراع الدائر بين الخلفاء على وراثة «ويسهاوبت». في هذه المرحلة من الزمن، حذر دزرائيلي العالم مراراً من تنامي الخطر المحدق، وتبين لنهاية هذه الخمسين سنة، بأن قيادة الثورة العالمية أصبحت كلّها في قبضة اليهود واكتسبت صفات مميزة، اعتبرت طبيعية لليهود الشرقيين الخزر المنغوليين وحاخاماتهم التلموديين.

كان يمكن أن تكون نتائج الصراع غير ذلك، بما أنه لم يكن هناك نقص في عدد الأدعياء الآخرين على وراثة «ويسهاوبت»، فالكثيرون منهم لم يكونوا يهوداً، ولم يكن هناك منظمة ثورية موحدة بعد. فقد نشطت جماعات سرية في دول مختلفة، غير متحدة فيما بينها، واحدة من هذه الجماعات يعود أصول قادتها مباشرة إلى التنويري «ويسهاوبت»، كانت هذه هي المحفل الماسوني.. «Alta vendita» في إيطاليا، حيث تم الاستيلاء على وثائقها، ونشرتها السلطة البابوية في الفاتيكان، وكشفت عن وحدة أهدافها وأساليبها مع أهداف

(١) ـ في كتابه «كوننغربي» رسم بنيامين دزرائيلي صورة شخصية يهودية تدعى سيدونيا، حاول عن طريق شخصيتها، والعبارات التي تنطق بها، أن يصور اليهودي على النحو الذي يريد من العالم أن يراه فيه. وقد وضع دزرائيلي على لسان سيدونيا بطله اليهودي الملاحظة التالية: «تتحكم في العالم شخصيات تختلف كل الاختلاف عن شخصيات أولئك الذين يتصورهم كل من يقبعون وراء الكواليس». المترجم. غ.ك.

وأساليب التنويريين منذ نصف قرن مضى؛ كل هذا أشارت إليه المؤرخة الإنكليزية «نيستا بيستر» بصورة مقنعة على أساس أعمال الباحث الفرنسي «كريتينيا ــ جولي». ولكن اختفت قوى الثورة في فرنسا كما في السابق في المحافل الماسونية، أمّا في ألمانيا فقد نشط الاتحاد الماسوني «الفضيلة» تحت قيادة مساعدي «ويسهاوبت».

حاول قادة الثورة بصفتهم ورثة «آدم ويسهاوبت» ضم وقيادة جميع حركات التحرر الوطنية، وكان هناك وسط هذه الحركات فرنسيون ومنهم «لوي بلان» (ويجب على القارئ العزيز أن يتذكر هذا الاسم لكونه مهماً لاحقاً، لأنه تبين في الوقت ذاته أن «لوي بلان» لعب دور لينين حتى قبل ولادة هذين الأخيرين الروسي «ميخائيل باكونين» والألماني اليهودي «كارل ماركس».

واحتدم الصراع بين هذين الاثنين، بعد خروج «لوي بلان» فجأة من مسرح الأحداث، حيث كان «باكونين وماركس» متناقضين بصورة كاملة. وكان «باكونين»، كما يؤكد الاشتراكي الثوري الفرنسي «بينوا مالون» تلميذ «ويسهاوبت» و«الأب الروحي لفوضى السوق» وكان أحد الثوريين المثاليين الأوائل. المقتنعين بأنهم وجدوا في الثورات أدوات للقضاء على الطغاة. وتوقع «باكونين» بأنه من المحتمل أن الدولة قامت على أنقاض مصادرتها للملكيات الخاصة، فقط لإقامة حكم طغياني للرأسمال الخاص بمقدرات جبارة، لذلك بحث عن طريق لمزاوجة الملكية المشاعية على الأرض ورأس المال لاضعاف سلطة الدولة أكثر، لكي يتم إلغاؤها في نهاية المطاف نهائياً. وبعبارة أخرى، كان يتناقض كلياً مع «كارل ماركس» الذي رغم أنه بشّر بالملكية العامة على الأرض ورأس المال، لكن جوهر هذه الفكرة ما هو إلا وسيلة لإقامة سلطة مركزية مستبدة تحل محل السلطات المستبدة الصغيرة.

كانت الدوافع التي حفزت «باكونين» هي كراهيته للطغيان، وإذا كان «كارل ماركس» أراد أيضاً القضاء على الطبقة الحاكمة القديمة، فقد كان ذلك فقط لأجل إقامة طغيان جديد. هذا الشيءالذي لم يكن يعرفه العالم من قبل. إن الاختلافات العميقة مابين وجهة نظر هؤلاء المفكرين تستدعي طرح السؤال الذي لا يمكن الإجابة عنه: كيف سيبدو العالم إذا أصبحت قيادة الثورة العالمية

في قبضة فوضوبي «باكونين» مع «شيوعيي ماركس»؟ فالفوضوية ـ عدو أي نوع من القهر ـ وخاصة الدولة كممثلة للسلطة على المجتمع وأما الشيوعية فهي على العكس تماماً عبارة عن تأليه لقدرات الدولة السلطوية.

كان كل شيء لدى «باكونين» صريحاً: نضاله، وآلامه ووفاته. وفي حياة «ماركس» كان كل شيء مزيفاً: ثلاثون عاماً وهو يحرض من قاعة المطالعة للمتحف البريطاني، حيث عاش حياة مريحة على حساب انجلز، وزواجه ذو المصلحة من فتاة ألمانية من العائلات الأرستقراطية المبذرة في مراسم الدفن، مع وضع بلاطات من الرخام الغالي لنقش الكلمات عليها، وخاض صراعاً ضد «البرجوازية بحسد»، والأكثر نفاقاً ـ كان «البيان الشيوعي» الذي شخص فيه المرض (لا يوجد لدى البروليتاريا ملكية خاصة) وأقترح الانتحار لمعالجة هذا الوضع (يمكن التعبير عن النظرية الشيوعية بجملة واحدة: إلغاء الملكية الخاصة). وكان القول واضحاً للبروليتاريا أنفسهم، بأنهم لن يستطيعوا الحصول من الشيوعية على أي شيء يذكر ماعدا القيود، وإذا كانت قد انتشرت موجة الثورات المشتعلة في جميع أنحاء أوروبا مباشرة بعد نشر «البيان الشيوعي» في كانون الثاني عام ١٨٤٨، فمن الصعب أن نتصور أن أسباب اندلاع الانتفاضات كان يمكن أن تكون بسبب منطق «البيان الشيوعي». فبعد نشر البيان بأسابيع تقريباً، اندلع العصيان والتمرد في كل من ألمانيا، والنمسا، وهنغاريا، وايطاليا، وفرنسا، والدانمارك، وذلك تأكيداً على أن فروع «الجمعيات السرية» في دول مختلفة بدأت تتوحد، وقد عُثِرَت على وسائل التنسيق وتوقيت الصدامات الثورية وظهر نشاط الثورة العالمية بهذا الشكل لأول مرة، بمنزلة انتفاضات في وقت واحد وفي دول كثيرة.

وقد وجدت منظمة وحيدة فقط في تلك السنوات بشبكة دولية، وفرت إمكانيات التوقيت والتنسيق المماثلة: ما بين الحاخامات التلموديين مع المركز التلمودي في أوروبا الشرقية. وكان بـإمكان هذه المنظمة واسعة الانتشار استخدام الكنيسة الكاثوليكية لأجل الأهداف المتجانسة نظرياً، غير أنه لدى المؤرخين لايوجد شك، بأن الكنيسة رأت في الثورة عدوها الفتاك، لذلك لم يكن لها يد فيها. وكانت الحقيقة التاريخية هي، أن دزرائيلي قد عرف ما حذر

منه، قبل سنتين من تطور الأحداث: «.. **إنهم يحضرون لثورة قوية في هذا الوقت في ألمانيا... تتطور تطوراً كاملاً تحت قيادة اليهود**». لقد كان «كارل ماركس» و«بيانه الشيوعي» علائم ظاهرة ومنظورة للحقيقة التاريخية، وكانت أهميتها تكمن بالدرجة الأولى في أن أصبحت الثورة العالمية أداة في قبضة اليهودية التلمودية[1].

ومن بين النشطاء الثلاثة للثورة، الذين ناضلوا في تلك الأيام من أجل احتلال الأولوية فيها، خرج بسرعة «لوي بلان» من التركيبة. وأصبح بعد قيام الثورات في عام ١٨٤٨، عضواً في الحكومة المؤقتة في باريس بصفة وزير، وتبين له، أن بإمكانه تطبيق نظريته على أرض الواقع. ورأى أن تلك الفردية والتنافس شبيهتان بالسرطان في جسم المجتمع، ومثله مثل «كارل ماركس غايته توخي إقامة نظام استبدادي لسلطة الدولة على (طراز «Welfare state» نظام اتحادي اجتماعي «للاشتراكيين البريطانيين بعد مئة سنة لاحقاً»). وكان ينادي بالشعار ذائع الصيت «حق العمل»، هذا الشعار الذي عادَ وطُرح مجدداً في روسيا بصيغة حق الدولة في استغلال العمل القسري. وخلال الفترة القصيرة على وجوده في السلطة، حاول إيجاد «ضمان العمل للشغيلة لتوفير رفاهيتهم»، وتم تكليفه بعقد مؤتمر لممثلي العمال لإعداد برنامج استخدام الأيدي العاملة «استخداماً كاملاً»، واصبحت هذه التدابير في جميع الأحوال مقدمة لإنشاء مجلس لممثلي العمال في روسيا الشيوعية، وهذا ما ينبغي على القارئ أن يتذكره. وبعد القضاء على الانتفاضة هرب «لوي بلان» إلى إنكلترا، ليعود بعد ٢٣ سنة، وقد فقد جميع مهماته في الحركة الثورية.

---

(١) ـ لقد نشرت «مجلة باريس» في الأول من حزيران عام ١٩٢٨ رسالة موجهة من اليهودي الصهيوني باروخ ليفي إلى كارل ماركس يوضح قائلاً: «في التنظيم الإنساني الجديد، على أبناء إسرائيل الانتشار على وجه الأرض كلها، حيث يجب أن يصبحوا في كل مكان الموجهين، خصوصاً إذا نجحوا في فرض أحد منهم على الطبقات العمالية. إن حكومات العالم ستكون في قبضة يد اليهود، تحت غطاء انتصار البروليتاريا. وعندئذ ستلغى الملكية الخاصة بوساطة الحكومات التابعة للعرق اليهودي، وهكذا يتحقق وعد التلمود حيث جاء فيه «وعندما يأتي زمن المسيح المنتظر، سيكون اليهود قد استولوا على ممتلكات جميع شعوب العالم» الصهيونية والشعوب الشهيرة «الحفل السّاهر الكبير» تأليف بيير هابيس ترجمة مفيد عرنوق وإدوار عرنوق ـ دار النضال ـ بيروت عام ١٩٩٠ ص ٢٥٢ . المترجم. غ. ك.

والداعيان الإثنان الآخران في القيادة كان «كارل ماركس» و«باكونين». لقد طُرد «ماركس» من بروسيا وفرنسا بعد عام ١٨٤٨ ، غير أنه كالعادة، عاش في لندن حياة مريحة لمدة ٣٤ سنة حتى وفاته، وذهب «باكونين» وحده فقط إلى متاريس الثورة، وهو من عائلة أرستقراطية، وكان ضابطاً في الجيش القيصري، حيث ترك الخدمة بعد القضاء على الانتفاضة في بولونيا عام ١٨٣٠ . وما شاهده في بولونيا ولّد الضغينة والحقد في قلب هذا الضابط الروسي الشاب ضد الطغيان، الذي قدم حياته كلها للنضال في سبيل القضاء عليه. وكان أول مرة يلتقي فيها «كارل ماركس» عام ١٨٤٨ ، حيث كتب بعد هذا اللقاء «لقد عدّني ماركس أيديولوجياً عاطفياً وكان محقاً في ذلك تماماً. وأنا صنّفته مغروراً وشاطراً بالغدر وأيضاً كنت محقاً في هذا».

لقد توفي «دزرائيلي» في عام ١٨٨١ ، بعد أن كان قد حذر مواطنيه والعالم أجمع خلال السنوات الهادئة في الثلاثينيات والأربعينيات من «الجماعات السرية» عندما كتب في ١٨٥٢ ، يقول: «**حين تم خلع لوي ــ فيليب عن العرش، لم يخلعه البرلمان ولا الشعب، ولا بعملية طبيعية ولامن خلال سير عادي للأحداث. بل تم خلعه من العرش بهجوم مباغت على حين غرة نفذته الجماعات السرية، الجاهزة دائماً لاكتساح أوروبا وتخريبها... ونشطت مع الحركات الشعبية، وهي قادرة على القضاء على مجتمعاتنا...**»، وكتب دزرائيلي في عام ١٨٥٦ يقول «**توجد قوة سياسية في ايطاليا، نادراً ما يذكر عنها شيء في المجلس... أنا أعني (القوة السياسية) بالجماعات السرية. لا يمكن أن يكون ذلك سرياً، لذا لا فائدة من النفي أن القسم الأعظم من أوروبا مغطى بشبكة من هؤلاء الجماعات السريين، مثلما تغطي شبكة الخطوط الحديدية سطح كرتنا الأرضية.. وفي جميع الأحوال لا يحتاجون لحكومات دستورية... ولا يهمهم تحسين أوضاعنا القائمة، فهم يرغبون في تغيير القوانين على الأرض، وطرد أصحابها الحاليين، محاولين القضاء على جميع الكنائس القائمة...**».

لقد رأى «دزرائيلي» بوضوح ماذا تعني «الليبرالية». وكان أول من تعرف على ما يبدو على طبيعتها المزيفة وتسميتها الكاذبة، حيث كتب يقول: «**لقد**

أصبح مواطنو إنكلترا الأجلاء، الحريصون والمتدينون لدرجة ما يصفقون لذلك المناور، الذي يتهجم على الملكية وعلى يسوع المسيح، ويرون في هذا تقدمية ليبرالية».

لو أن تحذيرات العقلاء كانت في وقتٍ ما في حالة يسمح لها بتلافي الفواجع التاريخية، لاستطاعت تحذيرات «دزرائيلي» المتكررة بنفوذه غير العادي إنقاذ العالم من هول الثورات، التي انهالت على ملايين الناس في مئة السنة الأخيرة. غير أنه وللأسف «**إن الغريزة الفطرية للبشر منعتهم من رؤية الخطر الجسيم**» وإن الاستخفاف بتحذيرات دزرائيلي لأكثر من مرة أثبتت ماتحدث عنه خبير مئة السنة الماضية: إن أية نصائح طيبة غير قادرة على إبعاد الناس عن الأخطار المدبرة ولا ايقاظهم من سباتهم العميق، التجربة المريرة فقط يمكنها أن تجعلهم يعملون، وإن هذه التجربة ربما توقظ البشرية في القرن العشرين.

إن كلمات «دزرائيلي» في منتصف القرن الماضي ذهبت سُدى. وكان من الصعب الافتراء عليه مثل «صيادي الساحرات»، ولكن كان بالإمكان الضحك عليه لأنه يستحق الازدراء. ووفقاً لكلمات كاتب سيرة حياته «هيسكيت بيرسون»، لقد عدّ الجميع «دزرائيلي» أنه كان في حالة هذيان، خاصة عندما كان يتعلق الأمر بالجماعات السرية، التي نفوا وجودها. غير أننا الآن نرى فيهم بذور تلك الحركات التي رفعت شعاراً مناسباً، وتوحدت في الخراج المتقيح للشيوعية، هذا الاستنتاج الذي حصل في عام ١٩٥١، لا يقبل الجدل ويتفق مع رأي «بينوا مالون» المعاصر والشاهد على ثورات عام ١٨٤٨: «كانت الشيوعية قد زُرعت سرياً بين الجماعات السرية في القرن التاسع عشر».

وحدث بعد وفاة «دزرائيلي»، ما حاول منعه في حياته: فقد تم تلاحم «الجماعات السرية» في منظمة ثورية عالمية موحدة يقودها اليهود، التي جهزت نفسها لتوجيه ضربة قاضية لبنية مجتمعنا في القرن العشرين. لقد كان «دزرائيلي» قد وصف هذه المنظمة بمنتهى الإتقان «**شبكة تغطي جميع أنحاء أوروبا، مثلما تغطي شبكة الخطوط الحديدية سطح كرتنا الأرضية**» وغالباً ما يستخدم الباحثون هذا التعبير «الشبكة» إلى الآن، ويتحدثون عن الأيدي الخفية «التي تقود الحكومات. وكان قد تنبأ الحاخام السابق «دراخ» مثل «دزرائيلي» بالأحداث القادمة قبل عدة سنوات من اندلاع ثورات عام ١٨٤٨، واتهم

التلمود عبر الصحف كسبب لهذه العمليات التخريبية، وكتب الكاتب اليهودي «موريل» يصف عواقب هذه العمليات متسائلاً: لحساب من تجري الأمور حيث قال: «**إن التدابير الحكيمة للسلطة في جميع الدول، ضعيفة أمام النشاطات الضخمة والمستمرة للمؤامرة، التي كما يبدو قوية وضخمة كشبكة مترامية الأطراف في العالم، وقادرة في أي لحظة على تجميع قواها لتحقيق أي هدف يخدم إسرائيل**». من الصعب علينا، عدم رؤية سلسلة الأحداث المتعاقبة التي نتأملها، وهي: تقسيم بولونيا الذي جرى عام ١٧٧٢ ، ونشاط المركز اليهودي العالمي الذي كان ينشط باستمرار خلال ٢٥٠٠ سنة» وفجأة يحد من نشاطه (وفقاً لما ذكره أوغسطين)، ولكن بحسب رأي السلطة الروسية الواعية، لقد انتقل المركز بكل بساطة من العلنية إلى السرية، وفي عام ١٧٧٦ ، تم تنظيم هيئة منظمة الثوريين التنويريين، التي جهزت للثورة في فرنسا وقادتها، وفي عام ١٨٤٦ أثبت «دزرائيلي» أن التحضير «**لثورة جديدة يتم الإعداد لها كاملاً تحت امرة قيادة يهودية**»، وفضح في عام ١٨٦٩ ، «ميخائيل باكونين» تلميذ «ويسهاوبت» الدور اليهودي في الحركة الثورية وفُصل من الأممية في عام ١٨٧٢ ، بسبب مواقفه هذه، لتصبح الحركة الشيوعية تحت قيادة اليهودي «كارل ماركس». وفي عام ١٩١٧ ، أقامت الشيوعية سلطتها في روسيا وكانت الحكومة البلشفية برمتها تقريباً يهودية، أمثال (تروتسكي، وزينوفييف وأورتسكي، وسفردلوف، وفايرمان، وميخائيل)، ودشنت هذه الحكومة باكورة أعمالها بإصدار مرسوم يمنح اليهود بموجبه كافة الحقوق السياسية دون قيد أو شرط)[1].

كان هذا ــ كما أشار إليه دزرائيلي ــ نتيجة لإلغاء القوانين التي حددت حقوق اليهود، ولتحرر اليهودي لبعض عقود. غير أن إلغاء هذا التحديد لم يؤد إلى انصهار اليهود مع عائلات الشعوب الأخرى، (ووفقاً لكلمات باكونين) فإن «الطائفة الأخطر» نالت الحرية لإبادة هذه الشعوب عن طريق الثورات. إن أجوبة السنهدرين على أسئلة نابليون في بداية القرن التاسع عشر، فقدت أهميتها في منتصفه. ولم تسمح القيادة اليهودية لليهود بالعيش بالمستوى نفسه مع الشعوب الأخرى، أو بموجب دستور الدول التي يعيشون فيها، بل بالعكس تطابقت مع

---

(١) ــ نقلاً عن كتاب المفسدون في الأرض «جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ» س. ناجي، الطبعة الثانية ١٩٧٣ . المترجم ــ غ.ك.

الثورة العالمية، وعزلتهم الآن عن جميع الشعوب، أكثر من أي وقتٍ مضى، وأصبحت «مئة سنة للتحرر» مجرد كذب ونفاق قبل أن تنتهي.

ووفقاً لذاك الذي يدعى «اوغسطين»، إن مصطلح «معاداة السامية» ولد تحديداً في القرن التاسع عشر، إذ لم يعد هناك مجال لدى اليهود بعد التحدث كثيراً عن موضوع «اضطهادهم»، فكان لابد من التفكير بكلمة جديدة لها القدرة على ارهاب المسيحيين وتخويف اليهود أنفسهم، وأصبح المصطلح الأخير مهماً أكثر من الأول. ومن هنا جاء «البعبع» الجديد «معاداة السامية»، مع العلم أن استخدام مصطلح «ابراكادابرا»(1) أكثر صحة، بما أن تطبيق مصطلح «معاداة السامية» يعدّ بمنتهى السخافة لقبيلة لم تنتمِ يوماً ما إلى السامية. تُرى بأي قانون يتم فرض الإبادة على الساميين الاصليين، أي العرب سكان فلسطين، الذين طردهم الغزاة الصهاينة من أرضهم في عام ١٩٤٨ وإن أبدى أي كان التعاطف تجاه العرب يوصم إلى الآن «بمعاداة السامية».

كان ينبغي على مبتدعي هذا المصطلح، استنباطه ممّا يستخدم في الأحاديث الاجتماعية مثل هذه الكلمات، يهودي ويهودية ومعاد لليهودية، بما أنهم ينوون تخويف الجماهير بشعارات غامضة. وأراد حكام الطائفة أن يُدرك مصطلح «معاداة السامية» كأنموذج «إهانة الجلالة» (بمعنى جريمة ضد هيبة سيادة السلطة)، وهرطقة (بمنزلة تحدي المذهب السامي للدين). ومع منتصف القرن العشرين، أصبحت الجماهير بالكامل تحت سلطة هؤلاء السياسيين الجدد «قادة الحركة»: أما الذي كان قد خلع القبعة سابقاً، حاسداً القائد الملاّك، وتَعمَّد أيضاً ما إن وقعت عليه نظرة الخوري الصارمة، فقد ربط لسانه خلف أسنانه الآن ويقف موقف إجلال عند ذكره ولو لمرة واحدة كلمة يهود(٢+٣).

تم إطلاق مصطلح «معاداة السامية» لاستخدامه في ذاك الوقت الذي

---

(١) ــ ابراكادابرا «Abracadabra»: كلمة مبهمة وغامضة تصف القوة العجيبة. المترجم ــ غ.ك.

(٢) ــ حدثني أحد الاصدقاء من زملاء الدراسة، الذي كان قد هاجر إلى أمريكا في السبعينيات، بأنه في السنوات الأولى من وصوله، كان يسمع أحياناً بعض النكات الفكاهية التي يرددها العامة عن اليهود ــوهذا بالطبع يحدث في جميع بلاد العالم ــ ولكنْ أصبح هذا التصرف في الثمانينيات بمنزلة جريمة لا تغتفر، وأكد لي، بأنه في أمريكا بلد «الديمقراطية» لا يستطيع حتى الأمريكي البوح بكلمة واحدة عن اليهود، ولو من قبيل الهرج، ويحذرون في وسائل الاعلام من أية نكتة تسيء إلى اليهود. المترجم ــ غ.ك. ←

أصبح فيه «اليهود» قادة الثورة العالمية، كما كتب «دزرائيلي» و«باكونين»، وكان الهدف الأساسي لابتكار هذا المصطلح هو إخفاء جميع المناقشات المفتوحة لهذه الظاهرة عن طريق الترويع. وسيتم التوضيح في هذا الكتاب، أن أحداث القرن العشرين أثبتت بصورة كافية طبيعة هذه الظاهرة. ومنذ فترة غير بعيدة، صدر كتاب للمؤلف اليهودي المشهور «برنار لازار» بعنوان «معاداة السامية» الذي يعطي فيه المؤلف تحديداً جديداً لهذه الكلمة. فقد ذكر بأن الكلمة ليس لها أي علاقة بالنبي سام وقبيلته السامية، ولا بالدم السامي أو اللغة ولا إلى كل ما هو سامي، وحدد «برنار لازار» عموماً مصطلح «معاداة السامية» مثل أي رأي استثنائي ينتقد الدور اليهودي في الثورة، حيث كتب يقول: «ينبغي التفريق بين عدم المجاملة في رواية التاريخ، ومعاداة السامية. المعاداة للسامية تنص على أن: «**اليهود هم معدو جهاز التحكم والمهندس الرئيسي لجميع الثورات**»، والمؤرخ غير المتحيز يحدد لنفسه استقصاء الأدوار التي لعبها اليهود في العمليات والحركات الثورية، آخذاً بعين الاعتبار «**نفسيتهم وطبيعتهم وفلسفتهم الخاصة ودينهم**».

وبعبارة أخرى، وحسب رأي «لازار»، فإنهم لا يقبلون الإشارة إلى دور اليهود في الثورات، أكثر من أنهم «مشاركون» فيها، وكل من يعلن بأن اليهود هم «**معدو، وأجهزة تحكم ومهندسون رئيسيون للثورات**» يتهم بأنه مذنب لإهانته الجلالة «اليهود» وفي الوقت نفسه يُرمى بالهرطقة! .

غير أن هذا ما أكده «دزرائيلي» بالتحديد، الذي كان فيه بعض من نقاط الدم السامي باختلافه عن اليهود الشرقيين (الخزر) الذين خصهم بكل ما قيل «**هذه ثورة جبارة تطورت تماماً في ظل القيادة اليهودية**». «ويمكن تأكيد أثر

← (٣) ــ وأُلغي برنامج التعليم الديني المسيحي في المدارس الامريكية وذلك بناء على طلب من المنظمات الصهيونية، كما سارع الحاخامون اليهود والمطبوعات اليهودية إلى الحملة على بيان قاضي المحكمة العليا بروار الذي قال فيه: إن هذه البلاد مسيحية. وقام اليهود بحركات واسعة في مدن عدة للاحتجاج على قراءة الإنجيل في المدارس، كما عارضوا احتفالات عيد الميلاد وتلاوة أناشيد الميلاد في فيلادلفيا وسنيناتي والقديس بولس ونيويورك.
واتخذ المؤتمر السنوي لمنظمة بني بريت المستقلة في ناشغيل ــ ولاية تنيسي ــ في عام ١٩١٢ ــ ١٩١٣: قراراً ضد قراءات الانجيل وإنشاء تراتيل الميلاد في المدارس الرسمية. نقلاً عن كتاب «اليهودي العالمي» هنري فورد، تعريب خيري حماد. دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، عام ١٩٩١ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٩ المترجم ــ غ.ك

اليهود على المبدأ التخريبي في الانتفاضات الأخيرة»، «حيث كان على رأس جميع الجماعات تقف الشخصيات اليهودية (أي الجماعات السرية) ».

ولكونه يهودياً، لم يقم «دزرائيلي» بالتوسع المطلوب بشكل خاص، على أن الكثيرين من اليهود أمثاله كانوا يقفون بحزم ضد «الثورة الجبارة» و«المبدأ التخريبي» وبقدر ما كان هذا الأمر واضحاً جداً آنذاك، لذا لم يكن بحاجة للدفاع عن نفسه من الديماغوجيين، الذين تألبوا عليه اليوم بصراخهم على أساس أنه شمل جميع اليهود عندما تحدث عن «قيادة اليهود للثورات» و«التأثير اليهودي»، ووفقاً لتحديد «لازار» فقد كان «دزرائيلي» بطبيعة الحال «معادياً للسامية».

لقد حذّر اليهود الفرنسيون منذ قيام الثورة الفرنسية، من الدخلاء القادمين من الشرق واستفزازهم الدائم وخلق الاضطراب والاصطدام بالسكان المحليين الأصليين في الألزاس. وقد وقف اليهود السفارديم ضد رياح الشر التي هبت من الشرق، ولم يريدوا المخاطرة بخسارة ما أخذوه من حقوق المساواة التي حصلوا عليها ورفعت بموجبها قيود كثيرة عنهم في فرنسا، حتى ولو أن «مبدأ التخريب» الذي جلبته الطائفة التلمودية لليهود الاشكناز من الشرق، قد حقق انتصاراً في حربها ضد أوروبا المسيحية.

لقد كانت تحذيرات «دزرائيلي» على الأرجح موجهة لليهود السفارديم تحديداً، أكثر مما هي للمسيحيين. وقد أولى اليهود السفارديم هذه التحذيرات اهتماماً بالغاً، أكثر من الجماهير غير اليهودية المحيطة بهم، وعقابا لهم فقد تعرضوا «للحرمان» عن طريق عملية عجيبة. وإذا جرى إحصائية لليهود في وقتٍ ما، فقد يتم الإعلان عن اندثار السفارديم عملياً خلال مئة سنة، هذا «الاندثار» شبيه باضمحلال عشرات الأجيال الإسرائيلية الكثيرة سابقاً».

القيادة اليهودية

لقد أصبح واضحاً، أن القيادة اليهودية للثورة العالمية في منتصف القرن الماضي، كان قادتها من اليهود الشرقيين ـ الأشكناز، وكان أغلب اليهود الغربيين والأسبان ـ السفارديم ضد الثورة، مادامت هذه الثورة لم تكن موجهة ضد المسيحيين فقط، بل كانت ضدهم أيضاً.

كان أغلب اليهود السفارديم على الأقل قد تجنسوا نتيجة عصر التحرر في أوروبا وخرجوا من تحت تأثير الشيوخ اليهود، الذين فقدوا سلطتهم نتيجة اندماج عدد غير قليل من هؤلاء اليهود مع باقي العنصر البشري. كان المذهب العرقي العنصري بمنزلة شريان ضروري يغذي حياة التلمودية اليهودية، والاندماج يعني موت هذا المذهب.

وظهر في هذه اللحظة «اليهود الشرقيون» على مسرح الأحداث، الذين ترافق ظهورهم مع بداية الثورة العالمية على شكل مجموعات يهودية خاصة. ومع أن الغرب عرف قبل ذلك نوعاً واحداً فقط من اليهود هم السفارديم، ووفقاً لكلمات «أوغسطين» المتعلقة بتلك الفترة، عندما أشار «دزرائيلي» لأول مرة على القيادة اليهودية للثورة، قال أوغسطين: «**أصبح بـإمكاننا الحديث منذ هذه اللحظة عن يهود غربيين وشرقيين**» (في أوروبا الغربية). وكان هؤلاء لدرجة ما مجموعات مختلفة فعلياً، وعاشوا بشكل مستقل عن بعضهم بعضاً زهاء ألف سنة، وكان يجب على «اوغسطين» أن يعي بأنه منذ هذه اللحظة أصبح اليهود الشرقيون مجندين من قبل قيادة الحاخامات كمجموعات مستقلة في الصراع ضد اليهود السفارديم دعاة التحرر في أوروبا وضد أوروبا نفسها.

وكانت معرفة اليهود الغربيين عن اليهود الشرقيين قليلة جداً قبل ذلك، أما

مسيحيو الغرب فقد كان من الصعب عليهم عموماً التعرف على هؤلاء اليهود الشرقيين. لم تحدّ القرون الكثيرة من سلطة الحاخامات في تجمعات الغيتو، حيث جمعوا اليهود الشرقيين في كتلة موحدة، هذه الكتلة وفرت قدرات وفيرة جبارة، ومع نشوئهم في أوروبا الغربية، تحولوا إلى أكبر قوة من ضمن القوى الموجودة آنذاك، ليصنعوا بذلك تاريخ القرن العشرين. وأصبحوا ماديين مثاليين من أجل تحقيق الأهداف التلمودية مع أنهم كانوا عبارة عن همجيين من أصول آسيوية، وقاموا في القرون المنصرمة بتدريبات تلمودية تعلموها في ظروف الطغيان الشرقي الصارم.

وفي سياق المخطط الاستراتيجي للطائفة تم استخدامهم في القرن التاسع عشر لتحقيق أهداف مناقضة وفي الوقت نفسه يجب أن تبدو إنجازاتهم للمراقب العادي غير ممكنة. وأصبحت هذه الكتلة اليهودية في روسيا نفسها تضرب بجبهة موحدة ضد جميع أشكال التحرر، ولو انتشرت هذه الكتلة في أوروبا الشرقية «اليهودية» أيضاً لكانت عملية ارجاع اولئك اليهود الغربيين المحررين وخصوصاً المهجنين إلى احضان التلمود غير ممكنة. لذلك كان ينبغي تقديمهم للعالم الخارجي وبصورة رئيسية في نظر أوروبا الغربية لكونهم ضحايا الاضطهاد القاسي بسبب «معاداة السامية»، وكأنه لم يُسمح بالتحرر اليهودي في الشرق، مع أنه لم يقف أحد هناك في طريقه ماعدا اليهود الشرقيين أنفسهم. .

وفي ظل الظروف التي سيطرت فيها الرقابة على الوسائل الإعلامية، يصبح من الممكن ليس فقط أن تفرض رأيك على الأغلبية العظمى، وترسم لهم لوحة كاذبة عن كل ما يجري في دول أخرى، بل يمكن حتى إشعال الحروب. لقد تعوّد السياسيون الغربيون في القرن التاسع عشر على نشر كل ما يتعلق بتقييد حقوق اليهود في روسيا، مثلما كان اليهود الروس والبولونيون تحديداً يعملون في تلك الفترة كل ما في وسعهم تحت ضغط من قياداتهم، لكي يخلقوا انطباعاً بأن اندماجهم غير ممكن.

ولكي نبعد الشكوك المحتملة لدى قرائنا، نورد شهادة المصادر اليهودية. ومن جملة الكثيرين منهم كتب «أوغسطين» يقول: «**إن الأغلبية الساحقة اليهودية أبدت مقاومة سلبية صلبة لكل المحاولات التي جرت لتحسين**

أوضاعهم». غير أن هذه المقاومة لم تكن على الدوام سلبية فقط، بل اتخذت أشكالاً قاتلة أحياناً. وينبغي اعتبار أفضل شخصية لوصف تلك المرحلة هو «حاييم وايزمان» أول رئيس إسرائيلي، ونحن متعمدون أن نستشهد به مراراً. إن إغلاق الأبواب في أحياء الغيتو على اليهود الشرقيين ـ الأشكناز (كما في المنظمات الثورية كذلك في المنظمات الصهيونية) أجبرهم على مقاومة التحرر بكل الوسائل المتاحة، وعدم التوقف عند حدٍ معين، حتى لو احتاج الأمر إلى الوقوف أمام الموت. وذكّروا باضطهادِهم في ذلك الوقت من التاريخ، بهدف خلق الترويع في رأس اليهود الغربيين، ـ كما هي نداءاتهم عن مساعدة المُضطهدَين ـ في رأس المسيحيين الغربيين.

لقد قدم سياسيو الغرب غير اليهود هذه التلفيقات لشعوبهم، وكأنها الحقيقة عينها، واقتنعوا بأن يهود جميع الدول استطاعوا مساعدتهم، ومساعدة أحزابهم بالنقود والدعاية الإعلامية وأصوات الناخبين، وطلب اليهود مقابل هذه المساعدات مساندة «المُضطهدَين» من يهود روسيا وتمهيد السبيل لهم «للعودة» إلى فلسطين. وهذا يعني عملياً أن السياسيين، الذين قبلوا المساعدة اليهودية كان يجب عليهم إخضاع مصالحهم الوطنية ليظهروا في نهاية الأمر كمخربين لشعوبهم ودولهم، لتحقيق هدفين هما: الثورة واحتلال أراضي الآخرين لمصلحة العنصريين الذين يسعون للسلطة العالمية.

وعن هذه العملية تحديداً كتب «دزرائيلي» في إحدى رواياته الأولى يقول: «**لقد أنزلت الديمقراطية شخصيات الدولة إلى مستوى السياسيين البسطاء**». وهكذا تشكلت قناعة اجتماعية جماهيرية لا تقبل التفنيد مهما كانت بسيطة عن خرافة اضطهاد اليهود بصورة دائمة، التي أصبحت مرضاً عضالاً مثل اليهود في عالم غير يهودي. واتخذت في روسيا لاحقاً صفة الوباء تحت تسمية «معاداة السامية». وفي العصور السالفة، عندما عُدّ الإيمان بكروية الأرض خطراً، اعترفت الجماهير بطيب خاطر يومها على أنها مسطحة. حقق اليهود التلموديون ماكانوا يصبون إليه عبر دعايتهم في ظل هذا التفكير الساذج للجماهير في القرن التاسع عشر، بحيث أصبحت هذه النتائج ماثلة للعيان في القرن العشرين.

كان خضوع اليهود الغربيين لهؤلاء اليهود الشرقيين أقل من سياسيي

الغرب؛ فقد حافظ هؤلاء اليهود السفارديم على تقاليدهم وطابعهم الخاص واتخذوا خطوات للتكامل أو على الأقل المشاركة في حياة المجتمعات التي يعيشون فيها، وتلطيف احتكاكهم مع الآخرين. وانتابهم خوف غريزي من الضغوط المتنامية القادمة من روسيا (من اليهود الشرقيين) وخاصة عندما يتذكرون النهاية غير السعيدة للازدهار الذي تحقق في أسبانيا عبر قرون كثيرة، وخالجهم شعور داخلي من العواقب لهذه المواقف اليهودية مجدداً. ونظر اليهود الغربيون بخوف إلى اليهود الشرقيين ورأوا فيهم خطراً لإعادتهم إلى الغيتو وتعسف الحاخامات المستبد. ولم يتحدث اليهود الألمان عن اليهود الشرقيين إلا باشمئزاز مثل: «diese ostjuden»، وبدورهم اليهود الشرقيون الذين هاجروا بعد الحرب العالمية الأولى من روسيا وبولونيا إلى ألمانيا سموا القاطنين في ألمانيا باحتقار، على أنهم من دين واحد «diese berlener» (أي أنهم لم يجدوا فرقاً بين يهود السفارديم والمسيحيين. المترجم ــ غ.ك).

وقام الحاخامات اليهود المسؤولون عن الطائفة المعروفة بتعنتها اليهودي الخزري، بتعبئة هؤلاء اليهود الخزر من روسيا ضد اليهود الغربيين وضد الغرب بكامله. وفي ظل طبيعة الحياة السرية الخفية، تصبح مسألة الحصول على معلومات دقيقة عن عدد اليهود أمراً في غاية الصعوبة. وغياب الأرقام الموثوق بها سمح لحكام الطائفة البدء منذ مئة عام مضت بـإجراء عملية فضولية بيولوجية ــ إحصائية انتهت في منتصف القرن العشرين إلى النتيجة التالية: لقد تحوّل جميع اليهود في الأرض تقريباً إلى الأشكناز.

وفي نهاية القرن الثامن عشر، كان اليهود المعروفون للغرب هم السفارديم فقط المحافظين على الأغلب على العادات الضعيفة التي تحولت عبر إسبانيا وإفريقيا إلى أسطورة عن الأصول الكنعانية، ومع حلول منتصف القرن العشرين، أعلن حكماء صهيون عن انقراضهم. وفي عام ١٩٥٤ ، انعقد في نيويورك المؤتمر العالمي ليهود السفارديم، ونشرت احصائية، تؤكد أن عدد اليهود في العالم / ٤٩١ ، ٧٦٣ ، ١١/ مليون يهودي، منهم زهاء /٨٨٣ ، ٧٤٤ ، ١/ مليوناً (أو ١٥٪) من اليهود السفارديم فقط، وعاش منهم /٥٢٠٠٠/ألف فقط في أوروبا (حيث لم يعرفوا عن وجود يهود آخرين غير السفارديم) في نصف الكرة

الأرضية الغربية كلها. ولا يمكن تفسير هذه الخرافة بأنها من العمليات الطبيعية الديمغرافية. حيث تم في حينه الإعلان عن أن السفارديم مثلهم في ذلك مثل عشرات الأجيال الإسرائيلية التي اضمحلت منذ /٣٠٠٠/ سنة مضت لأنهم «ما عادوا يؤمنون بمعتقداتهم الخاصة التي جعلتهم يختلفون عن جيرانهم».

هذه الوقائع، في أن الثورة العالمية أصبحت منذ مئة سنة مضت الشغل الشاغل لليهود الشرقيين، لا يمكن أن تكون محض مصادفة أو مستقلة عن ميول بعض الشخصيات بما أن جميع هؤلاء اليهود حكمتهم سلطة استبدادية. إن النظام الذي أقامه الحاخامات في أوروبا الشرقية، كان نظاماً يهودياً خزرياً استبدادياً على الاطلاق، وخضعت لهم الجماعات التي تلاحمت في الغيتو بلا اعتراض وكأنهم ارتدوا حلّة السلطة الربانية، تُشّرع القوانين وتقيم المحاكم، وتتدخل في كل أمر مهما ضؤل في مختلف نواحي الحياة اليومية، وسنحت الفرصة لمؤلف هذا الكتاب في عام ١٩٣٠ بالتعرف عن كثب على حياة اليهود الشرقيين في بولونيا و(زاكربات روس)[1] حيث كانوا لايزالون يعيشون حياة منعزلة تماماً عن الآخرين، كما لو أنهم يعيشون في عقلية القرون الوسطى، ولم يكن لديهم القدرة على اعتبار أنفسهم أوروبيين. بالطبع لا يمكنك تصديق ذلك، إن لم ترَ بأم عينيك. والانتقال الجماهيري لليهود الشرقيين إلى معسكر الثورة (أو إلى أي معسكر آخر) لم يكن بالإمكان حصوله مهما كانت طبيعة الظروف، دون أوامر مباشرة من قبل قيادة الحاخامات، مادامت جميع تصرفاتهم وسلوكهم الاجتماعي تُملى عليهم من الأعلى. وفي حال الخروج عن الطاعة يُتخذ بحقهم في الامبراطورية التلمودية، أقصى أنواع العقوبات الصارمة (ماذكر أعلاه استشهاد على لسان المؤلفين اليهود أنفسهم الذين يشهدون على أن الحاخامات يلجؤون إلى محاكم عرفية، حتى وإن كانت الظروف المحلية تحول دون اتخاذ اجراءات يتمخض عنها أحكام تؤدي إلى الموت.

إذاً ينبغي أن نعود إلى موضوعنا الأساسي والتوقف عند نقطة هامة، وهي أن الانتقال الجماهيري لليهود الشرقيين إلى معسكر الثورة، لا يمكن أن يكون إلا

(١) ـ زاكربات روس: منطقة في إمارة روس القديمة، حيث كانت تلفظ «pycb» باللغة الروسية القديمة بدلاً من روسيا «poccuu» باللغة الروسية الحديثة. المترجم ـ غ.ك.

بمنزلة عمل سياسي للحكومة اليهودية، الذي بدأ بعد طردهم من اسبانيا إلى بولونيا وانتقالهم إلى السرية بعد تقسيم بولونيا في عام ١٧٧٢ . وعند النظر إلى الأحداث من خلال هذه الآفاق التاريخية، يبدو جلياً وبوضوح تام ضخامة ثلاثة أهداف للمؤامرة، وكل ما حدث سابقاً من أحداث يؤكد ذلك تماماً، أولاً: كان من الضروري قبل كل شيء وقف عملية تحرر اليهود بمساعدة الثورة، هذه العملية التي مهدت السبيل لـ «عملية دمج اليهود» في الغرب، وهذا بحد ذاته استرجاع سلطة الطبقة الحاكمة للطائفة على اليهود. ثانياً: كان بالإمكان بمساعدة الثورة الانتقام من المسيحية لقيامها بطرد اليهود من إسبانيا ودعوتها الصريحة لمقاومة كل ما دعا إليه التلمود. ثالثاً: إن الثورة بما ستقدمه من ضحايا، كانت مدعوة لتهيئة الأوضاع في تنفيذ الشريعة، للقضاء على الوثنيين «يقصد بهم المسيحيون» وإفلاسهم مادياً، وإبادتهم فيزيائياً لانتصار «الشعب المختار» أو على الأقل انتصار الطبقة الحاكمة للطائفة اليهودية مستخدمين بذلك هذا المصطلح الكاذب.

من المحتمل أن هذه الغطرسة لم تكن تبدو مستحيلة وفي منتهى التطرف في عام ٥٠٠ قبل الميلاد، وسط القبائل البدائية في «الشرق الأوسط» أو في بعض مناطق محددة ومعروفة لنا في العالم آنذاك، لكن نقلها إلى قرننا الحالي المعقد المتشابك بالأحداث، تصبح عبارة عن مرض شاذ «باثولوجي» كجنون العظمة، والذي سيؤدي إلى إعادة العالم أجمع لمفاهيم القبائل القديمة البدائية. التي ولدت في ظروف تصادم القبائل الصغيرة في الأزمنة القديمة، غير أن اليهود يظنون أحياناً، أن الشريعة الواقعة في صلب هذه المخططات، يمكن أن تكون موجودة في خضم العهد القديم، للمسيحيين واليهود بشكل عام، غير أن هذا غير صحيح، فالعهد القديم كان يحتوي على تعاليم سامية صالحة تدعو لعلاقات طيبة مع الجوار أثناء الحديث بصورة إيجابية عن «بيت العبادة لجميع الشعوب»، هذه التعاليم تم حذفها من قبل اليهود وأدخلت إضافات على نصوص التوراة، ومن المحتمل أنها ألغيت بالكامل: وكأنها لم تكن من قبل. وتحتوي التوراة أيضاً على هذه وتلك، وفي الحقيقة هذه ليست كتاباً واحداً، إنما كتابان وكل واحد منهما يقرر بنفسه ما يعده في الحقيقة كلمة الرب. لقد قامت المسيحية

بالاصطفاء ذاته تحديداً، حيث أخذت من العهد القديم أجزاء من التوراة تناسب البشرية جمعاء، وتجاهلت ما أدخله اللاويون الذين استبدلوا الوصايا التي تدعو إلى التمسك بالأخلاق الإنسانية.

وبمقتضى سلطة الشريعة اليهودية أرسل الحاخامات الشرقيون اليهود التابعين لهم إلى معسكرات الثورة، لم تكن هذه الشريعة هي التوراة بل التلمود «واليهودي المعاصر هو نتاج هذه الشريعة» (إن هذه الكلمات التي استشهدنا بها هي لرود كينسون). لا يوجد في التلمود تعاليم صالحة يمكن تطبيقها على جميع البشر، فهو يؤكد على استعباد وحرمان أي كان إذا لم يقم باتباعه. والتلمود كتاب واحد وليس كتابين، وهو العدو اللدود للمسيحية وقد كتب الحاخام «دراخ» قائلاً: «**إن مبادئ الانصاف والعدالة والرحمة في العلاقة مع الجار، لا يمكن تطبيقها مع المسيحيين، بل إن استخدامها يعدّ جريمة نكراء بحدّ ذاتها. فالتلمود يمنع منعاً باتاً انقاذ غير اليهودي من الموت أو إعادة ملكه إليه أو اظهار أي رحمة نحوه**». هكذا كانت شريعة الخزر الاشكناز في مناطق وجودهم المغلقة (الغيتو)، حيث صنعت منهم القيادة «ماكينة» الثورة العالمية، وهذا يتفق مع ما أورده أحد اليهود ذوي السلطة، إن في الوقت الحالي ٨٥٪ من يهود العالم ــ اشكناز.

هكذا تجمّعت السلطة السرية للطائفة في المناطق الأقل شهرة في روسيا، وعبأت الصفوف للقضاء على المسيحية وأوروبا، حيث بدأت هذه الجيوش هجومها في القرن التاسع عشر، وفي غضون نصف قرن قبل وقتنا الحالي. انتشرت هذه القوى الثورية قدماً، مشعلة ومخربة أوروبا، اقتداءً بالمخطط الذي كشف لأول مرة في وثائق «ويسهاوبت». وعلى رأس هذه الجيوش التخريبية، وقفت دائماً «شخصيات يهودية». هذا ما كتبه (دزرائيلي في عام ١٨٥٢)، وفي المحصلة إن أوروبا التي لم تكن حياتها مزدهرة زاخرة بقوة الشعب القاطن فيها في يومٍ من الأيام كما هي عليه الآن، تهدمت وأنهك سكانها، وحاولت جاهدة إيجاد مخرج، للتخلص من الذين يحاصرونها. لكن نتائج «المبدأ التخريبي» الذي تحدث عنه «دزرائيلي» امتد بعيداً خارج أوروبا يدق أبواب جميع العالم. ومن المحتمل أن تأتي مئة سنة أخرى، قبل أن تتكالب فيه القوى الظلامية الغاشمة على

العالم المسيحي لتستنزف قواه. واليهود الأشكناز واثقون كما كان السفارديم سابقاً من أنهم ليس لديهم القوة الكافية لمقاومة جاذبية البشرية، أما أحلام القبالة في السيطرة العالمية فستختفي بنفسها.

ووفقاً لشريعة التلمود، فالتخريب ـ ليس الهدف كله، بل هو وسيلة لتحقيق الأهداف المرسومة الأخرى. وإن زوال واضمحلال الحكومات الوطنية يجب أن يصبح فاتحة ضرورية لإقامة الأمبراطورية المنتصرة «للشعب المختار» في أرض الميعاد. فالضربة الأولى من أجل تحقيق هذه الأهداف النهائية وكانت في منتصف القرن التاسع عشر، هي تشكيل الجيش الثاني (جيش الصهيونية) في تلك المناطق من أوروبا الشرقية، التي يحكمها التلمود، حيث أكملت الثورة العالمية تشكيل نواتها.

وقد وضعت الصهيونية مهمة إنجاز «إعادة» اليهود إلى فلسطين، كما وضعت أول حجر أساس لإقامة الأمبراطورية اليهودية العالمية فيها. إن فكرة السيطرة على الشعوب الأخرى سارت خلال مئات السنين جنباً إلى جنب مع أفكار الثورة، ولم يكن بـإمكان أحدها تحقيق أي إنجاز يذكر بمعزل عن الآخر. إن نجاحاتهم الواضحة «بالعودة» أصبحت أمراً واقعاً مثل دولة وطنية للقبيلة المختارة. وكما هي الدول الوطنية للشعوب الأخرى، فلا يوجد سلالة دنيئة من خارج الشريعة اليهودية سبق أن قامت بالقضاء على الدول الأوروبية العظمى أو إنهاكها في السابق وحتى بداية القرن العشرين، مثلما فعلت هذه السلالة ونشطت قوى الدولة اليهودية على مستويات عليا وأفسدت حكومات هذه الدول (الأوروبية) ونسفت قوى الثورة أساس وجودها من الأسفل.

وكما يعترف «اوغسطين»، رغم أن الحكومة اليهودية، يعني «المركز» الذي كان موجوداً لأكثر من ألفي سنة في التاريخ «اختفى من الوجود» فجأة بعد تقسيم بولونيا في عام ١٧٧٢ ، غير أنه ظهر منذ مئة سنة في شكل «**المنظمة اليهودية العالمية**» وهذا لايعني غير شيء واحد فقط، وهو أن الحكومة اليهودية على اليهود تنازلت عن مكانتها للسلطة اليهودية على الحكومات، ومن المعيب ألّا نرى أن هذه الفكرة تحديداً هي انعكاس لما يجري في وقتنا الحالي.

وكان «دزرائيلي» قد كتب عن «شبكة» المنظمات الثورية التي غطت الأرض مثل شبكة الخطوط الحديدية، وهذا أقرب وصف «للماكينات التخريبية القائمة. ومن أجل تحقيق أهداف أكثر هولاً، احتاجت السلطة العالمية لشبكة أخرى كي تمارس دورها في المستويات الحكومية العليا، مع أن «دزرائيلي» لم يستخدم كلمة شبكة بهذا المعنى، بل كان يقصد بذلك عندما كتب: «**إن العالم لاتقوده تلك الوجوه، التي تعد بمنزلة حكام البشر، ولا تدري ما الذي يجري وراء الكواليس**» بل في جميع الأحوال، وعلى الأرجح إن العالم تقوده هذه «**المنظمة اليهودية العالمية**»، تلك التي كتب عنها أوغسطين: سلطة مشكّلة من اوساط ذوي سطوة وشخصيات ثرية جداً، والتي انضوى تحت لوائها في البداية الأمراء والقياصرة والملوك ولاحقاً الرؤساء والسياسيون الديمقراطيون.

يعمل هذان النظامان بصورة متزامنة، وكل واحد منهما يمهد السبيل لتحقيق أهداف الآخر. وفي ظل اصرار الجماهير وخطر الثورة، كان الحكام غير اليهود مضطرين لتسليم مواقعهم التحتية واحداً تلو الآخر، ماداموا لم يفقدوا السلطة بعد، مع أنه كان يمكن عزلهم بشكل كامل. وفي علاقاتهم مع الدول الأخرى، راقبتهم سلطة المال. أما الحروب التي أجبروا عليها قسراً أدت إلى إفلاسهم وإضعاف دولهم، وحضّروا أيضاً لتحقيق شعار «العودة».

يحتار أحياناً غير اليهود، لماذا تساند الشخصيات الغنية الثورة بمثل هذا المقدار. وقد وضع «دزرائيلي» هذا السؤال وقدم الجواب عليه أيضاً: إن هدفهم الأساسي هو ـ القضاء على المسيحية. لقد عرف دزرائيلي حول ماذا يتحدث وأدرك معنى كلماته بالكامل حين قال: سيصبح لغير اليهود مفهومٌ إذا قيل لهم أن الشخصيات الغنية تنفذ شريعة التلمود التي تطالب بقتل الشعوب الأخرى كمقدمة «للعودة الظافرة».

وفي الفصل التالي ستتم الكتابة عن ظهور الصهيونية من أحياء الغيتو المغلقة في روسيا، وحذاقة تعاون قوتين الأولى ـ للتلفيق على حكام الغرب والثانية لتقويض أسس الحكومات الوطنية غير اليهودية.

المنظمة الصهيونية العالمية

أُقترح في آذار عام ١٨٩٧، على جميع يهود العالم إرسال الوفود إلى المؤتمر الصهيوني الذي سيعقد في آب من العام نفسه في مدينة ميونيخ. وقد وقف يهود أوروبا الغربية ضد هذا المشروع، وانهالت الاحتجاجات في البداية من قبل حاخامات ألمانيا وبعدها من يهود ميونيخ، لذلك تقرر نقل عقد المؤتمر إلى مدينة بال في سويسرا، وكانت حركة الإصلاحيين اليهود الأمريكان قد أعلنت قبل سنتين من عقد هذا المؤتمر أنها «**لا تنتظر العودة إلى فلسطين... ولا استعادة أي شريعة كانت، تهدف إلى إقامة الدولة اليهودية**». وعندما أراد الحاخام «اصطيفان وايزر» في عام ١٨٩٩ ، طباعة عمله عن الصهيونية (الذي اصبح فيما بعد أحد المساعدين المؤثرين للرئيس فرانكلين روزفلت) أجابته جمعية دور النشر اليهودية في أمريكا عبر سكرتيرها الخاص بعدم قدرتها على تحمل خطر المجازفة وطباعة هذا الكتاب.

وقد وصل إلى مؤتمر «هرتزل» /١٩٧/ مندوباً كان اغلبهم من أوروبا الشرقية. أعلن هؤلاء المندوبون عن تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، التي دعت اليهود كأمة مستقلة، ووضعت نصب اعينها هدف تحقيق هذه الدعوة «اعتراف اجتماعي وضمان قانوني لبيتها»، وأعلن هرتزل أن «الدولة اليهودية قد تأسست»[1] وإن ما جرى لاحقاً في الواقع، كان قد اتفق عليه في بال، حيث

(١) ـ كتب هرتزل إلى رودس في /١١/ كانون الأول ١٩٠٢ » أرجو منك ان ترسل لي نصاً تقول فيه أنك درست برنامجي وأنك تؤيده، ستسألني لماذا أتوجه إليك يا سيد رودس؟ والجواب لأن برنامجي هو برنامج استعماري استيطاني». (سيسيل رودس الذي حول ←

ادعى مجموعة من المندوبين تمثيلهم لجميع اليهود، وهذا ما رفضته مجموعة من المنظمات الغربية.

غير أن مقترحاتهم لم ينظر في وضعها في تلك الفترة، وتم وضعها على جدول أعمال السياسة الدولية. لقد كان مؤتمر بال عملياً بمنزلة سنهدرين جديد، حيث دعا لتغيير التعهدات التي كانت قد قدمت في الفترة النابليونية منذ /٩٠/ عاماً قبل هذا التاريخ. وكان مجلس السنهدرين الأول قد رفض الاعتراف باليهود كأمة مستقلة، وجُلُّ دعواته تركزت على إقامة الدولة اليهودية، لكن السنهدرين الجديد أعلن أن اليهود أمة مستقلة، وطالب بـإقامة دولة خاصة بهم، وقوّم الحاخام المعاصر «أيلمير بيرغر» الأحداث التي جرت خلال نصف قرن وحتى يومنا هذا على الشكل التالي **«لقد دق إسفين هنا بين «الأمة» اليهودية وباقي البشر، وتمت هنا صياغة أشكال الغيتو، الذي دست فيه حياة اليهود غير المندمجين في المجتمعات لكي لايسمح بعملية اندماج وتكامل طبيعي»**.

لقد كان ينقص مجلس السنهدرين في فترة «نابليون» شيء ما جدي ووحيد، ومن المحتمل أنه لم يلفت انتباه «نابليون»، غير أنه أصبح جلياً في وقتنا الحالي. فقد تمثّل في هذا المجلس حينها اليهود الغربيون وحدهم فقط، وكان من الصعب الانتظار لكي يصبح ذلك معلوماً للامبراطور نابليون وهو مدى قوة الجماهير المتراصة لليهود التلموديين في روسيا، وكانت غائبة عن بال «هرتزل» أيضاً، الذي كان يجب أن يكون أكثر اطلاعاً كما يبدو لي، واكتشف ذلك بصورة غير متوقعة في فترة انعقاد مؤتمر بال فقط، حيث انعقد هذا المؤتمر بمبادرة منه مع ثقته الكاملة في الحصول على تأييد جميع المندوبين، قال حينها: **«حينئذ.. وفجأة ظهرت أمامنا «اليهودية الروسية» التي لم نشك في قوتها من قبل قط. فقد وصل من روسيا /٧٠/ مندوباً وكان واضحاً لنا جميعاً، بأنهم يمثلون أفكار ومشاعر خمسة ملايين يهودي في الدولة الروسية، أية إهانة لنا إذا لم نقدّر تفوّقهم»**.

← جمعيته الدستورية لتصبح فيما بعد معروفة باسم أفريقيا الجنوبية). نقلاً عن كتاب الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ــ روجيه غارودي، نقله إلى العربية م.ع. كيلاني. دمشق ــ دار الكاتب عام ١٩٩٦ ص١٤ المترجم ــ غ.ك.

وهكذا أصبح «هرتزل» فجأة، وجهاً لوجه مع اليهود الغربيين ومع تلك «المؤامرة»، التي بمساعدته كان يجب أن تنتشر في الغرب كله. ومثله في ذلك مثل العدد الكثير من خلفائه، أعلن حرباً على الاندماج، لعدم درايته بطبيعة تلك القوة التي ساعدها. وسرعان ما أصبح وحيداً لكونه الرائد فقط، عمل عمله بعد أن ظهر على مسرح الأحداث المالكون الحاليون (اليهود الشرقيون). لقد صنع لهم السلاح الذي استخدموه للهجوم على أوروبا، وتحدث القائد الصهيوني «حاييم وايزمان» عن «هرتزل»، الذي تسلم القيادة بدلاً منه، لقد كان ذلك واضحاً تماماً، في أن «مآثر وفضل هرتزل تكمن في أنه شكّل البرلمان للسلطة المركزية الصهيونية... ولأول مرة في تاريخ اليهودية في الشتات، أجرت حكومات الدول العظمى مباحثات رسمية مع المندوبين المنتخبين من قبل «الشعب» اليهودي. وكان هذا بمنزلة اعتراف رسمي بهوية «الشعب» اليهودي، واعترافاً بوجوده كما هو فعلاً في الحقيقة».

ينبغي الاعتقاد أن «وايزمان» استهزأ سراً، عندما استخدم مصطلحات «البرلمان» و«المنتخبين». إلا أن المصطلح الثاني الوارد في الجملة السابقة يشير إلى حقيقة هامة للغاية، وهي أن الأساليب السرية للمؤتمرين (اليهود الشرقيين) في بال، وتصريحاتهم التي أعطتهم النفوذ والأهمية، دفعت بالأغلبية العظمى من اليهود الغربيين إلى تجنبهم بارتياب. غير أن الشيء الوحيد فقط الذي لم يكن بـإمكان أحد أن يتصوره هو إمكانية الاعتراف بهم من قبل إحدى الدول العظمى، هذه التصورات التي جرت خلال سنوات بعد عقد المؤتمر كانت بلا جدوى، بعدما اقترحت الحكومة البريطانية «أوغندا» بهدف تجميع اليهود وإسكانهم فيها، وهذا ما ألمح إليه بالتحديد «وايزمان»، منذ هذه اللحظة اعترفت الدول الغربية العظمى بسكان الغيتو التلموديين في روسيا كممثلين لجميع اليهود، ومن هذا التاريخ تحديداً دخلت الثورة الصهيونية في تاريخ الغرب.

وهكذا انتهت مئة سنة من عملية الدمج، التي كانت قد بدأت بآفاق مشرقة لتوحيد اليهود مع باقي البشرية، وأصبحت الكلمات التي تنبأ بها «هوستون ستيوارت تشمبرلن» والمكتوبة قبل فترة قصيرة من مؤتمر بال، حقيقة وواقعة حيّة، مفسراً بذلك كلمات «هِرْدر» المكتوبة قبله بمئة سنة: «**لقد أصبحت**

الشعوب الأوروبية غير المتطورة عبيداً لليهود المرابين برضاهم» ـ «تشمبرلن» (كاتب ألماني وفيلسوف من أصل إنكليزي ـ المترجمون الروس) وأثبت أنه خلال القرن التاسع عشر «**جرت متغيرات جمة، وكان باستطاعة «هِرْدر» القول نفسه عن سحق قسم من العالم المتحضر... وأن التأثير اليهودي المباشر على القرن التاسع عشر أصبح إحدى المشاكل الملحة للمعاصرين ونحن هنا بصدد قضية لا تتعلق بيومنا هذا، لكنها تمس مستقبل العالم أجمع»**.

ومنذ تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، التي اعترفت بها الدول الغربية بسرعة كسلطة عليا تسيطر على اليهود جميعهم، أصبحت هذه «المشكلة الملحة» تسيّر دفة الأحداث التاريخية و«مستقبل العالم أجمع»، وكل ما يرتبط بها، وأصبح واضحاً في عام ١٩٥٦ عندما انتهى هذا الكتاب، أن القيادات السياسية في أمريكا وبريطانيا مضطرةٌ للاعتراف على مضض، أن الحرب العالمية القادمة يمكن أن تندلع في أي لحظة، وتحديداً في ذلك المكان الذي توجد فيه «الدولة اليهودية». وإلى الآن يسعون بكافة الاتجاهات على الكرة الأرضية، محاولين التحذير من هذه «النهاية».

بروتوكولات حكماء صهيون

لقد أسس كارل ماركس الأممية الأولى في عام ١٨٦٢، واعطى برنامجها الذي أُطلق عليه اسم «البيان الشيوعي» انطباعاً منذ اللحظة الأولى لصدوره على أنه تنويري مثل مصدره. وفي تلك السنوات أيضاً أسس «باكونين» منظمة الاتحاد الدولي للاشتراكيين الديمقراطيين، مثلما بينت «نيسيتا وبيستر» في أعمالها، مستعرضة مقتطفات من برنامجه، وكانت هوية هذه (المنظمة) الأخيرة تنويرية كالماء الصافي. وفي عام ١٨٦٤ ، طبع الصحفي الفرنسي المعارض «موريس جولي» كراسه الهجائي ضد نابليون الثالث الماسوني والكربوناري[1]، متهماً إياه باستخدامه الأساليب نفسها لتفسيخ وتقويض النظام الاجتماعي الفرنسي (لقد كتب هذا الكراس الهجائي بأسلوب استعاري أو مجازي). وفي عام ١٨٦٨ ، تطرق الكاتب الألماني «هيدش» في كتابه لهذا الموضوع بهجوم لاذع على القيادة اليهودية الثورية. وفي عام ١٨٦٩ ، عمل بهذا الموضوع الفرنسي صاحب المذهب الملكي «هوجين دي موس» أيضاً، وفي العام نفسه طبع «باكونين» كتابه «مجادلة ضد اليهود». وفي جميع هذه المؤلفات بهذا الشكل أو ذاك يتضح أو ينكشف تتابع الأفكار الأساسية التي تم الكشف عنها لأول مرة في أعمال ويسهاوبت وهي: القضاء على الحكومات الشرعية والدين والأمة، وإقامة نظام استبدادي عالمي لاستعباد جميع شعوب العالم باستخدام أقذر الأساليب:

(١) ــ الكربوناري: وتعني حرفياً العمال في مجال الفحم، وناضلت هذه الجمعية في ايطاليا في القرن التاسع عشر من أجل التحرر الوطني والنظام الدستوري. ومن صفاتها الرمزية أن احتراق الخشب يرمز إلى تنظيف روح الانسان، وكان نشاطها في ايطاليا وفرنسا وسويسرا ودول البلقان. المترجم ــ غ.ك.

الإرهاب والقهر، وفي عدد من هذه المؤلفات اتُهم اليهود بصورة جلية بالاستيلاء على قيادة الثورات.

وخلال فترة طويلة، لم تظهر أية مواد جديدة عن المؤامرة العالمية بعد تلك التي كشفت لأول مرة في عام ١٧٨٧، إلا في عام ١٩٠٥، عندما خرج إلى النور كتاب البروفيسور الروسي «سيرغي نيلوس» الموظف لدى إدارة الدين الجليل في السينودس المقدس، الذي حُفظت نسخة وحيدة منه في المتحف البريطاني في لندن، والمؤرخة في ١٠ آب عام ١٩٠٦ . وبلا شك، فإن المعلومات عن المؤلف وكتابه لهما أهمية كبيرة. غير أن عمل «نيلوس» لم يترجم إلى أي لغة، وإن السرية التي أحاطت بالمؤلف والكتاب معاً، خلقت وضعاً استثنائياً عسيراً في إجراء أي تحليل، حيث تم ترجمة فصل واحد فقط من هذا الكتاب إلى اللغة الإنكليزية في عام ١٩٢٠ ، وهذا يتطلّب توخي الدقة، مع أن الكتاب ظهر في روسيا عام ١٩٠٥ . وبدأت الضجة والنقاش حوله بعد ظهور الترجمة الإنكليزية (إن هذا الفصل المترجم إلى الإنكليزية طبع في إنكلترا وأمريكا)، بعنوان «بروتوكولات علماء شيوخ صهيون» ولم يستطع المؤلف «دوغلاس ريد» تفسير ما إذا كان هذا هو العنوان الأصلي أم أنه ظهر فقط في الترجمة، كما أنه لا يوجد إثباتات معينة تؤكد أن كتاب «نيلوس» يمثل حقيقة بروتوكول الاجتماع السري «لشيوخ» اليهودية، ومن وجهة النظر هذه، فإن الكتاب ليس له أي أهمية وثائقية.

غير أنه من وجهة نظر أخرى، فالكتاب له أهمية غير عادية أو أن تجربة (الفترة الأخيرة) تؤكد بصورة لاتدحض أن هذا الكتاب ــ هو الوثيقة الأصلية للمؤامرة العالمية التي كشفت لأول مرة في أعمال ويسهاوبت. وأما الشهادات الوثائقية الكثيرة الأخرى ذات الطابع نفسه والتي توالت بعد الاكتشاف الأول، مثلما كان واضحاً في هذا العمل (كتاب نيلوس) فقد تفوقت عليهم جميعاً، والشواهد الأخرى كانت دون المستوى المطلوب، حيث أعلنت ورصدت حوادث متفرقة. غير أن هذا الكتاب ــ رسم لوحة كاملة للمؤامرة: دوافعها وأسلوبها وأهدافها، وقدم إضافات جديدة إلى المعلومات القليلة التي كانت معروفة لحدٍ ما (ما عدا استحالة إثبات تأليفه من قبل شيوخ اليهودية)؛ إلا أنه

وضع كل جزء في مكانه الضروري مبيناً جميع الأهداف. ووصف الكتاب بدقة ما حدث خلال نصف قرن بعد طباعته، وما سيحدث في الـ ٥٠ سنة اللاحقة (التي تقترب الآن نهايتها، واحتوى على جزء هام، عما تحدثت عنه البروتوكولات ـ المترجمون الروس) إلا إذا وجّهت المؤامرة قوتها في الاتجاه المعاكس.

ويحتوي الكتاب على معلومات غنية (وبشكل خاص عن الطبيعة الانسانية الضعيفة) مصدرها لايمكن أن يكون إلا غنياً بالتجربة والبحث المتراكمين خلال مئات السنين وفي جميع العصور. لقد كتب هذا الكتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) بلهجة متعالية متعجرفة، وكأنها حقائق للحكماء القدماء الجالسين على العرش الأولمبي، وملأى بازدراء لا ينضب تجاه الجماهير البشرية التي تتحرك بعيداً في الأسفل («سواد الناس»... «مواشي تائهة»... «حيوانات»... «وحوش ضارية») وتحاول بلا جدوى الإفلات من قبضة الملقط، هذا الملقط هو ـ«سلطة الذهب» وقوة عنجهية فظة ضد مدافعيها الوحيدين عنها أي الطبقات المسيحية العليا الأوروبية، وبقضائها عليهم سيكون بمنزلة جلب الهلاك لنفسها. وقدمت الفكرة التخريبية على شكل نظرية علمية. شبيهة بالعلوم البحتة، كتبت ببلاغة فصيحة. وتذكر مؤلف هذا الكتاب دائماً عند قراءته «للبروتوكولات» أن أكثر ما أذهله بشكل خاص هي كلمات «دزرائيلي».

لقد أعرب «دزرائيلي» عن رأيه بصراحة متناهية، حين تحدث عن «المبدأ التخريبي» (لاحظوا هنا كلمة مبدأ، لم يتحدث عن فكرة أو مخطط أو مفهوم أو خطة أو حتى مؤامرة إلى آخره من مفاهيم) ومن ثم البروتوكولات تحديداً رفعت نظرية الهدم «المبدأ التخريبي» إلى درجة الحقيقة الثابتة للشريعة الأولى والأساسية، وأهم القواعد الأساسية في السلوك» وكما يبدو للوهلة الأولى فإننا نجد في أمكنة كثيرة من البروتوكولات تقدّم التخريب كما لو أنه شيء إيجابي بحد ذاته، مسوغاً بذلك كافة الوسائل التي تخدم هذا المبدأ وهي (الرشوة، والتهويل والفساد، والتخريب بذاته، وغرس بذور الخصام، وتحريض الجماهير، وممارسة الإرهاب والعنف)، وكأنها هي الأخرى تكتسي طبيعة إيجابية. بيد أن التدقيق

في النصوص (البروتوكولات) يدلّ إن الأمر لا يبدو على هذا المنوال، والدليل على ذلك إنها تبدأ بالأهداف النهائية وهي ـ السلطة العالمية، ومن ثم تعود النصوص بعدها إلى الوراء إلى تلك الأساليب التي ينصح باتباعها كأفضل السبل لتحقيق المآرب. وجاءت هذه الأهداف شبيهة بتلك التي تم الكشف عنها لأول مرة في أعمال ويسهاوبت، ومن دون أدنى شك فإن هذه الأهداف وغيرها تعود بشكل عام للمصدر القديم «أي الشريعة»، مع أن «البروتوكولات» عينها متصلة بأعمال ويسهاوبت، مثل اتصال الحفيد بجده، فالمحصلة النهائية لهذه الأهداف وغيرها ترمي إلى القضاء على جميع الأديان والأمم وإقامة السلطة العليا لقيادة العالم عن طريق الإرهاب بلاشفقة ولا رحمة.

وما إن ظهرت «البروتوكولات» بترجمتها الإنكليزية، حتى بدأ الهجوم العنيف عليها من قبل اليهود. زد على ذلك، فقد طُرحت أسئلة متعددة غير ذات أهمية، بخصوص من يمكن أن يكون باستطاعته تأليف هذه البروتوكولات تحديداً؟ وكأن هذه الأسئلة مهمة أكثر من غيرها فيما يتعلق بهذا الأمر، وخلاصة القول: إن الشواهد حول الدور اليهودي في القيادة الثورية المتآمرة ليست بجديدة كما لاحظ القارئ. فقد كان «دزرائيلي» و«باكونين» وآخرون قد بينوها قديماً. وفي هذه الحالة، فإن الهدف من الإشارة إلى اجتماع قياديي المؤامرة اليهود لم تؤكدها هذه الشواهد، وكان بالإمكان صرف النظر وعدم لفت الانتباه إلى هذا الاجتماع لولم يتم نشر تُهَم ماكرة «يسوعية» في عام ١٩١٣ شبيهة بخطة المؤامرة العالمية المدبرة، وتُذكّر في الوقت ذاته بـ «البروتوكولات» وبـ«أعمال ويسهاوبت» (بكل وضوح لغاية التضليل وصرف الانتباه) ليتبعه بعد ذلك من جهة «اليسوعيين» تفسير هادئ على أن هذه التهم لاتستند إلى أي أساس، حيث خمدت الأمور بسرعة.

وأصبحت ردود الفعل الرسمية اليهودية في عام ١٩٢٠ وفي السنوات اللاحقة بعدها، غير ما كانت عليه سابقاً. فقد أعقبها نفي حاد لكل ما جاء في «البروتوكولات»: ليس نفي المؤامرة اليهودية فقط، بل المؤامرة كلها بشكل عام، وكل ما لم يكن مؤكداً من الحقائق. إن ظهور مؤامرة ضد المجتمع والنظام المسيحي ـ الأوروبي كانت مثبتة وموثقة من خلال مجموعة حوادث منذ

«أدمون بيرك»، و«جورج واشنطن»، و«الكسندر هاملتون»، وحتى «دزرائيلي»، و«باكونين» وآخرين كثر، وعدا عن ذلك أنه لتلك الفترة عندما ظهرت الترجمة الإنكليزية لـ «البروتوكولات» اثبتت الأحداث في روسيا بصورة لا تقبل الشك وجود هذه المؤامرة، وبالغ اليهود باحتجاجهم عن دورهم في المؤامرة، هذه المبالغة بالاحتجاجات عززت شكوك الرأي العام حول الدور اليهودي.

كانت هذه الاحتجاجات تكراراً لتلك التي كَتمت في حينها صوت «روبيسون»، و«باربول»، و«موريس» الذين طالبوا بإجراء تحرٍ علني حول نشاط بعض الجماعات السرية. غير أنه تمت ملاحقتهم من قبل اليهود، مع العلم بأن هؤلاء المؤلفين الثلاثة لم يذكروا شيئاً بشكل مباشر عن القيادة اليهودية للمؤامرة. وقد افتروا عليهم وشهَّروا بهم فقط لأنهم لفتوا انتباه الرأي العام إلى طبيعة الجماعات السرية المتواصلة والمستمرة، وإلى الثورة الفرنسية التي كانت بلا شك أول «انفجار» قاموا به. وكان الهجوم على «البروتوكولات» في العشرينيات من القرن الحالي برهاناً على عدالة اثباتهم، وأكد هذا الهجوم على وجود جهاز يقمع جميع النقاشات التي تدور في الرأي العام حول أي موضوع يتعرض للمؤامرة التي تطورت بدرجة لايستهان بها خلال ١٢٠ سنة منصرمة. هذا ولم يحدث في التاريخ أن صُرفت مبالغ طائلة وبذلت جهود جبارة لدحض شيء واحد مثلما صرفت من أجل الوثيقة الوحيدة (البروتوكولات).

وقد اطلع الرأي العام الإنكليزي على «البروتوكولات» عبر شخصين من بريطانيا مشهورين، عَمِلا مراسلين في روسيا، «فيكتور مارسدين» من صحيفة «مورينغ بوست» (والشخصية الثانية مشهورة للجميع وسيتم الحديث عنها في فصل لاحق). لقد تمتع «مارسدين» بشهرة واسعة كخبير في الشؤون الروسية والإرهاب البلشفي، وترك انطباعاً مثيراً للغاية عنه، وأصبح بلا شك ضحية المؤامرة أيضاً، وتوفي في مقتبل العمر، بعد أن أنهى ما عدّه واجباً عليه القيام به وهو: ترجمة «البروتوكولات» إلى اللغة الإنكليزية الموجودة حالياً في المتحف البريطاني.

لقد أثارت طبعتهم الإنكليزية اهتماماً بالغاً في جميع أنحاء العالم. وفي هذه السنوات تحديداً (أي خلال أعوام ١٩٢٠ والسنوات اللاحقة) حانت نهاية

الزمن، عندما أصبح بالامكان مناقشة المسألة اليهودية بصراحة وبتجرد. وفي البداية كانت المناقشات حامية لكنها تمت بحرية، غير أنه أتيح لليهود وبسرعة وصف هذه المسألة، بصفتها «إهانة لصاحب الجلالة» وفي أيامنا هذه لا تتجرأ حتى أي شخصية اجتماعية واحدة أو أي دار نشر أن تذكر شيئاً عن «البروتوكولات» إلا إذا كانت كـ «وثيقة سحرية فخرية» (وهذا ما كان مكتوباً لدرجة معينة في البروتوكولات ذاتها).

لقد كانت ردود الفعل الأولية للرأي العام طبيعية بصورة عامة. وقد استقبلت «البروتوكولات» كدليل هام على وجود مؤامرة دولية ضد جميع الأديان والأمم والحكومات الشرعية والملكية الخاصة. وقد اتفق الجميع على أنه غير مؤكد ما إذا كان مؤلفو البروتوكولات هم من اليهود، لكن ما تحتويه يؤخذ على محمل الجد لدرجة أنه مقنع بـإثبات الأحداث التاريخية بعد أن ظهرت طبعتهم الأولى باللغة الروسية، وعدّت ضرورية كلّها لإجراء تحرٍ كامل وشامل للمسألة، ومثلما ذكرنا سابقاً فإن موضوع «التحري» طالب به عدد كبير من الشخصيات الاجتماعية قبل ١٢٠ عاماً من هذا الوقت، وأصبح الغرض الأساسي الآن تحديداً من الهجوم هو المطالبة باجراء التحري، ولكن لم تُثِرْ أي واحدة منها اطلاقاً إلى نشاط «حكماء صهيون». وبدوره اللورد «سايدنهم» السياسي القوي المتنفذ في حينه، ألحّ على إجراء هذا التحري أيضاً عن «البروتوكولات» كما جاء ذلك في مقال له نشر في ٢٧ آب من عام ١٩٢١ في صحيفة «سبيكتيتور»: وكان الغرض الأساسي بطبيعة الحال هو معرفة المصدر الذي حصل منه «نيلوس» على «البروتوكولات». لم يتمكن البلشفيون من إبادة كل من تعرف على «نيلوس» وأعماله. وكتابه لم تتمّ ترجمته كاملاً، مع أنه كان بـإمكان الترجمة الكاملة اطلاعنا على ما احتواه من معلومات خاصة... والسؤال المطروح هنا: ماالشيء اللافت للنظر الذي أذهل القارئ في «البروتوكولات»؟ والجواب هو النص ــ ذو المعرفة النادرة من نوع خاص والملمة بمجالات واسعة. ولحل هذا «اللغز» ما إذا كانت بالفعل تعد كذلك، كان لابد من التوضيح، من أين أتت هذه المعرفة السرية المبنية على أساس التنبؤات، والتي تنفَّذ الآن حرفياً؟ . وكتب «هنري فورد» الذي لم يكن فقط من كبار

الشخصيات الأمريكية المرموقة ومن كبار رجال الأعمال بل كان أيضاً ذا شأنٍ، يقول: (إن «هذه البروتوكولات» متطابقة بالكامل مع كل ماجرى في العالم لتاريخه، ومتطابقة مع كل ما يجري الآن) ونشر في صحيفة «Dearbomindenpendent» «دياربوم أينديبيندنت» سلسلة مقالات كملاحق مستقلة بيع منها أكثر من نصف مليون نسخة.

وجرت حوادث طريفه في أعقاب السنتين/١٩٢٢ ـ ١٩٢٣/ حيث أتهم صاحب صحيفة «التايمز» بالجنون وأجبر على التنحي عن منصبه من إدارة نشر صحيفته، وتم نشر التقرير الطبي عن وضعه الصحي خارج حدود الدولة، وبقي اسم الطبيب الأجنبي المشرف على العلاج في حينه طي الكتمان (سنصف هذه الحادثة لاحقاً). ونشرت مقالات في صحيفة «التايمز» بعد ذلك تؤكد بأن «البروتوكولات» عبارة عن سرقة أدبية كما أشرنا إليها سابقاً في كراس «موريس جولي» والتي لا تستدعي بالضرورة لفت انتباه القراء إليها ـ وأصبح صاحب صحيفة «مورينغ بوست» بصورة منتظمة عرضة للتهم الباطلة والملاحقة، حيث اضطر أخيراً لبيع صحيفته التي توقفت عن الصدور نهائياً، وكان «هنري فورد» قد نشر مقالة اعتذار في عام ١٩٢٧ وجهها إلى الشخصيات اليهودية المعروفة آنذاك في أمريكا وحصل مؤلف هذا الكتاب «دوغلاس ريد» على معلومات موثوقة في الولايات المتحدة الأمريكية تؤكد على أن «هنرى فورد» اضطر للقيام بذلك في تلك الفترة بسبب ما آل إليه وضعه فيما بعد. فكانت سيارته ذات الموديل الجديد المشهورة في ذاك الوقت معروضة للبيع في السوق فحلّ به الإفلاس وانهالت عليه المقاطعة من جهة البنوك والشركات التجارية التي كان مرتبطاً بها اتحاد شركاته الاحتكارية.

لم تهدأ معارضة الجماعات اليهودية «للبروتوكولات» حتى يومنا هذا. ففي روسيا السوفيتية وبعد قيام الثورة مباشرة تم القضاء على جميع نسخ البروتوكولات المتداولة في السوق وأصبح اقتناؤها جريمة ضد الدولة وحسب الدستور الجديد هي بمنزلة (معاداة السامية). ورغم مرور ٢٥ عاماً على هذا الأنموذج البلشفي، فقد اتّبعته السلطات الأمريكية والبريطانية بعد احتلالها لألمانيا، حيث أُجبرت حكومة ألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، على اصدار

قوانين تحرم القيام بأي عمل ضد ما يسمى «معاداة السامية» وتم مصادرة جميع نسخ «البروتوكولات». وفي عام ١٩٥٥، تم إغلاق دور النشر التي كانت تنشر «البروتوكولات» في مدينة ميونيخ. وكانت الضغوط المفروضة في إنكلترا قد حدّت من انتشار نسخ «البروتوكولات» مؤقتاً، ولكن معارضة الجماعات اليهودية لنشر نسخ «البروتوكولات» استمرت بالقوة نفسها في ترويع جميع دور النشر في إنكلترا، ولم يتجرّأ إلا عدد قليل من دور النشر الصغيرة بين الفينة والأخرى على طباعة عدد من النسخ. بدأ اليهود في سويسرا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية برفع دعوى قضائية ضد نشر هذه «البروتوكولات» وأعلنوا أنها عبارة عن «كتاب أدبي قذر» وربحوا الدعوى عندما قامت المراجع الرسمية العليا بتغيير قرار المحكمة لمصلحتهم.

وبعبارة أخرى، إن الوضع الذي كان قائماً في عام ١٩٢٠ مازال مستمراً إلى يومنا هذا، وكان قد تنبئ به في «البروتوكولات» عام ١٩٠٥ (في عام ١٩٠٢ ـ المترجمون الروس). حيث جاء فيها: «وبفضل الصحافة حصلنا على النفوذ مع بقائنا خلف الستار... إن النجاح الأكبر في السياسة يعتمد على سرية العمل، ويجب أن تكون هناك المتناقضات بين أقوال الدبلوماسي وأفعاله، وعلينا أن ندفع حكومات الغوييم إلى العمل وفق مخططنا المدروس دراسة عميقة، والذي يقترب الآن من مراحله الأخيرة الناجحة، وذلك بأن نجعل الناس يعتقدون أن هذه الحكومات تعمل برأي الشعب، ذاك الشعب الذي نكون في الحقيقة، قد أعددناه من قبل، اعداداً سرياً عن طريق (قوتنا الكبرى) المسماة الصحافة، «والصحف كلها باستثناء القليل منها في قبضة يدنا» البروتوكول السابع. أما الصحافة فإليكم ما سنفعله بها... سوف نقيدها بالأغلال ونقبض على ناصيتها بـإحكام، ونعمل مثل ذلك في غيرها من المطبوعات، ماذا يفيدنا أن نتجنب حملات الصحف اليومية إذا كنا سنظل عرضة لانتقادات النشرات والكتب؟ ... لا يستطيع أحد أن يمس هيبة الحكومة من غير أن يلقى عقابه، وسوف نعلل الإغلاق، بسبب كثرة الأفكار من غير سبب معقول. «وسنكون دائما منتصرين على أعدائنا لأنهم لا يملكون صحافة يستطيعون بها الدفاع عن أنفسهم» البروتوكول الثاني عشر. (إن الحديث في هذه المقتطفات يدور بصورة أساسية حول «السلطة العليا للدولة» العتيدة القادمة تحت السيطرة اليهودية وتشير أيضاً

إلى الأسلوب الذي سيتبع لاحقاً في «المرحلة القادمة» ـ المترجمون الروس)[1].

هذا هو التاريخ الموجز «للبروتوكولات» حتى وقتنا الحالي. ولم يتم التأكد من أن «حكماء صهيون» مؤلفوها أو يمكن أن يكون ذلك موضع شك، وهذا يعني أن جميع الدلالات الأخرى حول قيادة اليهود للثورة العالمية لا أهمية لها. وإن هدف الجماعات اليهودية من معاداة «البروتوكولات» لم يكن ذريعة يهودية إطلاقاً، بل إن منع طباعة هذه «البروتوكولات» تحت شعار: إن هذا الكتاب «يثير العقول بلا سبب أو أي أساس يذكر»، وكانت هذه الحجج المقدمة عبارة عن تلفيق وكذب وتتلخص في أن هذه «البروتوكولات» شبيهة جداً بتلك المطبوعات التي كانت قد صدرت مبكراً، لذلك يعدونها «قذرة» و«خيالية» في الوقت نفسه. إن ذلك يؤكد حقيقة ثابتة وهي: إن هذه «البروتوكولات» تعد جزءاً لايتجزأ واستمراراً للمصادر الكثيرة والوثائق التي تم كشفها عن المؤامرة. ويمكن أن تكون هذه «البروتوكولات» لدرجة معقولة من تأليف غير اليهود أو من قبل المعادين لليهود الثوريين، واحتلت هذه أهمية ثانوية أيضاً، وقد بينت «البروتوكولات» أن المنظمة التي كُشفت لأول مرة في وثائق ويسهاوبت مستمرة في الوجود منذ ١٢٠ عاماً مضت، وتستخدم تلك الأساليب نفسها، وتتبع فيها تلك الأهداف ذاتها كما كانت في اللحظة التي افتضح فيها أمرها لأول مرة، أو عندما ظهرت «البروتوكولات» في الترجمة الإنكليزية، زد على ذلك فإن الثورة البلشفية في روسيا قد أكدت على مضمونها بشكل كامل.

ويرى مؤلف هذا الكتاب «دوغلاس ريد» أن «البروتوكولات» وسائل احتياطية مهمة لكل راغب في قراءة أحداث وقتنا الحالي، ومادة غنية لهذا الكتاب «جدل حول صهيون». وإذا كان اللورد «سايدنهم» قد انذهل في عام ١٩٢١ بما تحتويه من «المعرفة الغامضة» و«التي على أساسها يبنون نبوءاتهم وينفذونها حرفياً في هذه الأيام» فإلى أي درجة كان يمكن أن يكون انذهاله قوياً في وقتنا الحالي، عندما ينفذون هذه النبوءات بهذا المقدار حرفياً أكثر من قبل.

---

(١) ـ إن جميع مقتطفات البروتوكولات الواردة في هذا الكتاب، قد تم الاستعانة لترجمتها بكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» ـ ترجمة إحسان حقي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ دار النفائس ١٩٩٠ . المترجم ـ غ.ك.

ويستطيع أي شخص كان أن يلمس عند قراءته «للبروتوكولات» ما أدت إليه هزات الـ ١٥٠ سنة الأخيرة. وسيتضح له مسبقاً كيف أن أفعال ممثليه المنتخبين ديمقراطياً تختلف عن أقوالهم. واستطاع المؤلف «دوغلاس ريد» في أحد المجالات وضمن مجال تجربته الخاصة أن يتحقق من كلام اللورد «سايدنهم» بخصوص تنفيذ هذه النبوءات. وبالحديث عن المعلومات الصحفية المحددة، كتبت «البروتوكولات» تقول: «ولا يمكن أن ينشر أي خبر أو إعلان بغير إذننا وهذا ما هو جارٍ منذ أن حصرت جميع أخبار الأحزاب بما ينقلونه عن بعض وكالات الأنباء ذات المركز الموحد، وسوف تكون كل هذه الوكالات في قبضتنا ولن يُذاع من الأخبار إلا ما نسمح بنشره» البروتوكول الثاني عشر. والجدير بالذكر أنه في أول سنة طبعت فيها «البروتوكولات» لم تكن الصحافة في وضع قد تم اخضاعها بعد، ولا في العام الذي كتب فيه اللورد «سايدنهم»، ولاحتى في عام ١٩٢٦ عندما اتّخذ مؤلف هذا الكتاب «دوغلاس ريد» الصحافة مهنة له، لكن هذا الوضع تطور لتصبح عملية الإخضاع في وقتنا الحالي حقيقة كاملة. إن سيل «الأخبار» الواردة من مختلف وكالات الأنباء تملأ عقول البشر كما تسيل المياه من الصنبور، وأن الأنابيب التي تنظم مجرى هذه المياه في الصنبور هي التي تنظم سيل «الأخبار»، ويستطيع القارئ أن يلاحظ بسهولة الشكل الذي بلغوه. وفيما يخص تعليقات المحررين، فإنها تستند إلى المعلومات التي يحصلون عليها. فما جرى من أحداث ومتغيرات لتاريخه واضح بالمقارنة مع المقالات «غير المتحيزة»، والتي نشرت في تلك الفترة في صحيفتي «التايمز» و«مورينغ بوست» وفي آلاف الصحف الأخرى خلال ربع قرن مضى. أما في وقتنا الحالي فهذا غير ممكن ـ إن اخضاع الصحف جرى بدقة مثلما هو مكتوب في «البروتوكولات»، وتمكن المؤلف التحقق من ذلك بنفسه، والفضل في ذلك يرجع في انتمائه إلى جيله ومهنته.

إن إجراء دراسة مقارنة بين «البروتوكولات» ومؤلفات «ويسهاوبت»، تقودنا إلى نتيجة مفادها، أن هذه وتلك تعود إلى أصول مشتركة، والأكثر من ذلك إلى المصدر القديم. ولايمكن أن يكون مؤلفها شخصاً واحداً أو مجموعة أشخاص في تلك الفترة، التي أصبحت فيها «البروتوكولات» معروفة. إن «المعرفة

الغامضة» الداخلة فيها مبنية على تجربة متراكمة عبر عصور طويلة. يتعلق هذا بالأخص (كما هي في مؤلفات ويسهاوبت أو في «البروتوكولات»)، بوعي البشرية الضعيف، الموصوف بالتحليل الدقيق. زد على ذلك، لقد استخدمت الأساليب الاستغلالية بصورة علنية حقيرة وتشفٍ لكل واحد منهما، والأدوات التي بوساطتها يجب أن يتم تخريب الدول المسيحية. وديانته تخدم «الغوييم» سواد الناس... وقد استخدمت هذه الكلمة في كل خطوة باحتقار لاذع إشارة للجماهير، هؤلاء الجماهير (الذين كانوا يتملقون إليها في تلك الفترة ويسمّونها «الشعب»)، «يجب أن نذكر بأن أصحاب الغرائز المنحطة هم أكثر عدداً من أولئك الذين يتمتعون بشعور نبيل، وعلى هذا فإن أفضل طريقة للحكم هي العنف والإرهاب وليس النقاش الأكاديمي... ويجب أن يكون معلوماً أن قوة الجماهير عمياء، مندفعة محرومة من المحاكمة السليمة، ميالة إلى الانقياد من جهة إلى جهة...» البروتوكول الأول: ومن هذا يأتي الاستنتاج بأن حكم «الغوييم» يجب أن يكون مثل حكم «الوحوش» استبدادياً مطلقاً، وإن «حكومتنا» ستستخدم «الإرهاب، الذي يعدّ وسيلة لقوة الإخضاع». وليس من السهل أن نرى، بأن هذه الكلمات وجدت طريقها إلى التنفيذ الحرفي في روسيا الشيوعية، ليصبح هذا الحكم الاستبدادي المطلق طبيعة للنظام الأممي، الذي يمثل نهاية أهداف البرنامج، وتصبح الدمى المحلية ـ الديكتاتورية في المرحلة الانتقالية الأداة الأساسية لتحقيق هذه الأهداف لتدمير نظام الدولة وسياجها الدستوري: «الذين يمثلون الديكتاتورية بأفظع مظاهرها، من الاساءات كانوا في الماضي، لأقل منه يقطعون رأس عشرين ملكاً... ويمكن تفسير هذه الظاهرة للشعب بدهاءٍ عن طريق عملائنا وذلك بأن يقولوا لهم بأنهم إذا أساؤوا للدولة بسبب هذه الأعمال فإنما فعلوا ذلك لأغراض سامية، وهي تحقيق سعادة الشعب والأخوّة العالمية والتضامن والمساواة، وبدهي أننا لن نقول لهم بأن هذا التقارب لن يتحقق إلا تحت سلطتنا، وهكذا فإن الشعب يهدم كل استقرار ويبعث الفوضى في كل مناسبة». البروتوكول الثالث.

يجدر بنا، أن نلفت الانتباه الخاص لهذه الفقرة، إن مصطلح «الحاكم ـ الديكتاتور» لم يكن مفهوماً للأغلبية في عام ١٩٠٥ إذ كان الشعب الأوروبي الغربي في تلك الفترة يؤمن بأن ممثليه المنتخبين من قبله يعبرون عن إرادته

وينفذون رغباته. غير أن هذا الاعتقاد أصبح مفهوماً خلال الحرب العالمية الأولى والثانية، عندما عمل الرئيس الأمريكي ورئيس وزراء إنكلترا على أساس أنهم «الحكام ـ الديكتاتوريون وعزوا إلى أنفسهم سلطات استثنائية»، تحت شعار «خير الشعب»... و«الأخوة العالمية»... و«المساواة العامة» والخ، وإضافة لذلك، فإن هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم الديكتاتوريين خلال فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية، اعلنوا بصراحة لشعوبهم، أن المحصلة النهائية للأهداف تعد بشكل عام «الاتحاد» تحت رعاية سلطة عالمية موحدة، لم يُعطَ جوابٌ مباشر عن سؤال: من سيكون قائداً لهذه السلطة العالمية؟ وعثور عدد معين من «البروتوكولات» على توكيدها وتنفيذها كاملة، وإشارتهم للحكومة العالمية كأداة للمؤامرة لقيادة العالم بمساعدة مختلف الوسائل وهي «العنف والإرهاب» مما اقتضى تبنيهما بجد.

وبالأخص، إن الطبيعة الطريفة جداً للحربين العالميتين في القرن العشرين كانت بلا نتيجة، لتلك الأمم التي تبين كأنها خرجت من الحرب منتصرة. إن «المعرفة الغامضة» وفق جميع المعلومات، أُوحي بها مجدداً في عام ١٩٠٥ أو أعلن عنها سابقاً في «البروتوكولات» حيث جاء في البروتوكولات: «منذ ذلك التاريخ (منذ الثورة الفرنسية) لم نزل نقود الجماهير من خيبة أمل إلى أخرى». البروتوكول الثالث، وإضافة لذلك «لقد أشغلنا الجميع وكل منهم يعمل على هدم آخر ما بقي من السلطة ويعمل على قلب الوضع الحاضر، وكل الحكومات لها نصيب من هذه الأعمال وهي تريد السلام، ولبلوغ ذلك فإنها مستعدة لتقديم كل التضحيات، لكننا لن نمنحهم السلام حتى يعترفوا علناً، وبقلب خاشع، بحكومتنا العالمية العالية». البروتوكول التاسع. لقد كُتبت هذه الكلمات عمداً قبل عام ١٩٠٥ لتعطي بدقة سير الأحداث اللاحقة في القرن العشرين، وتتابع الوثيقة هنا أيضا: «لنجاح قضيتنا يجب ألا تعود الحروب ـ أينما شنت ـ على المتحاربين بأية فوائد اقليمية» البروتوكول الثاني. لم تكن هذه الفقرة واضحة ومفهومة نهائياً في عام ١٩٠٥ وأصبحت لاحقاً شعاراً أساسياً محبباً لدى القادة السياسيين الأمريكيين والإنكليز خلال فترة الحربين العالميتين (المترجمون الروس: لم يتذكر أحد شعار الاشتراكيين الأوروبيين في فترة الحرب العالمية الأولى سوى إنكلترا وأمريكا هذا الشعار الذي ينص على «صلح بلا ضم أو تعويضات»)

وأصبح الفرق بين «أقوال» و«أفعال» السياسيين واضحاً بنتيجة هاتين الحربين. وكانت النتيجة الأساسية التي تمخضت عنها الحرب العالمية الأولى هي ظهور قوتين جديدتين ـ على مسرح الأحداث الدولية، وهما الصهيونية الثورية والشيوعية الثورية. كانت الأولى قد وعدت بـإقامة «وطن» على أراضٍ غريبة، أما الثانية فوعدت بإقامة دولة كبيرة كقاعدة لنشاط الأولى. وكانت المحصلة الأساسية للحرب العالمية الثانية فيما بعد هي «اكتساب أراضٍ» كما هي للصهيونية كذلك للشيوعية ولهما فقط: فقد حصلت الصهيونية على دولة كقاعدة لنشاطها وحصلت بالتالي الشيوعية على نصف أوروبا. ووفقاً لهذه الحالة فإن الكلمات التي تحدث بها اللورد «سايدنهم» «الموت المحتوم»، كما جاءت في «البروتوكولات» قد لفتت النظر إلى العبارة الرنانة المستخدمة في «البروتوكولات» في عام ١٩٠٥ والتي أصبحت عبارة شائعة للرؤساء الأميركان ورؤساء الوزارة الإنكليز خلال أعوام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ و١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ .

ترى ما الأسباب التي دعت مؤلفي «البروتوكولات» لأن يعدوا هذا الشعار مهماً لدرجة كبيرة، وشرحوه في نصوصهم أيضاً. مع أن الشعب اعتاد أثناء المصادمات الحربية، ألّا يحصل على أيّة أراضٍ مكتسبة، ليتضح بعدها أن المنتصر الوحيد حينها كما جاء في البروتوكول هو: «ويغدو الفريقان تحت رحمة مؤسستنا العالمية ذات ملايين العيون، والتي لا تقف في وجهها حدود، وهكذا تسيطر حقوقنا العالمية على حقوق العالم ونحكم الشعوب بالطرق التي تنظم كل دولة علاقاتها مع رعاياها» البروتوكول الثاني. ولتحقيق ذلك، يجب انقياد السياسيين الذين يدور الحديث حولهم في «البروتوكولات» «إن الحكام الذين نختارهم نحن من الشعب، بحسب عبوديتهم لنا، لايكونون على شيء من المعرفة بأمور الدولة فيغدون بسهولة بيادق في لعبتنا، بيد علمائنا ومستشارينا العقلاء أصحاب الاختصاص المدربين، منذ نعومة أظفارهم على حكومة العالم «البروتوكول الثاني».

ولندع القارئ يحكم بنفسه، لأي درجة طبقت هذه الخصائص على «المسؤولين» الديمقراطيين للعالم الغربي في عصرنا هذا، تلك المعايير التي خدمت علاقاتهم تجاه الصهيونية والثورة العالمية والحكومة العالمية. ويعطي الفصل القادم المعلومات الضرورية عن هذه الجهات الثلاث، ولكن كما يبدو لنا إن «الموت

المحتوم» المتنبأ عنه، برز بوضوح للغاية عند الإشارة إلى دور «المستشارين». ونصطدم هنا مجدداً بتلك «المعرفة الغامضة» التي كشف عنها منذ ٥٠ سنة مضت. لم يتم اختيار الشخصيات من قبل أحد في ١٩٠٥ ولكن أصحاب النفوذ «المستشارين» لم يكونوا معروفين لدى الرأي العام. وكان عدد قليل من البشر المطلعين جيداً، الذين عرفوا سابقاً مثلهم في ذلك مثل «دزرائيلي» أن «العالم لايقوده أولئك الذين يعدون حكام البشر، ولايدرون مايجري في الخفاء من وراء الكواليس» ظلت هذه الجملة في «البروتوكولات» غير مفهومة للجماهير العريضة. بيد أنه في فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين لم يخترهما أحد بإرادته، أصبح «المستشارون» المتنفذون غير الدستوريين معروفين للشخصيات السياسية. ومارسوا مهامهم بصورة علنية على أساس الصلاحيات التي منحت لهم، ولكونهم أصبحوا معروفين للرأي العام، فقد تقبّل ظهورهم بشكل سلبي وبـإذعان وقد اتضح على ما يبدو أن ازدراء «البروتوكولات» ضد «الغوييم — سواد الناس» مسوغ من قبل أؤلئك الذين يحكمون من وراء الكواليس، حتى عندما ظهروا على المسرح علناً. فعلى سبيل المثال، أصبح المستشارون المتخصصون بالشؤون اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية مقيمين بصورة دائمة في البيت الأبيض وفي المقرات الرئيسية الحكومية للقوات العسكرية الأميركية، وأصبح أحد أصحاب رؤساء الأموال (الذي أوصى علناً باتخاذ تدابير صارمة في إدارة السياسة الدولية) مستشاراً لعدد من الرؤساء في الولايات المتحدة الأميركية، حيث لقبته الصحف بلباقة «شيخ رجال الدولة النشطاء»، ورئيس الوزراء البريطاني الذي زار أمريكا، زاره وقابله وكأنه من رجال السلطة العليا.

ونشير مرة أخرى، إلى أن «البروتوكولات» تنبأت عن نظام هؤلاء «المستشارين» في ذاك الوقت، في الزمن الذي لم يكن أحد بعد يفهم ما يمكن أن يعني ذلك، ولم يصدق حتى أن بـإمكانهم أن يظهروا في مجالات حكومية وفي «المستويات العليا للسلطة».

لقد أكدت «البروتوكولات» أن أهم الأهداف يتمثل في القضاء على الطبقات الحاكمة (الأرستقراطية)، إن هذا المصطلح ملائم تماماً لظروف عام

١٩٠٥ ، والاستيلاء على الملكية الخاصة عن طريق تحريض «الجماهير» الفظة وعديمة الإحساس. وأظهرت الأحداث اللاحقة من جديد هذه التنبؤات «الموت المحتوم» بصورة أساسية ومثال على ذلك الإرهاب الشيوعي في روسيا «إنه من الضروري في السياسة الاستيلاء على أملاك الآخرين بلا تردد إذا كنا بهذه الوسيلة نستطيع إخضاعهم وامتلاك السلطة... إن كلمات، حرية مساواة أخوة، ساقت إلينا من كل أطراف العالم، أعداداً كبيرة من الناس انضموا إلى صفوفنا بفضل عملائنا العمي الذين يحملون لواءنا بحماسة، بينما هذه الكلمات كانت السوس الذي ينخر في رخاء الغوييم ويهدم في كل مكان السلم والهدوء والتضامن، وتنسف دولهم من أساسها، وسترون فيما سيأتي، أن هذه الأمور قد ساعدت على نصرتنا لأنها أتاحت لنا إضافة إلى امتيازات أخرى، وسيلة من الطراز الأول وهي إلغاء الامتيازات، أو بعبارة أخرى روح الأرستقراطية عند الغوييم، والتي كانت الوقاية الوحيدة للشعوب وللأحزاب ضدنا، وعلى أنقاض الأرستقراطية الطبيعية والموروثة أقمنا أرستقراطية طبقة المثقفين، أعني أرستقراطية المال، وقد أقمنا هذه الأرستقراطية باسم أرستقراطية الثروة التي تعتمد علينا وعلى التطور العلمي... وبما أن إقصاء ممثلي الشعب عن مناصبهم هو في يدنا، فإن تعيينهم هو أيضاً من اختصاصنا» البروتوكول الأول. «وسوف نتقدم نحن، كمنقذين للعمال لتخليصهم من هذا الضيم بدعوتهم للدخول في جيش اشتراكيتنا وفوضويتنا أو شيوعيتنا.. وبالفقر والكراهية اللذين ينجمان عن ذلك نحرض الجماهير على سحق كل الذين يقفون في طريقنا» البروتوكول الثاني. «سنجعل الجماهير الجاهلة تصدق كل قول مطبوع[١]! ، وتتأثر بالآراء المغلوط فيها التي أوحينا إليها بها وتبدي كراهية لكل الفئات التي نعدّها أرفع منها لأنها لا تدرك أهمية كل فئة... وستريق هذه الجماهير بسرور، دماء أولئك الذين تشبعوا بكراهيتهم منذ طفولتهم وينهبون أملاكهم، ولن يصيبوا جماعتنا بأذى لأننا سنكون على علم بوقت حدوث ذلك فنتخذ التدابير لحمايتهم. إن كلمة الحرية تضع كل مجتمع في صراع مع كل سلطة، حتى لو كانت سلطة الله أو

---

(١) ـ المقصود هنا مختلف المطبوعات من صحف ومجلات وكتب. المترجم ـ غ.ك.

الطبيعة، وحينما نغدو سادة فسوف نمحو هذه الكلمة من المعجم على اعتبار أنها رمز للقوة الغاشمة التي تحول الجماهير إلى حيوانات متعطّشة إلى الدماء، ومع ذلك فإن هذه الوحوش المفترسة تنام بعد أن تشرب الدم ويغدو قيدها بالأغلال سهلاً بينما إذا لم يعط لها دم فإنها لا ترغب في النوم بل تريد القتال» البروتوكول الثالث. «ومع ذلك يمكن أن تكون الحرية غير ضارة، وتبقى في برنامج الدولة، من غير أن تضر بالشعب إذا كانت لا تعبر إلا عن المعتقدات بالله والإيمان بالأخوة الإنسانية. لذا يجب علينا أن نقضي على كل الأديان وأن ننزع من عقول الغوييم الاعتقاد بالله وبالروح وأن نحل محلهما صيغاً حسابية وحاجات مادية » البروتوكول الرابع. «إن تحالف غوييم العالم ضدنا يمكن أن يؤدي إلى الغلبة علينا لوقت ما، ولكن اختلافاتهم المتأصلة في نفوسهم، والتي لايمكن نزعها، هي ضمان لحمايتنا لأننا قد زرعنا في نفوسهم بذور العداء القومي والشخصي وأثرنا البغضاء الدينية والعرقية فيما بينهم منذ عشرين قرناً، ولذا فلا تستطيع دولة الحصول على مساعدة من أي جانب، لأن كل دولة سوف تعلم بأن التحالف ضدنا ليس في مصلحتها، إننا جد أقوياء، ويجب أن يُحسب لنا حساب، ولا تستطيع دولة أن تعقد اتفاقاً حتى ولو كان تافهاً من غير أن يكون لنا فيه ضلع سراً، وللسيطرة على الأفكار العامة يجب سوقها نحو وجهة محيرة مرتبكة وذلك بطرقِ أفكار كثيرة متناقضة حتى يضل الغوييم طريقهم في هذا التيه ويدركون أنه من الأفضل ألا يكون لهم أي رأي في الأمور السياسية. إن مثل هذه الأمور يجب ألا تكون مفهومة من الشعب بل هي من شأن الحكام، وهذا هو السر الأول.

والسر الثاني اللازم للنجاح في الحكم يكمن في مضاعفة الأخطاء والأهواء والقوانين الوضيعة حتى يضيع المرء في متاهاتها بحيث لا يستطيع الناس أن يتفاهموا فيما بينهم، وهذه الحالة تساعدنا على بذر بذور الشقاق بين كل الأحزاب وتفتيت كل القوى الجماعية التي لم تزل تأبى الخضوع لنا، وعلى إحباط كل رأي فردي يستطيع بأية صورة أن يعترض سيرنا... وسوف نتعب الغوييم بهذه الوسائل حتى نجبرهم على أن يعرضوا علينا تولي حكومة العالم التي تمكننا بكيانها ذاته، من أن نحتوي على قوى حكومات العالم وفق إرادتنا من

غير أن ندمر شيئاً، وهكذا نقيم الحكومة العليا، ومكان الحكومات الحاضرة نقيم حكومة ضخمة يطلق عليها اسم إدارة الحكومة العليا، وسوف تمتد أيديها كالمخالب في كل اتجاه حتى يخضع العالم كله لنا». البروتوكول الخامس.

إن المهم لوقتنا الحالي وبشكل خاص في البروتوكولات هو أمر واحد فقط: تأكيدنا على أنها كُتبت قبل فترة طويلة من عام ١٩٠٥: «وفي الوقت الحاضر حينما تحتج أية حكومة ضدنا إنما تفعل ذلك صورياً وبناء على رغبتنا وبأمرنا، لأن العداء للسامية لازم لكي يتيح لنا مراقبة إخواننا المستضعفين» البروتوكول التاسع. إن طبيعة التوجهات العامة لعصرنا الحالي تعدّ توجيه اتهامات بـ «معاداة السامية» لهذه الدولة أو تلك، زد على ذلك إن أي دولة تُوَجَّه إليها التهمة تصبح تلقائياً عدوتنا في أي حرب لاحقة، إن هذه المكانة في «البروتوكولات» يجب أن تشغل بال المتنبه المراقب عن المرحلة الكاملة لظهور الأنباء غير المنتظرة عن «معاداة السامية» في روسيا السوفيتية أو في أي دولة أخرى.

إن تشابه «البروتوكولات» مع أعمال ويسهاوبت جلية بشكل خاص في الأماكن، المتعلقة بتغلغل المتآمرين في الأجهزة الحكومية، وفي مختلف المهن والأحزاب: «منا انطلق إرهاب لف العالم بأسره، إن كل الناس، من جميع الأفكار والمذاهب، في خدمتنا. أولئك الذين يودون إعادة الملكيات وأدعياء الوطنية والشيوعيون والطوباويون، لقد شغلنا الجميع وكل منهم يعمل على هدم آخر ما بقي من السلطة ويعمل على قلب الوضع الحاضر، وكل الحكومات لها نصيب من هذه الأعمال وتريد السلام، ولبلوغ ذلك فإنها مستعدة لتقديم كل تضحية، ولكننا لن نمنحهم السلام حتى يعترفوا علناً، وبقلب خاشع بحكومتنا العالمية العليا» البروتوكول التاسع.

وبالإشارة إلى تغلغل عملاء المؤامرة في مجال التعليم الشعبي، وبالأخص في الجامعات، انبثقت من «ويسهاوبت» أو من مصادر موجودة قبل ذلك بكثير أيضاً، والتي أخذ منها: سوف نغلق جميع الجامعات التي هي المراحل الأولية نحو الجماعية، وسوف نقيم مكانها أخرى بموجب مخطط جديد وسيكون مديروها وأساتذتها مطلعين على تفاصيل برامج العمل السرية، التي لا يستطيعون

أن يحيدوا عنها قيد أنملة، وسوف ينتخبون بعناية كبيرة، ويكونون مرتبطين بالحكومة مباشرة ارتباطاً وثيقاً» البروتوكول السادس.

وأصبح هذا التغلغل السري في الجامعات (كان النجاح للغاية، في أيام ويسهاوبت كما هو مبين في أعماله) شاملاً أكثر في زمن جيلنا، والأنموذج الحي لحصيلة هذه الأساليب كان شخصيتين مرموقتين من موظفي الحكومة البريطانية، فقد تم تقديمهما باحتفال مهيب لمراسلي الصحف العالمية في عام ١٩٥٦ بعد هروبهما إلى موسكو، حيث أكدا بعد ذلك، أنهما أصبحا شيوعيين في الجامعة تحديداً ومن السهل أن نرى أن هذا النجاح جاء نتيجة للأسلوب الوارد في «البروتوكولات» في بداية قرننا الحالي وفي أعمال ويسهاوبت في عام ١٧٨٧ .

وتتحدث مؤلفات «ويسهاوبت» عن الماسونية، كأفضل ستارٍ يستخدمه المتآمرون. وتنصح «البروتوكولات» أيضاً باستخدام «الليبرالية» لإخفاء مخططاتهم. «حينما زرقنا سم «الليبرالية» في جهاز الدولة تبدل نظامها السياسي كله وأصيبت الدولة بمرض فتاك هو تحلل الدم، ولم يبق إلا أن تلفظ أنفاسها الأخيرة» البروتوكول العاشر. وغالباً ما تسمي «البروتوكولات» الليبراليين» «خياليين حالمين» ويملك هذا المصطلح مرجعه الأول المشار إليه في «العهد القديم» على أن «الخياليين والحالمين » مثل «الأنبياء والكذابين» يستحقون الموت، لذلك يجب أن تكون نهاية الليبرالية واضحة لكل شخص، حتى لو أن «البروتوكولات» لم تشر تماماً بصراحة إلى ذلك «سوف نلغي الليبرالية» من كل مكان استراتيجي ذي أهمية تعتمد عليه إدارتنا في تربية رعاياها تربية اجتماعية» البروتوكول الخامس عشر.

إن نشوء نظام «أرفيلوف» الأخ الأكبر في قرننا الحالي، تنبئ به بدقة أيضاً كما جاء في نص «البروتوكول» التالي: «وسيكون لحكومتنا، بشخص حاكمنا، مظهر الوصاية الأبوية وسيراعي رعايانا فيها. إن مهمته السهر على تأمين جميع الحاجات» البروتوكول الخامس عشر. فعلى الجمهوريين أيضاً أن يلعبوا دور الستار للمتآمرين، وتنظر «البروتوكولات» بازدراء لجميع الجمهوريين وترى فيهم (كما في الليبراليين) أداة التدمير الذاتي، شكلتهم من «الغوييم، سواد الناس»: «من جراء ذلك، إن جاء زمن الجمهوريات وحلت محل الحكومات الحقيقية

صورة حكومات كاريكاتورية برئيس منتخب من قبل الشعب، أي من بين صناعنا أو عبيدنا، هذا هو نوع الحكم الذي فرضناه على الغوييم أو بعبارة أصح على شعوب الغوييم» البروتوكول العاشر.

وهنا فإن المؤلفين الذين كتبوا قبل ١٩٠٥ غير معروفين لنا، وقد وصفوا بدقة الأوضاع التي أحطّت من مكانة الرؤساء الأميركان في مطلع قرننا الحالي، وفي هذا المجال تبدأ بالكلمات التالية: «وسنجعل في مستقبل قريب من الرئيس موظفاً مسؤولاً» البروتوكول العاشر، سنوضح لاحقاً ماذا تعني المسؤولية الخاصة بخلافها عن المسؤولية المحددة بمراقبة دستورية، يجب أن يصبح الرؤساء من الذين تنبأت عنهم «البروتوكولات» سابقاً «رئيس الديكتاتوريين» وجعلت مهمتهم تقويض الضمانات الدستورية، وهم أنفسهم يجهزون كذلك «توحيد الجميع تحت سلطة سيادتنا»، وأصبح الرؤساء الأمريكان في الحقيقية خلال فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية بهذا المعنى رؤساء ديكتاتوريين تحت شعار: إن «الحالة الاستثنائية» ومهمات «الانتصار» تقتضي إقامة سلطة صارمة على المسؤولية الشخصية، وبطبيعة الحال، إن هذه السلطة يجب أن تكون قد عادت «للشعب» مجرد الانتهاء من «الحالة الاستثنائية». ويتذكر قراء الجيل القديم، كيف بدت هذه سابقاً بلا معنى، وحجم ردود فعل المجتمع السلبية تجاه جميع هذه العواقب.

وإضافة لذلك، تتحدث «البروتوكولات» في هذا المجال: «وسوف ينتخب مجلس النواب الرؤساء ويحميهم ويراقبهم، ولكننا سنحرمه من أن يقترح قوانين أو يعدلها لأن هذا الحق سنمنحه لرئيس مسؤول يكون دمية بين أيدينا... وفوق ذلك، سنعطي الرئيس حق إعلان حالة الطوارئ وسنعلّل هذا الامتياز بقولنا: بما أنه هو القائد الأعلى للجيش الوطني يجب أن يستعمل هذا الحق لكي يحمي الدستور الجمهوري الجديد الذي من واجبه حمايته، بوصفه الممثل المسؤول عن هذا الدستور، وفي هذه الحالة يكون مفتاح الأمور بأيدينا ولا أحد غيرنا يستطيع أن يدبر أمور السلطة التشريعية... وسوف يفسر الرئيس، بتأثير ما، كل القوانين الحاضرة تفسيراً مبهماً يمكن فهمها على أشكال مختلفة، وفوق ذلك فإنه يلغيها حينما نطلب إليه ذلك، ويكون من حقه أيضاً أن يقترح قوانين مؤقتة، وتعديلات على سير الدستور بحجة الحفاظ على رخاء البلاد وسعادتها... وهذه التدابير

ستسمح لنا بالقضاء رويداً رويداً على كل ما هو خلاف حقوقنا. لقد اضطررنا أن ندخل في كيان الدول تدابير انتقالية لإفراغها تدريجياً من كل الدساتير مع مرور الوقت الذي يسمح لنا بجمع كل الحكومات تحت سلطتنا المطلقة» البروتوكول العاشر.

لقد سوّغت هذه التنبؤات في ١٩٠٥ (أو حتى في تواريخ سابقة) ما أشار إليه «اللورد سايدنهم» تحديداً على أنه «الموت المحتوم» الذي تنبأت عنه «البروتوكولات». لقد عمل الرؤساء الأميركان في الحربين العالميتين الأولى والثانية وفقاً للوصفات المكتوبة لهم، ومنحوا أنفسهم الحق في إعلان وقيادة الحرب، وقد استخدموا هذا الحق مرة واحدة على الأغلب بعد الحرب العالمية الثانية ضد «كوريا». وجميع المحاولات في الكونغرس وخارجه لحرمانهم من هذه السلطة أو الحد منها اصطدمت بمقاومة عنيفة.

إضافة لذلك، تكتب «البروتوكولات» أن شعوب العالم، تسير «من خيبة أمل إلى أخرى» ولا تنال «قسطاً من الراحة» وأي دولة «تتجرأ على الوقوف ضدنا، فسنعلن الحرب عليها، وأي معارضة جماعية لليهودية فسيؤدي ذلك إلى «حرب شاملة» ولا يسمح للشعب «النضال ضد الفتن» (ومن هنا، فإن الهجوم العنيف على «متطلبات البحث» إن كان ذلك في عام ١٧٩٠ أو في عام

---

(١) ـ لم يشهد التاريخ حملة حقيقية أو مفتعلة ضد ما سميت «الساحرات» مثلما شهدته أوروبا في القرون الوسطى، التي كان سجلها حافلاً بأحكام قاسية بحق أعداد غفيرة من النساء تحت طائلة هذه التهمة. ويذكر أن أول محكمة رسمية في القرون الوسطى لما سُمّيَ «الساحرات» جرت في أورليان عام ١٠٢٢ م زعم أن المتهمة كانت تمارس طقوساً عربيدية سرية في الليل لاستحضار الأرواح الشريرة، وقتل الأطفال وحرقهم. وكان تأريخ آخر المحاكمات ضد الساحرات جرى في بريطانيا عام ١٦٨٤ وأميركا في ١٦٩٢ ، واسكتلندا في ١٧٢٧ ، وفي فرنسا في ١٧٤٥ ، وفي ألمانيا في ١٧٧٥ .

ومع كثرة التفاسير لظاهرة مطاردة الساحرات، إلّا أن هناك مدرستين أساسيتين هما المدرسة العقلانية والمدرسة الرومانسية. ويمكن عدّ المدرسة الأولى محاولة لتقديم تفسير علمي لهذه الظاهرة، في حين توصف الثانية بأنها انثروبولوجية. فالأولى ـ العقلانية ـ تنفي وجود ساحرات شيطانيات، أما الثانية فتؤكد وجود «ساحرات» بهذا الشكل أو ذاك في مرحلة ما يسمى ملاحقة الساحرات الشيطانيات.

في القرن الخامس عشر حثّت محاكم التفتيش البابا إنوسنت الثامن على إصدار أمره ←

١٩٢٠ أو حتى في يومنا هذا، فسنتهمه بـ «مطاردت الساحرات»[١] أو «الماكارتيزم»[١]... الخ). وفي «الحكومة العليا» اليهودية مستقبلاً، يجب على كل عضو في الأسرة أن يشي بالآخر المشكوك في تفكيره، المخالف للعرف (غير اللائق حسب مفهومهم)، (لقد تمت الإشارة سابقاً إلى أوامر العهد القديم)، وبطبيعة الحال لا تجبر نفسك على الانتظار «ليتم القضاء على الدين المسيحي بشكل نهائي» وسنجرد الشعب من شكوكه الوخيمة، وأسئلته المحرجة عن طريق إيجاد التسلية المبتذلة (قصور الثقافات) ومن ثم نخدعه نهائياً، ونعيد كتابة التاريخ من جديد (بعد تحقيق أمر آخر حرفياً في الحياة في روسيا السوفيتية) «وسنمحي من ذاكرة البشر جميع أحداث التاريخ الماضي غير المرغوب بها من قبلنا، وندع تلك الأحداث التي تنقش أخطاء حكوماتهم الماضية» البروتوكول الرابع عشر. وهاهو الوضع عملياً في «الدول الاشتراكية» أما فيما يخص الغرب المعاصر فإنه في طور التصنيع، كما كتب مؤلفو «البروتوكولات» «وكل أدوات آلية الحكم وفي جميع الدول تعمل بمحرك واحد نحن وحدنا نملكه، وهذا المحرك هو الذهب» البروتوكول الخامس.

وقد أصبحت النهاية معروفة مسبقاً «وأنه من اللازم ألا يكون في جميع البلدان أحد خارجاً عنا، إلا الجماهير البروليتارية، ويصبح أصحاب الملايين

← البابوي الشهير في ١٤٨٤ الذي خوّل اثنين من رجالات محاكم التفتيش بالقضاء على السحر في ألمانيا. وبعد مرور عامين على ذلك التاريخ أصدر هذان الرجلان الدومينيكانيان أول موسوعة مطبوعة كبيرة عن «الأعمال الشيطانية» بعنوان «مطرقة الساحرات» كانت المحرض الأساسي للحملة ضد الساحرات التي دامت قرنين وجرت مطاردت الساحرات في كل من ألمانيا وبريطانيا واسكتلندا وفرنسا وبولونيا وأمريكا وسويسرا وفنلندا وأستونيا وروسيا وهولندا وهنغاريا واسبانيا. وإن كانت المطاردة بمستويات مختلفة في كل بلد من هذه البلدان، فكانت في أطراف أوروبا أضعف مما هي عليه في وسط أوروبا، حيث تم حرق وإعدام مئات النساء في ألمانيا وسويسرا وبولندا. نقلاً عن صحيفة «الشرق الأوسط» العدد ٧٠٦٣ ، تاريخ ٣١ ــ ٣ ــ ١٩٩٨ ص ١٥ . المترجم. غ. ك.

(١) ــ جوزيف رايموند ماكارتي /١٩٠٨ـ١٩٥٧/ رئيس لجنة مجلس النواب لشؤون الحكومة وهيئاتها، قام بحملة ملاحقة القادة التقدميين والمنظمات التقدمية، وهو من أنصار سباق التسلح والحرب الباردة، ومصطلح الماكارتيزم تعني في المفهوم السياسي ــ السياسة الرجعية. المترجم ــ غ.ك.

مخلصين لنا، وشرطة وجيشاً» البروتوكول السابع. «قد يمكن أيضاً أن يُعترف بحكمنا المطلق قبل إلغاء الدستور ويتم ذلك حينما يقوم الشعب الحانق بسبب الفوضى وعدم كفاءة حكامه، ويصرخ، مدفوعاً بنا، اقبلوهم وامنحونا حاكماً عالمياً يوحدنا ويلغي أسباب الفرقة ويلغي الحدود الدولية والدين وديون الدولة، ويعيد السلام والاطمئنان اللذين لا نستطيع الحصول عليهما عن طريق حكامنا ونوابنا» البروتوكول العاشر.

أثناء ترجمة المؤلف «دوغلاس ريد» لعدد من البروتوكولات رأى ضرورة استبدال كلمة «الشعب» أو «الجماهير» بكلمة «الغوييم» لأن كلمة «الغوييم» لها معنى، وكانت تشير إذا استخدمها إلى أصل المؤلفين الذي جاء في العنوان الشامل للبروتوكولات غير أنه لا يمتلك برهاناً لذلك، ولايريد المؤلف الخلط بين قضيتين مختلفتين. يجب البحث عن برهان لأصول مؤلفي «البروتوكولات» في مكان آخر، فعدم وجود إثبات لايبعث على الرضى ويمكن أن يكون المؤلفون يهوداً، أو غير يهود أو من المعادين لليهود، فهذا لايلعب دوراً جوهرياً، وفي لحظة طباعة هذا الكتاب «جدل حول صهيون» لم يكن قد تم وضع سيناريو المسرحية بعد، والآن بعد أن كانت هذه الدراما قد عرضت خلال خمسين سنة (كتبت في عام ١٩٥٥ ـ المترجمون الروس) وعنوانها «القرن العشرون» ما زالت شخصيات هذه المسرحية تؤدي الأدوار المطلوبة منها على المسرح المعاصر، وتحقق التنبؤات لسيناريو الأحداث.

ويبقى أن ننتظر النهاية: الإخفاق أو الانتصار النهائي للمؤلفين. إن مخططهم مشروع حقيقي، حسب رأي المؤلف «دوغلاس ريد»، لكن انجازه غير ممكن، هذا المخطط وجد منذ ٢٠٠ سنة، ومن المحتمل، أكثر من ذلك، وتعد «البروتوكولات» إحدى الحلقات في سلسلة البراهين الطويلة التي مازالت تزداد كثيراً لتاريخه أيضاً. إن المؤامرة لتحقيق السلطة العالمية عن طريق إقامة دولة العبيد موجودة ووصلت الى تلك المرحلة التي، لم يعد يجوز إيقافها فجأة ولكن يجب أن تسير إلى الامام لتحقيق الانجاز الكامل أو الاخفاق، وكلا هذين الاسلوبين سيكون لهما عواقب وخيمة مدمرة، وأما لحظة النهاية، فسيتغلب عليها المعاصرون، مهما كانت هذه النهاية.

الثورة العالمية تخطو إلى الأمام

ربما كانت أحداث انتصار البلشفية في روسيا، والصهيونية في إنكلترا، في وقت واحد، وخلال الأسبوع نفسه في خريف عام ١٩١٧ مستقلة إحداهما عن الأخرى ظاهرياً. كان قد تبين في الفصول السابقة مصدرهما الوحيد، والذين أوصلوا الصهيونية إلى الحكومات الغربية، هم من ساند قوى الثورة العالمية: ونشطت القوتان، باتباعهما عقيدة الشريعة القديمة: «التدمير والابادة... والسلطة فوق جميع شعوب الأرض» فالأولى دمرت في الشرق، وحكمت الثانية سراً في الغرب[1].

اثبت عام ١٩١٧ صحة تقويم الثورة العالمية بقاعدتها عام ١٨٤٨ من جهته اشار دزرائيلي إلى أن اليهود وقفوا على رأس جميع الجماعات السرية بلا استثناء، وحاولوا القضاء على المسيحية. إن المجموعة الحاكمة التي ظهرت على المسرح في روسيا عام ١٩١٧ في ظل هيمنة اليهود كانت «مسيطرة جداً»

(١) ـ تحدثت د. عائشة عبد الرحمن عن اسرائيل قائلة: ما تصورت من قبل وأنا اوغل في الكشف عن ذرائع الاسرائيليات في الغزو الفكري ـ ان الشيطان نفسه يمكن أن يصل إلى ذلك المدى الرهيب من حيث الشر ومكر الحيلة والدهاء، ولاخطر على بالي ان عصابات اليهود والمشردين كانوا وراء ما نكبت به البشرية في العصر الحديث، من اهوال الحروب وعواصف الفتن والفوضى والانحلال والالحاد وأنهم ينفذون مؤامرة رهيبة للسيطرة على العالم كله. /٢٦/ نقلاً عن كتاب للدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ الاسرائيليات في الغزو الفكري معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة /١٩٧٥/ وواضح أن الكتاب هو تجميع للمحاضرات التي كانت تلقيها قبيل صدور الكتاب بسنوات في معهد البحوث والدراسات العربية. المترجم ـ غ.ك.

لدرجة يمكن أن نسميها بلا تحفظ بالحكومة اليهودية[1]. في هذه اللحظة انتقلت طبيعة القوى المحركة من مواضيع مختلف عليها في النقاشات السياسية إلى حقائق تاريخية واضحة. وفي معرض تأكيداته اللاحقة عثر المؤلف «دوغلاس

(١) ـ وتشكلت الحكومة في /٧/ تشرين الثاني ١٩١٧ تحت رئاسة تروتسكي وعضوية زينوفييف واورتسكي وسوفردلوف، وفايرمان وميخائيل ودشنت هذه الحكومة باكورة أعمالها بإصدار قرار يمنح اليهود بموجبه كافة الحقوق السياسية دون قيد أوشرط، «لاشك ان روسيا كانت بحاجة لنظام يحقق العدالة الاجتماعية، ويخفف من وطأة الفقر والمرض والجهل عن كاهل الشعوب هناك، أمّا الفئة الضالة التي تنكرت للحق والمنطق، فكان الشعب يستعجل التخلص منها ومن العائلة القيصرية الغبية، بمجرد ان تتاح له الظروف المواتية، لكن الشيء غير المفهوم لنا، ، هو ان تعمد الطبقات الكادحة، إلى الاقتتال فيما بينها بعد ان عانت في ظل العهود القيصرية، ولاقت المصير الأسود نفسه، وناضلت معاً للخلاص من الزمرة القيصرية، وان تترك اليهود بعد قيام الثورة يسرحون ويمرحون في البلاد الروسية، دون ان يمسوا بأذى، بعد ان كان اليهود قد ساهموا في امتصاص دماء الشعب الروسي في العهود البائدة، فمرد ذلك يعود إلى أن الزعامة اليهودية للثورة هي من حمت أبناء الطائفة اليهودية. المترجم ـ غ.ك.

فكم شهدت قاعات الكرملين المجرم تروتسكي يثور فيها ويعربد ويهدد رفاقه في المجلس ويؤكد لهم تطرفه في خدمة الثورة والشعب الروسي (كبش الفداء) وكم مرة رآه الناس وهو يخرج منتصراً على الأعضاء الذين كانوا يطالبونه بمعاملة المواطنين الأبرياء بقليل من الرحمة والشفقة، وكم من مرة سمعه الناس وهو يرفع عقيرته بزملائه قائلاً: ان الدواء الوحيد للتخلص من البرجوازية هو الشدة والقسوة. وأن الوسيلة الفريدة لاستئصال جذورها هي ذبحها وإفناؤها. وأن الرحمة والشفقة معها سوف تهيّئ لها ظروف الاتصال مع البرجوازية الغربية والتحالف معها ومن ثم انقضاضها علينا وعلى ثورتنا، ولهذا يجب إفناؤها وأن من لايؤمن منكم بنظريتي هذه، فهو إما فاقد العقل والبصر وإما مخادع يجب إعدامه حالاً. ولكن القدر أبى إلا أن يظهر تروتسكي وجماعته على حقيقتهم، وانكشفت خيانتهم واتصالهم بالغرب وتآمرهم على الشعب الروسي وتواطؤهم مع الرأسمالية اليهودية، فسارعت الحكومة السوفيتية إلى الحد من سيطرتهم، فهرب تروتسكي من البلاد وأبعد زينوفييف وسلانسكي عن الحكم واحيلوا إلى القضاء وطهرت أجهزة الجيكا «c.p.a» من المشتبه بهم واعتقل رئيسها يوكودا وأودع إحدى الزنزانات حيث قضى نحبه غير مأسوف عليه». وعين بيريا اليهودي الصهيوني بدلاً من يوكودا، الذي قام بتوسيع نشاط البوليس واعتقل الأبرياء من الفلاحين والعمال بحجة مناوأتهم للنظام الجديد، وقتلهم في اعماق السجون، ودون أن يشعر بهم احد، مثل الجنرال كوتيبوف الذي اختطف وقتل جزاء انتقاده لتروتسكي، ويقول الكاتب والمؤرخ السوفيتي الراحل يفغيني يفسييف: باستخدامهم الصحافة وعملهم وسط الكتاب السوفيات كانوا يتزعمون الهجوم على ستالين وتشويه كل فترة قيادته للحزب والدولة ويحاولون إلقاء كامل المسؤولية في خرق القوانين والإرهاب والمحاكمات القضائية للسنوات الثلاثين من حكمه على عاتقه بالذات وفي الوقت نفسه يتسترون جيداً على ←

ريد» في ممارساتهم: في طبع تدابيرهم الأولى وفي تهكمهم على العقيدة المسيحية. وفي المؤلفات الخاصة لقادة ومنفذي عملية اغتيال القيصر. وعكست هذه الممارسات الطبيعة الدامغة للثأر التلمودي.

لقد حاولت الأطراف المعنية خلال عشرات السنين اللاحقة اخفاء وقائع معينة لاغبار على صحتها عن الرأي العام. مفندة النقد الواضح، بالرغم من أن هذا النقد غير مؤكد لجميع محاولات تحليل سير الأحداث التاريخية. وكان الكاتب اليهودي «جورج سكولسكي» في أمريكا في عام ١٩٥٠ جديراً تماماً لأن ينقد أحد الكتب التي استشهدنا بها سابقاً، حيث كتب يقول: «لدى قراءته ليس من السهل ألّا نخرج بنتيجة على أن البروفيسور «بيتا» حاول أن يبين أن الشيوعية ـ هي حركة يهودية». وما يتعلق بالقيادة الشيوعية، لقد كانت فعلاً كما وصفها «بيتا» حتى قبل فترة طويلة من عام ١٩١٧ (وسنوضح كيف جرت الأمور فيما بعد حتى وقتنا الحالي في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب) ونحن لا نريد القول: بأنها كانت مؤامرة جميع اليهود، وفي هذه الحالة لم تكن الثورة الفرنسية والفاشية والحزب القومي ـ الاشتراكي مؤامرة جميع الفرنسيين والإيطاليين أو الألمان، لقد جاءت القوة المنظمة والقيادة من بين الذين وقعوا تحت تأثير التلمود وسط التجمعات اليهودية في روسيا، وكانت الشيوعية بهذا المعنى، وليدة اليهود الشرقيين بلا نقاش.

← «الكاردينال المتخفي» لتلك المرحلة «لازار كاغانوفيتش» (اليهودي الصهيوني والمساعد الأيمن لستالين) ورئيس الشرطة السرية والمباحث «لافرنيتي بيريا» «وليون ميخايلس» الصهيوني السابق، ومن ثم مساعد ستالين ورئيس الإدارة السياسية للجيش الأحمر والأسطول البحري، ويضعونهم في الظل خارج حدود النقد، وفي سنة ١٩٥٣ وهي السنة التي توفي فيها ستالين، توفي ميخايلس أيضاً ولايزال وعاء رماد هذا الصهيوني السابق محفوظاً في جدار الكرملين، وفي السنة نفسها أعدم الخائن «بيريا» رمياً بالرصاص (كان عميلاً للمخابرات البريطانية) ولكن إلى الآن يعيش متقاعداً «لازار كاغانوفيتش» المتهم بتحطيم الآثار الحضارية القيمة للشعب الروسي، وأولها كاتدرائية «المسيح المخلص» علامة انتصار الشعب الروسي على نابليون في الحرب الوطنية عام ١٨١٢ هؤلاء الأشخاص الملطخة أياديهم بدماء الكثيرين من خيرة أبناء الشعب الروسي، يحاول الصهاينة التستر عليهم من الفضيحة ويجنبونهم النقد قدر المستطاع». عزيزي القارئ ليست لدي رغبة بتوجيه التهم إلى النظام الاشتراكي السوفيتي السابق ولا إلى الحزب الشيوعي فيه، لكن ماعرضته هو بهدف كشف وتبيان الحقائق التي تحدث عنها المؤلف دوغلاس ريد، ومهما حاولنا إخفاء الحقائق غير ان مسألة الانتقام اليهودي من الشعب الروسي كانت قائمة ومازالت لليوم. المترجم ـ غ.ك.

لقد بينت أهداف ثورة عام ١٩١٧ بوضوح أنها لم تكن حادثة عرضية، بل كانت «الانفجار» الثالث، أشعلتها القوى البركانية لتلك المنظمة التي كشف عنها في أعمال «ويسهاوبت» وأتباعه التنويريين حينها، لقد كشفوا أنفسهم بكلتا الصفتين المميزتين الأساسيتين لمراحل هذا «الانفجار»: القضاء على جميع الحكومات الشرعية أيّاً كانت والدين أيضاً. لقد أصبح من الصعب تأييد الخرافة بعد عام ١٩١٧ وكأن جميع الثورات كانت موجهه ضد «الملوك» وسياسة السلطة الروحية ضد «القيصر والبابا» فقط. وأصبح ذلك واضحاً بصورة كافية لإحدى الشخصيات الحكومية المتنفذة في تلك الفترة وهو «ونستون تشرشل» الذي كان يتبع في ذاك الوقت تقاليد «ادمون بيرك» و«جون ربيسون» و«جورج واشنطن» و«الكسندر هاملتون» و«دزرائيلي»، حيث كتب تشرشل في عام ١٩٢٠ يقول «يبدو أن الدعاية المخطط لها مسبقاً ضد إنجيل يسوع وضد يسوع بالذات ولدت في أعماق ذاك الشعب نفسه، هذا العرق الغامض والخفي الذي اختير ليكون ظاهرة فريدة كما هي إلهية كذلك هي شيطانية... ابتداءً من «سبارتاك ـ ويسهاوبت حتى «كارل ماركس» وانتهاء بـ «تروتسكي» في روسيا، و«بيلي كونا» في هنغاريا و«روزا لوكسمبورغ» في ألمانيا و«ايمي غولدمان» في الولايات المتحدة الأمريكية»، هذه المؤامرة العالمية مستمرة في النمو لسحق الحضارة وإعادة المجتمع إلى البدايات الأولى للتقدم، إلى فرض الحسد والغيرة والحقد وعدم المساواة. وكما هو واضح بينت الكاتبة المشهورة المؤرخة المعاصرة «نيستا بيستر» قائلة: لقد لعبت المؤامرة دوراً بارزاً في تراجيديا الثورة الفرنسية، كانت اللولب الرئيسي في جميع الحركات التخريبية للقرن التاسع عشر، وفي النهاية أمسكت هذه الطغمة من الشخصيات غير العادية، ومن حثالة المدن الكبيرة في أوروبا وأمريكا الشعب الروسي من شعره وقبضت بكلتا يديها عليه، وأصبحت بلا شك المالك الحقيقي عملياً لأمبراطورية مترامية الأطراف، ولاحاجة بنا للمبالغة عن دور هؤلاء الأمميين وقسم كبير من اليهود الفاحشين في تأسيس البلشفية وصنع الثورة الروسية، وبلا شك كان دورهم كبيراً جداً، ومن المحتمل أن دورهم فاق دور الآخرين في أهميته.

هذا النداء (تم نشره في مقالة كما جاء في الصاندي هيرالد المصورة «Illustrated Sunday Herald» في ٨ شباط عام ١٩٢٠) المعبر عن النهج

السياسي لتلك الأيام كان آخر نداء علني بهذه المسألة، والذي استطاع مؤلف هذا الكتاب أن يكشفه. حيث تم بعدها حظر جميع أشكال المناقشة العلنية في هذا الموضوع، وخيّم عليها صمت عظيم مازال مستمراً حتى أيامنا هذه. ولم يسمح تشرشل في عام ١٩٥٣ (بالطلب وفقاً للدستور الإنكليزي) للمؤلف دوغلاس ريد تصوير هذه المقالة، ولم يشرح أسباب رفضه لذلك.

إن حقيقة القيادة اليهودية للثورة الروسية، احتلت أهمية من الدرجة الأولى، في حين لعب السكوت اللاحق عنها دوراً عظيماً في إضعاف الغرب، في الوقت الذي كان بإمكان النقاشات العلنية أن تساعد على تنقية الأجواء السياسية. إذ من غير الممكن انتهاج أي سياسة حكومية سديدة في حال استثناء العوامل الهامة للحياة السياسية عمداً من المناقشة العلنية، ويعد ذلك بمنزلة اللعب في لعبة البلياردو بعصا منحنية وكرات بيضوية. إن قوة وتأثير المؤامرة، تجلتا بوضوح بما حققته من نجاح في ظل هذا الصمت المريع (كما كان في حينه، على سبيل المثال، قمع ربيسون وباريول وموريس وآخرين) أكثر مما هي في وقت آخر.

لقد كانت الحقائق في تلك السنوات سهلة المنال. ويشهد «الكتاب الأبيض» المطبوع عام ١٩١٩ من قبل الحكومة البريطانية (حول تقسيم روسيا ومجموعة تقارير عن البلشفية تحت رقم ١) على التقارير الموجهة من قبل السفير الهولندي في بطرسبورغ «أودنديك» إلى «بلفور» في لندن في عام/١٩١٨/ جاء فيها: «إن البلشفية نظمت وتأسست من قبل اليهود، ولايوجد فيها قوميون (من الروس) وهدفها الوحيد تخريب النظام القائم لمصلحتهم الشخصية»[1]. وهذا ما كتبه أيضاً السفير الأمريكي في روسيا «دافيد.ر. فرنسيس» حيث كتب يقول: «إن الأغلبية العظمى من القادة البلشفيين يهود، ونسبة ٩٠٪ منهم عادوا من المنفى ولا تهمهم روسيا إطلاقاً ولا أي دولة أخرى، فهم أمميّون منظّمون لثورة

(١) ـ حين قيام الثورة في روسيا، امرت هولندا وزير خارجيتها السيد أودنديك باعلام انكلترا بتفاصيل المؤامرة اليهودية، ولقد أرسل أودنديك تقريراً مفصلاً عن الموضوع إلى وزير الخارجية الإنكليزي جاء فيه: «إني اعتبر القضاء على الثورة الروسية أكثر أهمية للعالم من كسب الحرب الحالية، ولذا أقترح ايقاف الحرب حالاً وتوجيه اهتمامنا جميعاً إلى روسيا والقضاء على ثورتها، لأن هذه الثورة إن تمكنت من ترسيخ جذورها في البلاد الروسية فسوف تكون وبالاً على العالم اجمع لا لكونها اشتراكية ولا لأنها روسية، بل لكونها ←

اجتماعية عالمية» لقد اختفى تقرير «أودنديك» من النشرات الرسمية البريطانية اللاحقة، وكان من الصعب العثور على النسخة الأصلية لهذا التقرير لتاريخه، ولكن لسعادة المؤرخين فقد تم المحافظة على شاهد آخر للأحداث، مع مجموعة من الوثائق الرسمية.

لقد كان هذا الشاهد هو ـ «روبرت ولتون»، مراسل صحيفة «التايمز» الذي عايش بشكل شخصي أحداث الثورة البلشفية وكتبه التي أعيدت طباعتها بالفرنسية تضمنت اللوائح الرسمية لأسماء قادة الهيئات البلشفية (ولكن تم حذف هذه اللوائح من كتبه بالطبعة الإنكليزية). ويتضح من هذه الوثائق، أن اللجنة المركزية للحزب البلشفي (المكتب السياسي)، أي السلطة العليا في الدولة، تشكلت من ثلاثة من الروس (بمن فيهم لينين) وتسعة من اليهود، وفي اللجنة المركزية التنفيذية ـ يعني هيئة الدولة لاحقاً، تألفت من /٤٢/ يهودياً و/ ١٩/ روسياً، وواحد من لاتفيا وواحد جورجي وآخرين، وفي مجلس مفوضية الشعب أحصى /١٧/ يهودياً و/٥/ شخصيات من القوميات الأخرى، وقاد اللجنة الاستثنائية في موسكو /٢٣/ يهودياً، و/١٣/ من القوميات الأخرى ومن بين /٥٥٦/ قائداً بلشفياً، الذين نشرت اسماؤهم تحديداً بشكل رسمي خلال أعوام ١٩١٨ ـ ١٩١٩ كان / ٤٤٨/ يهودياً، وفي اللجنة المركزية للأحزاب

← يهودية خالصة، تسيّر من قبل اليهود، ووفق ارادتهم، ونجاحها لن يكون إلا لمصلحة اليهود وحدهم، وإذا قدر لهم السيطرة على الروس، فسوف يعمدون إلى توسيع نفوذهم وتحقيق برامجهم. إن هؤلاء اليهود الذين لا وطن لهم يسعون منذ اقدم العصور لتدمير الشعوب الأخرى ليقيموا على انقاضها مجدهم الذي يحلمون به، فالحذر الحذر، ولا تجنحوا إلى القول ان هذه الفئة القليلة العدد من اليهود لن تتمكن من السيطرة على روسيا العظيمة فكيف لها ان تتحكم في العالم باسره، انتم أدرى من سواكم بكيفية تحكم بضع مئات من الإنكليز بالقارة الهندية منذ عدة أجيال رغم ان الهند تحوي اكثر من ثلاثمئة وخمسين مليوناً من البشر فلماذا يكون مستحيلاً على اليهود، ما هو ممكن للإنكليز. ولذا أرجو ألّاتنكروا هذه الحقيقة الناصعة، وأن تتيقنوا من وجود الخطر اليهودي على العالم وأخيراً أكرر رجائي بان تولوا الموضوع الأهمية اللائقة به، وتعلمونا قراركم. التوقيع اودنديك». (هل غاب عن بال وزير خارجية هولندا اودنديك بان وزير خارجية انكلترا آنذاك بلفور اليهودي هو من اصدر وعده الشهير الذي سمي «وعد بلفور» المشؤوم أم ان المسألة مجرد توزيع ادوار، لتغيب الحقيقة عن الشعوب الأوروبية؟! ولاندري ان كان السيد أودنديك قد حصل على رد يتعلق بقرار السيد بلفور أم أنه سمع بنبأ الوعد لليهود عبر وسائل الإعلام؟. المترجم ـ غ.ك.

الصغيرة المعارضة «الاشتراكيون وآخرون في بداية المرحلة الأولى من السلطة سمح للبلشفيين بمشاركة بعض الشخصيات «المعارضة» بهدف الكذب على الشعب الذي اعتاد على ذلك من خلال معارضة الأحزاب للقيصر، أحصي عدد /٥٥/ يهودياً و/ ٦/ آخرين. وقد وردت أسماء الشخصيات تحديداً في الوثيقة الأصلية المطبوعة في كتاب ولتون المذكور (الجدير بالذكر، ان التشابه كان واضحاً في تركيبة اثنتين من الحكومات البلشفية المؤقتة خارج روسيا ـ في هنغاريا وبافاريا). ولدينا احصائية أخرى مفصلة تبين لنا مدى السيطرة اليهودية على الثورة البلشفية. المترجم ـ غ.ك[1].

---

(١) ـ

الجهة	اليهود	غير اليهود	المجموع
أول حكومة بعد الحرب	١٧	٥	٢٢ وزيراً
إدارة شؤون الحرب	٣٤	٩	٤٣
لجنة الشؤون الداخلية	٤٥	١٩	٦٤
لجنة الشؤون الخارجية	١٣	٤	١٧
لجنة الشؤون المالية	٢٦	٤	٣٠
لجنة الشؤون القضائية	١٨	١	١٩
لجنة الشؤون الصحية	٤	١	٥
لجنة التوجيه العام	٤٤	٩	٥٣
البناء والتعمير	٢	٠	٢
الصليب الأحمر الروسي	٨	٠	٨
إدارة الأقاليم	٢١	٢	٢٣
شؤون الصحافة	٤١	١	٤٢
لجنة التحقيق عن الموظفين	٥	٢	٧
لجنة التحقيق عن ذبح القيصر وأسرته	٧	٣	١٠
مجلس الاقتصاد الأعلى	٤٥	١١	٥٦
مكتب العمال والجنود في موسكو	١٩	٤	٢٣
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتي الرابع	٣٣	١	٣٤
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتي الخامس	٣٤	٢٨	٦٢
اللجنة المركزية للحزب (المكتب السياسي)	٩	٣	١٢
المجموع	٤٢٥	١٠٧	٥٣٢

نقلاً عن كتاب «الحلف غير المقدس» حسام جزماتي، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب ١٩٩٧ ، ص ٦٠ . من يعثر على هذه الإحصائية الدقيقة فلن يثار لديه شك حول التغلغل اليهودي في أجهزة الدولة السوفياتية. المترجم غ. ك.

لقد بذل «ولتون» جهداً كبيراً لإطلاع القارئ الإنكليزي حول ما يجري في روسيا ولكن للأسف، لم يُقدر حق قدره، ولكنه استطاع أن يحبط الملاحقة التي تعرض لها، وتوفي مبكراً عن عمر لم يناهز الـ/٥٠/ سنة (من أحد الوفيات الكثيرة التي تحصل قبل الأوان) انه بشكل عام لم يبحث عن الشهرة، وقد وصف الأحداث الهامة بشكل عظيم، وإذا صادفك هذا الوضع يوماً ما في طريق مهنتك الصحفية، فستتأكد بأن هذه الأحداث داهمته شخصياً. لقد تربى وحصل على التعليم في روسيا، وعرف روسيا جيداً، وتحدث بلغتها، مما جعله يحظى باحترام في الأوساط الروسية كما في السفارة البريطانية. لقد راقب الاضطرابات التي اندلعت في بطرسبورغ عبر نافذة مكتب «التايمز» المجاور لإدارة الشرطة، المكان الذي هرب إليه وزراء النظام المنهار، لقد تسنى له مابين فترة ظهور الحكومة العالمية ربيع عام ١٩١٧ والاستيلاء على السلطة من قبل البلشفيين في اكتوبر من نفس العام، أن ينقل الأخبار عن ظاهرة جديدة كلياً في السياسة الدولية: استيلاء اليهود على السلطة، وإقامة سلطة استبدادية في روسيا، وقيادة علنية لقوى الثورة العالمية. واقتنع بسرعة بأنه لن يتاح له نقل الأخبار بصدق عمّا يجري هنا.

إن هذا التاريخ الذي كُتِبَ بصدق غير متوقع، مازال غير معروف إلى الآن في التاريخ الرسمي لصحيفة «التايمز»، الذي ظهر في عام ١٩٥٢ ، وفضح آلية الأعمال السرية التي حدثت في عام ١٩١٧ بهدف تلافي أي تسرب للحقيقة عن الثورة الروسية إلى الغرب. وقد ثمن عالياً هذا الكتاب ريبورتاجات «ولتون»، ومكانته كمراسل في روسيا قبل عام ١٩١٧ وتغّيرت لهجة الأنباء عنه بصورة حادة بعد ذلك. إن تحذيرات «ولتون» المبكرة عما تنتظره روسيا من أحداث في عام ١٩١٧ كما هو مكتوب في تاريخ «التايمز»، «لم تؤثر لحد ما على الخط السياسي للصحيفة، لأن مؤلفها لم يتمتع بثقة مطلقة».

لماذا حصل هذا فجأة، ولم يعد «يتمتع بثقة مطلقة» مع أن أعماله السابقة وسمعته كانت ممتازة لدرجة كبيرة؟ لقد توضحت الأمور بسرعة، وأصبح ولتون يتذمر من أن أخباره يطرأ عليها تعديل ولا تطبع أحياناً، وبدؤوا بعدها طباعة مقالات عن روسيا في «التايمز»، مكتوبة من قبل المحررين الذين يملكون تصورات

وقد استمر «ولتون» في النضال بعض الوقت، محتجاً ضد التعتيم والتحريف لمقالاته، وقد كتب بعد ذلك في كتابه (خلال خدمته الأخيرة بصفتة الصحفي الشريف) كل ما عرفه لذلك الوقت، مبيناً وواصفاً دور النظام، حيث كشف عن جوهره الحقيقي: إن قانون «معاداة السامية» ما هو إلا لملاحقة المسيحيين والقضاء على المسيحية، وهو ذاته مبدأ قانون «يهوذا الأسخريوطي» و«بصمات أصابع» التلموديين على جدار القبو في المكان الذي تم فيه قتل «آل رومانوف».

كانت «بصمات الأصابع» هذه، القانون الوحيد فقط ضد معاداة السامية، الذي لا يخضع لأي قانون محدد كما هو متبع. إن هذا القانون ليس قانوناً بحد ذاته، بل إن الحكومة اليهودية حذرت الشعب الروسي علناً بخطر الموت إذا ما تجاسر وأولى اهتماماً بمؤلفي ومصادر الثورة، وكذلك بأولئك الذين قادوها أيضاً. وهذا يعني عملياً، أن التلمود أصبح قانوناً لروسيا، وأصبح في الـ ٤٠ سنة اللاحقة، يتحول بصورة أكثر، وعلى نطاق واسع إلى قانون في حياة الغرب أجمع (كُتب هذا الكلام في عام ١٩٥٥ ـ المترجمون الروس). لقد انبعثت الآن، المرحلة القصيرة للثورة الفرنسية ضد المسيحية بشكل علني. لقد كانوا مغفلين في إظهار طبيعة النظام، عندما نسفوا الكاتدرائيات بالديناميت وبنوا متاحف مناوئة للدين على شكل معبد لينين، هذا النظام الذي كتب عنه ولتون: «لقد شكل اليهود نسبة ١/١٠ من مجمل عدد السكان، بينما كانت نسبتهم في عداد المفوضين حكام روسيا ٩/١٠ وعلى الأرجح أكثر من ذلك». كان هذا الريبورتاج مجرد عرض بسيط للأحداث، ولم يخطر ببال أحد أن يعارض، لو افترضنا أن القول ذاته كان عن «الأوكرانيين بدلاً من «اليهود»؛ وأصبح نشر الحقائق على الأغلب حجة للوشاية السرية فقط، لأن هذه الحقائق كان لها علاقة مباشرة باليهود[1].

---

(١) ـ في الحقيقة لقد كان عدد اليهود في روسيا أقل بكثير، قبل الحرب العالمية الأولى في الدولة، باستثناء المحافظات البولونية، فكان عددهم حوالي /٥,٤/ ملايين يهودي، يعني بنسبة /٣٪/ من سكان الأمبراطورية الروسية ـ المترجمون الروس. فعلى الرغم من ان نسبة اليهود إلى الشعب الروسي كانت تشكل ٤,١٪ فقط حسب إحصاء عام ١٨٩٧ فقد ظهر في سجلات الشرطة القيصرية أن نسبة اليهود المعتقلين بسبب نشاطهم الثوري الشيوعي كانت ١٣,٤٪ بين سنتي ١٨٨٤ و ١٨٩٠ . ثم ارتفعت هذه النسبة بوتائر عالية في العقد ←

وما كتبه «ولتون» عن تمجيد «يهوذا الأسخريوطي»، كان أحد التحذيرات المتعمدة للمسيحية. وإذا ما كان هدف القادة اليهود مقتصراً على بناء مجتمع قائم على مبدأ العدالة الاجتماعية تسوده المساواة والعدل فقط عام ١٩١٧ ، فإنه لم يكن هناك داعٍ لافتعال تلك الهالة البطولية حول ذلك الحدث الذي كان له أثر واضح في العام ٢٩ ميلادية. ولا يمكن فهم فحوى الرسالة الروسية نهائياً دون توضيح الأهمية الرمزية لذاك الحدث.

إن آثار الانتقام التلمودي من «الوثنيين» تتجلّى في عمليات القتل الجماعية لهذه الفترة، والتي لايمكن أن تمحى من الذاكرة. لقد أطلق الطالب اليهودي «كانفيسر» في عام ١٩١٨ النار على اليهودي «أورتسكي» من جهاز الجيكا، حيث أمر بعد ذلك اليهودي «يعقوب بطرس» ــ رئيس جهاز الجيكا في بتروغراد البدء بحملة إرهاب ضد الروس. وأما اليهودي الآخر ويدعى «زينوفيف» فقد طالب أن يتم القضاء على عشرات الملايين من الشعب الروسي. ويشهد «الكتاب الأبيض» للحكومة البريطانية عن البلشفية في عام ١٩١٩ على عمليات القتل الجماعية هذه لاحقاً، بحق الفلاحين الروس. وتعد طريقة قتل عائلة القيصر «رومانوف» أكثر خطورة، ولولا «ولتون»، لم تصبح الحقيقة عن هذه الأحداث معروفة للعالم نهائياً، إذ كان يعتقد حتى يومنا هذا بأن أيام العائلة القيصرية يُحتمل أنها انتهت بصورة طبيعية: معتقلةفي مكان ما تحت «بناء منزل».

← التالي فأصبحت ١٨,٧ ٪ في ١٨٩٨ و ٢٤,٨ ٪ سنة، ١٨٩٩ . وقد قال «سرغي فيته» وزير مالية روسيا القيصرية لتيودور هرتزل أثناء زيارة الأخير لروسيا في ١٩٠٣ بأن ٥٠٪ من مجموع الثوريين في روسيا كانوا من اليهود بينما قال «ف.ك. بليفي» وزير الداخلية إن ٧٠ ٪ من جميع المجرمين السياسيين المعروفين لدى الشرطة هم من اليهود أيضاً، وكتب القيصر نقولا الثاني «آخر قياصرة روسيا في إحدى رسائله إلى زوجته قائلاً: «إن تسعة أعشار المشاغبين هم من اليهود» ــ (نقلاً عن كتاب الحلف غير المقدس ــ حسام جزماتي ــ دار فصلت ــ حلب ــ ١٩٩٧ ، ص ٤٠ ــ المترجم غ. ك). ومن وجهة نظر ديمتري فاسيليف ــ رئيس منظمة «الذاكرة» (باميت) في النشاط الصهيوني فإن «نسبة اليهود في الاتحاد السوفياتي، وفق ما ذكره غورباتشوف /٥,٤/ هي ٠,٦٥ ٪ من عدد السكان، ورغم هذه النسبة الضئيلة فإن «٢٠٪ من المراكز القيادية والمرافق العليا يحتلها اليهود» كذلك فإن نسبة ٤٤٪ من حملة شهادة الدكتوراه والمرشحين في العلوم هم من اليهود». الصهيونية في الاتحاد السوفياتي ــ يفغيني يفسييف دوره الفكري والسياسي في المواجهة ــ دراسة هاني مندس ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩١ . المترجم ــ غ.ك.

لقد كانت جميع تصرفات القيصر دستورية، بما في ذلك تخليه عن العرش حسب نصيحة وزرائه في /٥ آذار عام ١٩١٧/ وتعاملوا نسبياً بلباقة مع عائلة القيصر في «توبلسك» في فترة حكومة «كرانسكي» وبعدها بفترة قصيرة، تحت حراسة الكومندان الروسي والجنود الروس. وبعد أن استتب الوضع للنظام اليهودي، تم نقل القيصر وعائلته بأوامر من موسكو في نيسان عام ١٩١٨ من «توبلسك» إلى «ايكاترنبورغ» وتم إبعاد الجنود الروس، الذين كانوا داخل سجن القيصر وحلّ محلّهم شخصيات أخرى مجهولة الهوية لم يتم التعرف إليها، وعدّهم الروس المحليون بأنهم «لاتفيون»، ولم يعلموا عن وجود جنود آخرين في الجيش الأحمر، لايتكلمون اللغة الروسية، ولكن بلغة قسم منها شبيه على الأغلب بلغة أسرى الحرب النمساوية ــ الهنغارية، الذين استقدموا للخدمة لدى البلاشفة. واستبدل القومندان الروسي في منزل «أباتييف» وحلّ مكانه اليهودي «يانكيل يوروفسكي» في (٧ تموز عام ١٩١٨). إن الحلقة الأخيرة في شبكة السجانين اليهود، بدأت من موسكو عبر مجلس منطقة الأورال حتى سجن «ايكاترنبورغ»، وكان الساعد الأيمن لحاكم روسيا لينين ــ الإرهابي اليهودي «يانكيل سفردلوف» ــ حيث أرسلت لجنة الجيكا في «ايكاترنبورغ» سبعة يهود، وكان من بين الذين أرسلوا «يانكيل يوروفسكي». حيث أعلن مجلس الأورال في ٢٠ تموز، بأنه وفقاً لأوامره تم قتل القيصر رمياً بالرصاص، ونقلت زوجته وأطفاله إلى «مكانٍ آمن». وأصدرت اللجنة المركزية الاتحادية البلاغ نفسه بتوقيع «سفردلوف» «صدّق فيه على العمل الذي قام به مجلس منطقة الأورال». ولحين صدور هذا البلاغ بفترة، كان جميع أفراد عائلة القيصر قد تم قتلهم.

واتضحت الحقيقة بعد تحرير «ايكاترنبورغ» من قبل الجيش الأبيض[1]، بقيادة الجنرال «ديتريخس» (رئيس هيئة أركان الجيش الأبيض) في ٢٥ تموز عام ١٩١٨، إذ أن المحقق المعروف «ن.سوكولوف» المختص في التفتيش عن الجرائم الجنائية، اهتدى هو و«ولتون» إلى أدلة خفية، وبعد تقهقر الجيش الأبيض نقل «ولتون» من روسيا هذه الأدلة عن الجريمة البشعة التي ارتكبت بحق «آل

---

(١) ــ الجيش الأبيض، هذه التسمية اطلقها قادة الثورة البلشفية في روسيا على الجيش القيصري. المترجم ــ غ.ك.

رومانوف»، والتي ورد ذكرها في كتابه مزودة بصور حية كثيرة عن هذه الجريمة. تمت الجريمة كلّها بأوامر من موسكو عبر الاتصال الدائم مع «سفردلوف»: ولقد تم العثور على التسجيل الكامل لمكالماته الهاتفية مع أعضاء جهاز الجيكا في «يكاترين بورغ»، ومن ضمن هذه التسجيلات تقريرٌ أرسل إليه من «يكاترين بورغ» جاء فيه حرفياً: «قَدِم إليكم بالأمس رسول يحمل وثائق تهمكم». ولم يكن هذا الرسول في الحقيقة سوى القاتل الرئيسي «يورفسكي»، وكانت «الوثائق»، حسب رأي المحقق، رؤوس الضحايا من «آل رومانوف»، بما أنه لم يتم العثور على الجماجم أو حتى على جزء من عظام هذه الجماجم.

وقد وصفت هذه الجريمة النكراء من قبل شاهد عيان، لم يفلحوا بـإخفائه من الوجود، وكان هذا الشاهد على الأرجح من أحد الذين شاركوا في تنفيذ الجريمة. ففي منتصف ليلة ١٦ تموز ايقظ «يورفسكي» القيصر وعائلته ونقلهم إلى القبو، حيث تم إعدامهم رمياً بالرصاص. كان القتلة هم «يورفسكي» نفسه وسبعة أجانب غير معروفين مساعدين له، أما أحد أعضاء جهاز الجيكا المحلية ويدعى «نيكولين»، واثنان من الروس فقد أجهشوا في البكاء على مايبدو لمشاركتهم في هذه الجريمة البشعة. لقد كان الضحايا هم: القيصر وزوجته وابنه المريض (لقد أمسك القيصر بيد ولده، لأنه لم يستطع السير على قدميه) وبناته الأربع، وطبيبه الروسي، وخادمه والطباخ ومساعدة زوجته. عندما وصل «سوكولوف» و«ولتون» إلى المكان حيث وقعت الجريمة القذرة، شاهدا غرفة القبو، كانت عبارة عن بركة من الدماء، وكان واضحاً عليها آثار إطلاق الرصاص واستخدام الحراب (السلاح الأبيض) وقد عرض «ولتون» في كتابه صور هذه الحادثة. ولتفسير أحداث الجريمة، حاولت عبثاً لجنة التحقيق التعرف على الأجسام أو حتى على رفات الضحايا. وأصبح معروفاً أنه لحظة فرار الجيش الأحمر من المدينة «يكاترين بورغ»، تبجح «يورفسكي» حينئذ، حيث قال: «إن العالم لن يعرف في أي وقت، ماذا فعلنا بالجثث». غير أنه في نهاية الأمر، كانت الأرض شاهدة على سرهم، حيث تم نقل الجثث بسيارة شحن إلى منجم مهجور في الغابة، وقاموا بتقطيع الجثث إلى شرائح صغيرة وأحرقوها ولم يحتاجوا بذلك إلى أكثر من ٦٠٠ ليتر بنزين. وكان قد حصل أحدهم ويدعى «فيكوف» بصفته مفوض الشعب، من جهاز لجنة الجيكا لمنطقة الأورال، (الذي

وصل في القطار نفسه الذي جاء فيه لينين من ألمانيا) على موافقة تزويده بمبلغ ٤٠٠ جنيه لشراء كمية من الحمض الكبريتي لتذويب ما تبقى من عظام الضحايا. وتم إلقاء الرماد وبقايا الرفات في أحد المناجم، ليذوب الجليد فيما بعد وينفذ إلى المنجم، ويضيع بذلك كل شيء تحت الماء، وأنزلوا فيما بعد إلى المنجم ألواحاً خشبية، وثبتوها فوق الرفات. وعندما تم إزاحة الألواح، وصل المفتشون إلى النهاية التالية: لقد رقدت من الأعلى جثة الكلب الذي يعود إلى أحد الأمراء العظام، وعثروا تحتها على بقايا عظام وقطع لحمية وأصابع مبتورة وأغراض أخرى كثيرة عائدة للضحايا التي حاولوا التخلص منها للقضاء عليها، ومن هذه اللُّقى، كانت هناك مجموعة عجيبة من المسامير وقطع نقدية ولفائف أوراق مفضضة رقيقة وأشياء أخرى بدت وكأنها محتويات جيوب عائدة لطلاب مدارس، وكانت هكذا بالفعل (وهذا دليل قاطع على وجود أطفال بين الضحايا. المترجم ـ غ.ك). وقد استطاع المدرس الإنكليزي «سيدني هيبس» لولي العهد التعرف على هذه اللُّقى. لقد اثبتت التدابير الاحتياطية التي اتخذت بهدف القضاء على الجثث وإزالة أي أثر يذكر للجريمة، أن المجرمين القتلة يملكون مهارة عالية متقنة في القتل والإجرام عبر تجارب استغرقت سنين طويلة، وذكّرونا بأساليب كانت متبعة بين جماعة عصابات قطاع الطرق في الولايات المتحدة الأمريكية في عصر «شريعة الغاب» (لقد كانت هذه هي رواية سوكولوف وولتون).

وبينت هذه اللُّقى للعالم أجمع، افتراءات البلاغ الرسمي «للرئيس السوفيتي آنذاك سفردلوف» الذي زعم أن القيصر هو الوحيد الذي تم إعدامه، أما عائلته وحاشيته فقد نقلوا إلى «مكان آمن». وتظاهر القتلة بالبراءة من العملية في وقت لاحق، «وبتهمة ٢٨ شخصية شاركت في عملية قتل القيصر وعائلته» تم الإعلان عن /٨/ أسماء فقط، من الذين لم يكن لهم أي علاقة بعملية القتل، وإعدام خمسة منهم رمياً بالرصاص. فقط لأنهم كانوا موجودين في موقع تنفيذ الجريمة، مع أنهم لم يستطيعوا المشاركة في عملية قتل القيصر. وقد اغتيل القاتل الرئيسي «سفردلوف» أثناء الخلافات الحزبية لاحقاً وأصبح الآلاف من المدنيين ضحايا الاضطهادات الجماعية التي اعقبت هذه الخلافات. زد على ذلك، تم استبدال اسم مدينة «يكاترين بورغ» لتصبح «سفردلوفسك» كرمز لمشاركة «سفردلوف» في عملية قتل القيصر.

كان السبب الرئيسي لوصفنا التفصيلي بهذه الدرجة، هو إظهار «بصمات الأصابع» في مذبحة عائلة القيصر، التي خلفوها وراءهم في القبو، حيث مكان وقوع الجريمة، فأحد القتلة، ومن المحتمل أن يكون زعيمهم، مكث في القبو فترة معينة، تلذذ بالمشاهد المروعة التي نفذوها بأيديهم، وترك كتابة ذات أهمية باللغة على الجدار، مغطاة بأشياء نابية وكتابات استهزائية بالعبرية والهنغارية والألمانية. وكانت هذه عبارة عن بيتين من الشعر، متصلة بما جاء في شريعة التوراة والتلمود وتعبيراً عن أسلوب تنفيذها من قبل نسلهم، وأنموذجاً حياً للثأر اليهودي، كما كان المطلب قائماً منذ زمن اللاويين وكُتِبَ هذان البيتان باللغة الألمانية، وخُطّا بالأسلوب الهجائي للشاعر اليهودي الألماني «هنري هين» عن موت «بلاتصر»، الحاكم الذي لم يكن له وجود في الحقيقة، وعملية قتله التي وصفت في «سفر دانيال»، وعاقبه الرب لأجل إهانته لليهود:

«وكان بلاتصر قد قتل، في تلك الليلة من قبل خادمه».

ناظراً بسخرية عند وصفه لوحة المجزرة، بحيث كيّفَ هذه الكلمات بما يناسب فعله منذ قليل:

«وكان بلاتصر قد قتل، في تلك الليلة من قبل خادمه». لم يكن قد تم الإشارة إلى مفتاح دوافع الجريمة والشخصيات المجرمة، وكذلك وضع النقاط على الحروف بهذة الصورة الواضحة من قبل.

ولم تكن الثورة «روسية» بل كانت انفجاراً للثورة العالمية، حيث أنتجت في روسيا وشغل عملاؤها مناصب قيادية في جميع المجالات. وكشفت لأول مرة خلال عامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨ على أن القادة السياسيين كانوا لتاريخه يساندون الصهيونية، والآن بدؤوا يساندون أخاها بالدم الشيوعية. وحدث ذلك على جبهتي الحرب العالمية الأولى: وبالرغم من أن ظهورهم كان قد بدأ سرياً، غير أنهم أشرفوا علناً على أهداف الحرب، واختفت جميع الخلافات بين «الأصدقاء» و«الأعداء» واستمر الصهاينة في ايجادهم «لضغوط قاهرة لاتقاوم» على السياسيين في لندن وواشنطن، وحافظوا في الوقت نفسه على مقرهم العام في برلين، وحصل الشيوعيون بدورهم على مساندة حاسمة من ألمانيا، وكذلك من أعدائها.

وهكذا ـ على سبيل المثال ـ أصبحت ألمانيا عند بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ «ترسل إلى روسيا الثوريين الروس، أسرى الحرب السابقين، وتزودهم بجوازات السفر والمال، لإثارة البلبلة والاضطرابات في وطنهم» (من تقرير السفير الأمريكي في برلين العقيد هيرارد هاوز). وكان «روبرت ولتون» قد كتب: إن «قرار أحداث الثورة في روسيا كان قد اتخذ بشكل رسمي في اجتماع لهيئة أركان حرب الألمان والنمساويين في عام ١٩١٥، وكان رئيس هيئة أركان الحرب الألماني الجنرال «ليوديندورف» قد تأسف على إتخاذ مثل هذا القرار: «إن حكومتنا أخذت على عاتقها مسؤولية كبيرة بـإرسال لينين إلى روسيا، إن مسألة الارسال هذه كانت مسوّغة من وجهة نظر عسكرية، بما أنه كان يؤدي إلى إضعاف روسيا، فكان على حكومتنا اتخاذ تدابير معينة لكي لانبدو نحن أنفسنا مشاركين في هزيمتها». وكما هي حالة خاصة كان يمكن أن تكون بكل بساطة خطيئة إنسانية: وما بدا معقولاً من وجهة نظر عسكرية، أدى إلى كوارث سياسية تباعاً، لم يكن بالإمكان التنبؤ بها. ولكن ما التفسير الذي يمكن الحصول عليه لتصرفات السياسيين الأمريكان والبريطانيين، أكثر من الحقائق الاساسية العسكرية والسياسية التي كان يجب بمقتضاها مساندة روسيا، وعلى أي اساس ساندوا ثوارها الغرباء، الذين دمروا هذه الدولة؟ .

لقد ذكرنا سابقاً كيف فهمت الثورة الروسية في افتتاحيات «التايمز» (... تحررية وديمقراطية حقيقية.. ونظاماً جديداً مسوّغاً ..الخ) وكيف كانت تتجاهل في ذاك الوقت أخبار مراسلها المخضرم «ولتون»، أما هو شخصياً فإنه «فقد الثقة» فجأة، بعد أن وصل إلى الصحيفة تلميحات على أنه «معاد للسامية». وفي الجهة الأخرى من المحيط الأطلسي، وثّق الحاكم الحقيقي لأمريكا «هاوس» مذكراته بأحاسيس شبيهة لما جاء في «التايمز» تماماً، حيث كان الثوريون الأجانب الذين تم تهريبهم خلال الحرب من الغرب إلى روسيا... (أفراد عصابات غير عاديين، حثالة المدن الكبرى في أوروبا وأمريكا ـ كلمات تشرشل) في نظره مصلحون زراعيون شرفاء: «كان البلاشفة في نظر الروس الطامحين للسلام والأرض، أول القادة السياسيين الذين حاولوا بـإخلاص تلبية حاجاتهم الضرورية وآمالهم».

ويعلم الجميع اليوم، ماذا حدث للروس «الطامحين في الحصول على الأرض»، تحت سلطة البلشفيين. فقد عمل القيصر ووزراؤه خلال نصف قرن

كان السبب الرئيسي لوصفنا التفصيلي بهذه الدرجة، هو إظهار «بصمات الأصابع» في مذبحة عائلة القيصر، التي خلفوها وراءهم في القبو، حيث مكان وقوع الجريمة، فأحد القتلة، ومن المحتمل أن يكون زعيمهم، مكث في القبو فترة معينة، تلذذ بالمشاهد المروعة التي نفذوها بأيديهم، وترك كتابة ذات أهمية بالغة على الجدار، مغطاة بأشياء نابية وكتابات استهزائية بالعبرية والهنغارية والألمانية. وكانت هذه عبارة عن بيتين من الشعر، متصلة بما جاء في شريعة التوراة والتلمود وتعبيراً عن أسلوب تنفيذها من قبل نسلهم، وأنموذجاً حياً للثأر اليهودي، كما كان المطلب قائماً منذ زمن اللاويين وكُتِبَ هذان البيتان باللغة الألمانية، وخُطّا بالأسلوب الهجائي للشاعر اليهودي الألماني «هنري هين» عن موت «بلاتصر»، الحاكم الذي لم يكن له وجود في الحقيقة، وعملية قتله التي وصفت في «سفر دانيال»، وعاقبه الرب لأجل إهانته لليهود:

«وكان بلاتصر قد قتل، في تلك الليلة من قبل خادمه».

ناظراً بسخرية عند وصفه لوحة المجزرة، بحيث كيّفَ هذه الكلمات بما يناسب فعله منذ قليل:

«وكان بلاتصر قد قتل، في تلك الليلة من قبل خادمه». لم يكن قد تم الإشارة إلى مفتاح دوافع الجريمة والشخصيات المجرمة، وكذلك وضع النقاط على الحروف بهذة الصورة الواضحة من قبل.

ولم تكن الثورة «روسية» بل كانت انفجاراً للثورة العالمية، حيث أنتجت في روسيا وشغل عملاؤها مناصب قيادية في جميع المجالات. وكشفت لأول مرة خلال عامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨ على أن القادة السياسيين كانوا لتاريخه يساندون الصهيونية، والآن بدؤوا يساندون أخاها بالدم الشيوعية. وحدث ذلك على جبهتي الحرب العالمية الأولى: وبالرغم من أن ظهورهم كان قد بدأ سرياً، غير أنهم أشرفوا علناً على أهداف الحرب، واختفت جميع الخلافات بين «الأصدقاء» و«الأعداء» واستمر الصهاينة في ايجادهم «لضغوط قاهرة لاتقاوم» على السياسيين في لندن وواشنطن، وحافظوا في الوقت نفسه على مقرهم العام في برلين، وحصل الشيوعيون بدورهم على مساندة حاسمة من ألمانيا، وكذلك من أعدائها.

وهكذا ــ على سبيل المثال ــ أصبحت ألمانيا عند بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ــ ١٩١٨ «ترسل إلى روسيا الثوريين الروس، أسرى الحرب السابقين، وتزودهم بجوازات السفر والمال، لإثارة البلبلة والاضطرابات في وطنهم» (من تقرير السفير الأمريكي في برلين العقيد هيرارد هاوز). وكان «روبرت ولتون» قد كتب: إن «قرار أحداث الثورة في روسيا كان قد اتخذ بشكل رسمي في اجتماع لهيئة أركان حرب الألمان والنمساويين في عام ١٩١٥، وكان رئيس هيئة أركان الحرب الألماني الجنرال «ليوديندورف» قد تأسف على إتخاذ مثل هذا القرار: «إن حكومتنا أخذت على عاتقها مسؤولية كبيرة بـإرسال لينين إلى روسيا، إن مسألة الارسال هذه كانت مسوّغة من وجهة نظر عسكرية، بما أنه كان يؤدي إلى إضعاف روسيا، فكان على حكومتنا اتخاذ تدابير معينة لكي لانبدو نحن أنفسنا مشاركين في هزيمتها». وكما هي حالة خاصة كان يمكن أن تكون بكل بساطة خطيئة إنسانية: وما بدا معقولاً من وجهة نظر عسكرية، أدى إلى كوارث سياسية تباعاً، لم يكن بالإمكان التنبؤ بها. ولكن ما التفسير الذي يمكن الحصول عليه لتصرفات السياسيين الأمريكان والبريطانيين، أكثر من الحقائق الاساسية العسكرية والسياسية التي كان يجب بمقتضاها مساندة روسيا، وعلى أي اساس ساندوا ثوارها الغرباء، الذين دمروا هذه الدولة؟ .

لقد ذكرنا سابقاً كيف فهمت الثورة الروسية في افتتاحيات «التايمز» (... تحررية وديمقراطية حقيقية.. ونظاماً جديداً مسوّغاً ..الخ) وكيف كانت تتجاهل في ذاك الوقت أخبار مراسلها المخضرم «ولتون»، أما هو شخصياً فإنه «فقد الثقة» فجأة، بعد أن وصل إلى الصحيفة تلميحات على أنه «معاد للسامية». وفي الجهة الأخرى من المحيط الأطلسي، وثّق الحاكم الحقيقي لأمريكا «هاوس» مذكراته بأحاسيس شبيهة لما جاء في «التايمز» تماماً، حيث كان الثوريون الأجانب الذين تم تهريبهم خلال الحرب من الغرب إلى روسيا... (أفراد عصابات غير عاديين، حثالة المدن الكبرى في أوروبا وأمريكا ــ كلمات تشرشل) في نظره مصلحون زراعيون شرفاء: «كان البلاشفة في نظر الروس الطامحين للسلام والأرض، أول القادة السياسيين الذين حاولوا بـإخلاص تلبية حاجاتهم الضرورية وآمالهم».

ويعلم الجميع اليوم، ماذا حدث للروس «الطامحين في الحصول على الأرض»، تحت سلطة البلشفيين. فقد عمل القيصر ووزراؤه خلال نصف قرن

قبل عام ١٩١٧ على تلبية هذا الطموح بغض النظر عن محاولات الثوريين عرقلة هذه المسألة عن طريق القيام بعمليات اغتيال أو قتل، فكل ذلك لم يكن معلوماً للسيد «هاوس». وقد نصح رئيسه المستمع إليه، عندما قامت الثورة، على أن «لاحاجة للقيام بأي شيء مطلقاً، سوى كيف يمكن تقوية روسيا بتعاطفنا معها، لمحاولتها إقامة ديمقراطية متينة وتقديم جميع الإمكانات المالية المتاحة، والصناعية والمساندة المعنوية لها»، (والمميز هنا لمزاجية الأشخاص المهيمنين والمحيطين بالرؤساء الأمريكيين على امتداد جيلين متتاليين، أنه في عام ١٩٥٥ قام الرئيس «ايزنهاور» الراقد في مشفى «دينغير»، بإرسال تهنئة شخصية إلى رئيس الوزراء السوفيتي آنذاك «بولغانين» يهنئه فيها بالذكرى السنوية لقيام الثورة البلشفية في ٧ تشرين الثاني، مع أن الثورة «الديمقراطية» و«البرلمانية» حدثت في آذار من عام ١٩١٧ ، عندما تنازل القيصر عن العرش بصفة شرعية، أما ٧ تشرين الثاني (٢٥ تشرين الأول وفقاً للتقويم الشرقي) فكان يوم اسقاط النظام الديمقراطي من قبل البلشفيين، غير أنه لعام ١٩٥٥ ، كان الرؤساء الأمريكان يحذرون الشعب الأمريكي منذ فترة طويلة من الخطر السوفيتي أو الشيوعي، أي العداء البلشفي).

إن وجه التشابه مابين بداية جمل «هاوس» وصيغة افتتاحيات «التايمز» المشار إليها سابقاً، لفتت النظر إلى مجموعة أصحاب النفوذ من وراء الكواليس في العاصمتين، الذين اتفقوا على رسم اللوحة للجماهير العريضة على قيام ديمقراطية «متينة» و«حقيقية»، مع أن القسم الثاني من تلك الجمل نقض القسم الأول منها، والذي يوصي بأنه «لاحاجة للقيام بأي شيء مطلقاً» عدا الاعراب عن «التعاطف» وينص القسم الثاني على اتخاذ إجراءات عملية حرفياً بكل الامكانيات المتاحة لمساندة النظام الجديد، وهنا يُطرح سؤال: ما الشيء الذي يمكن القيام به أكثر من «تقديم جميع الامكانيات المالية المتاحة والصناعية والمساندة المعنوية»؟ هكذا كانت السياسة الأمريكية في علاقتها تجاه الأحداث الثورية في روسيا، منذ اللحظة التي قَدَّم فيها «هاوس» تعليماته للرئيس، المتطابقة مع سياسة «روزفلت» في فترة الحرب العالمية الثانية، كما سيتم الإشارة إليها لاحقاً.

وبتعبير أدق، فقد أصبح الغرب، وأصحاب الأمر والنهي فيه حلفاء الثورة العالمية ـ ضد الشعب الروسي، وبعبارة أخرى ضد الجميع، أولئك الذين كانت الثورة لهم غير مقبولة. وبالطبع ليس جميع من كان في السلطة حينها أو أصبح

فيها فيما بعد قد اشترك في هذه المؤامرة السرية، وكان «ونستون تشرشل» وقتئذ قد حدد طبيعتها بالكلمات التالية: «أنا لا أعترف بطبيعة الحال بحق البلشفيين في الاستيلاء على روسيا... إنهم يحتقرون بدرجة كبيرة الأشياء المتداولة مثل القومية والوطنية ـ غايتهم المثلى هي ثورة بروليتارية عالمية، فقد سرق البلشفيون بضربة واحدة من روسيا أغلى كنزين لديها هما: السلام والنصر، هذا النصر الذي سبق وكان في قبضتها وذاك السلام الذي طالما تمنته أكثر من أي شيء آخر. لقد أرسل الألمان لينين إلى روسيا لهدف مقصود وذلك للعمل على هزيمة روسيا... وما أن أفلح في الوصول إلى روسيا، حتى بدأ يستدرج إلى صفه شخصيات مشتبهاً بها من هنا وهناك، من ملاجئهم في نيويورك والاسكا وبيرن ومدن ودول أخرى (يلاحظ القارئ من أين كانوا يستقدمون الثوريين إلى روسيا ـ المترجمون الروس) ولم شمل أذكياء القادة من الطائفة الجبارة، الطائفة الجبارة للغاية في جميع أنحاء العالم... وما أن أحاط نفسه بهذه القوى، حتى بدأ يعمل بذكاء خارق، ويمزق كل ما تمسكت به الدولة الروسية والشعب الروسي إلى فتات، وتم طرح روسيا أرضاً، كان يجب أن تسقط روسيا، وكانت فاجعتها مخيفة لانظير لها، أكثر مما كتب عنها فقد سرقوا منها مكانتها التي تحتلها وسط دول العالم العظمى» (من خطاب ألقي في مجلس العموم ٥ تشرين الثاني عام ١٩١٩) مازالت كلمات «تشرشل» تحتفظ بأهميتها في الوقت الحاضر، وخاصة جملته عن «الطائفة الجبارة للغاية في العالم» ويذكرنا هذا، بما قاله «باكونين» قبله بخمسين سنة، عندما اتهم اليهود باغتصاب الثورة، وكما أننا استشهدنا في هذا الفصل بمقالة «تشرشل» كذلك بيّنا، كم كان واضحاً له ممَّ تألفت هذه الطائفة.

في الوقت الذي احتفل فيه «حاييم وايزمان» بانتصاره في لندن وواشنطن، حقق رفاقه، الذين راعوا الأساليب السرية من مواقعهم التلمودية في روسيا، انتصارهم في هذه الدولة، واتضح من كلمات «وايزمان»، بأنه منذ البداية كان بينهم وبينه اختلاف واحد فقط: هو أنه كان ثورياً ـ صهيونياً، وهم كانوا «ثوريين ـ شيوعيين». وكان قد شارك بمواضيع كثيرة من هذه النقاشات الحامية أثناء فترة دراسته في «برلين» و«فريبورغ» و«جنيف» حيث كانت تتعلق بهذا الاختلاف، الذي ليس له أهمية تذكر لأولئك الذي يرفضون أن الثورة يمكنها أن تكون بهذا الشكل، وقد وصف كاتب سيرة حياة «بلفور» (وزير خارجية بريطانيا خلال أعوام ١٩٠٢ ـ ١٩١٨ . المترجم ـ غ.ك). السيد «داغديل»

النقاشات التي كانت تدور بين الثوريين أخوة الدم في تلك السنوات عندما هيّؤوا معاً لانتصارهم في وقتٍ واحد: «لقد وصل لينين وتروتسكي[1] إلى السلطة في ذاك الأسبوع من تشرين الثاني عام ١٩١٧ عندما حقق اليهود الاعتراف بهم و«بقوميتهم» اليهودية في بريطانيا. حيث كان «تروتسكي» و«وايزمان» قد أعلنا قبل سنوات من هذا عن وجهات نظرهم السياسية المتناقضة، التي كانت تجري في كافتيرية الجامعة في أحد أحياء جنيف. وكان الإثنان من مواليد روسيا...

(١) ـ لقد كان تروتسكي من الشخصيات اليهودية التي عرفت السيطرة والنفوذ بعد سقوط القيصرية، وهو الذي اسس الجيش الأحمر وتنكر له، ووصفه بانه مكون من قردة دون أذيال وأن ضباطه مزودون بالمعلومات الضئيلة التي لاتسمن ولا تغني من الجوع وأنهم يتظاهرون بالرجولة مع انهم أجبن من على الأرض، بعد ان كان يفاخر في الماضي بكونه مؤسسه. «لكن للأسف فإبعاد تروتسكي وزمرته، لم يؤدِ إلى تطهير أجهزة الحكومة السوفيتية ولاهيئات القيادة في الحزب الشيوعي السوفييتي من العناصر اليهودية الصهيونية، وبهذا الصدد يورد الأستاذ يعقوب قريو في كتابه «الانقياد ـ الانطلاقة العربية للحزب الشيوعي اللبناني السوري ـ بكداش والتناقض» قول خالد بكداش الوارد في الصفحة /٧١/ من كتاب «خالد بكداش يتحدث» عن الكومنترن واليهود بصراحة صارخة: «الصهيونيون اشتغلوا بجد للسيطرة على الحزب الشيوعي الفلسطيني، وحاولوا السيطرة على الحزب الشيوعي اللبناني والحزب الشيوعي المصري والعراقي.. وكان هناك عناصر يهودية في الكومنترن في موسكو، ولم تكن جديدة علينا نحن الشيوعيين العرب، إلا أن الذي حمانا هم قواد الأممية الشيوعية أمثال.. ماتوليسكي وكوسيجين وديميتروف ونمولدفالدو موريس توريز الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي وتولياتي من الحزب الشيوعي الايطالي» إذاً هذا اعتراف صريح على وجود العناصر اليهودية الصهيونية في أعلى هيئات الحزب الشيوعي السوفيتي وغيره، ومفهوم الأممية لدى هؤلاء اليهود يعني تحقيق السيطرة العالمية التي وعدهم بها يهوه. المترجم ـ غ.ك.

وعندما تحالف ستالين مع ألمانيا في عام ١٩٣٩ بادر إلى تطهير اجهزة الدولة الحساسة من اليهود ليس لأرضاء الألمان فحسب بل لأن الأوساط الشيوعية الروسية كانت قد ايقنت من خيانة اليهود وجنوحهم إلى العنصرية المتطرفة واكتشفت تعاملهم مع الغرب، ولذا أبعد موسى كاكانوفيتش عن الأمانة العامة للحزب الشيوعي وميشل موسى كاكانوفيتش عن عضوية الجمعية العمومية، وجول موسى كاكانوفيتش عن أمانة سر الحزب في منطقة كوركي وهارون موسى كاكانوفيتش عن عضوية الحزب في كييف، ورزائي كاكانوفيتش عن رئاسة الصليب الأحمر الروسي، وس.م. كاكانوفيتش عن مديرية صناعة النسيج وب.م. كاكانوفيتش عن مديرية تمويل الجيش الأحمر وقيادة الشرطة الداخلية، كما أبعد مئات الآخرين من اليهود عن المراكز الحكومية الهامة». ومن خلال عمليات الإبعاد هذه والتي شملت العشرات بل المئات من أفراد اليهودية يتبين للقارئ إلى أي مدى كانت فاعلية التغلغل اليهودي في أجهزة الدولة والحزب وسيطرتهم على الشعب الروسي. لقد مات ستالين ←

وقد جذبا حشود الطلبة اليهود من الجهة الأولى للشارع إلى الأخرى: وكان «ليف تروتسكي» رسول الثورة الحمراء، و«حاييم وايزمان» ـ رسول التقاليد الراسخة لألفي عام مضت. وبالتوافق الوحيد الغريب للغاية، والذي حصل لمرة واحدة، في ذاك الأسبوع بالذات أو غيره حققوا أحلامهم». إن الحديث في الحقيقة يدور عن الكماشة التي كان يجب أن يتم الاستيلاء عبرها على أوروبا أيضاً، وقد أمسك بقبضة هذه الكماشة كل من هاتين المجموعتين الثوريون «الروس» أو على الأغلب، الذي كانوا من الروس سابقاً.

لقد خلقت الأحداث في روسيا، متاعب مؤقتة «لوايزمان» وشركائه في لندن وواشنطن من ناحية واحدة فقط: لقد طالبوا بفلسطين كملجأ لليهود، وكأنهم كانوا يتعرضون «للاضطهاد في روسيا» (تلفيقات واضحة، لكنها كانت كافية للكذب على «عامة الناس») حيث اتضح فجأة بأنه لم يعد هناك وجود لأي شكل من أشكال «الاضطهاد في روسيا». بل على العكس تماماً، فقد أصبح يحكم في موسكو نظام يهودي، وما سمي «معاداة السامية» اعتبر بمنزلة جريمة خطيرة لاتغتفر[1] إذاً كيف كان اليهود حينها يحتاجون إلى ملجأ؟ (لقد كان

← مقتولاً ودون سابق إنذار بالداء والأسلوب نفسه الذي قتل فيه زعيم الثورة البلشفية لينين والسبب الأساسي لاغتيال ستالين، لم يكن سوى عمليات الإبعاد هذه، التي قام بها عام ١٩٤٠ مع العلم بأن ستالين قدم خدمة جلية لليهود، حينما أمر باتخاذ قرار يعترف بموجبه بقرار التقسيم رقم /١٨١/ في /٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ حيث أكد الكاتب المشهور الراحل يفغيني يفسييف قائلاً «لدينا ما نقوله من باب النقد الذاتي في هذا الصدد، ويتحمل ستالين المسؤولية الكاملة عن تلك الخطوة الدبلوماسية، ومازالوا أحياء الذين يمكن أن يؤكدوا أنه لولا أوامر ستالين، ماكان لتلك الخطوات أن تتخذ، ويتحمل ستالين كامل المسؤولية عن خرق قرارات الأمم المتحدة بحيث تقبل «اسرائيل» عضواً فيها دون أية مراعاة للشروط والقواعد التي تتضمنها مواثيق المنظمة «الصهيونية في الاتحاد السوفياتي» ـ يفغيني يفسييف دوره الفكري والسياسي في المواجهة. دراسة هاني مندس ـ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١ . المترجم ـ غ.ك.

(١) ـ لقد امتدح قادة الصهاينة «التأثير الإيجابي لمعاداة السامية» على مستوى تطور وتوسع نشاط المنظمات الصهيونية في روسيا، فيورد الكاتب يفغيني يفسييف، نقلاً عن (الأرشيف المركزي للاتحاد السوفيتي) إحدى الوثائق الصهيونية في هذا الصدد، والتي لم تنشر من قبل: «إن معاداة السامية تفيد في بث الرعب في صفوف الدهماء الذين سيطيعوننا بشكل أفضل، وبعد ان يقرصهم الجوييم (غير اليهود) وندافع نحن عنهم، ويكون الجوييم في هذه الحالة قد قاموا بدور الكلاب التي تسوق قطيعنا. يجب أن تنتبهوا إلى ان معاداة السامية ←

هذا واضحاً، ولهذه الأسباب كان يجب عرقلة ولتون الذي أطلع العالم على طبيعة النظام الجديد في روسيا) ووفقاً لشهادة الحاخام «ايلمار بيرغير» فإن الحكومة السوفيتية قد وضعت اليهود مثلهم مثل الآخرين في موقع ممتاز... وحررت الثورة بضربة واحدة هؤلاء اليهود أنفسهم الذين، وحسب تأكيدات ممثليهم الصهاينة، لم يكن باستطاعة أي أحدٍ سابقاً مساعدتهم عدا الصهيونية، ولم يعد اليهود السوفييت بحاجة إلى فلسطين ولا حتى إلى أي ملجا آخر. «واختفت فجأة من الوجود، الذراع المتألمة لليهود الروس، التي غالباً ماستخدمها «هرتزل» لمساندة مطالبه في فلسطين لدى الدول العظمى: غير أن هذا الأمر لم يحرج «وايزمان». فقد أطلع اتباعه اليهود بسرعة، بأنه لن يكون هناك أي فترة راحة: «إن بعض الأصدقاء، مستعجلون بشأن أبعاد المسألة، ماذا سيحل بالحركة الصهيونية بعد الثورة الروسية، ويزعمون الآن بأن الدوافع الأساسية للحركة الصهيونية قد زالت، فاليهود الروس تحرروا... لايوجد شيء أشد من التفكير السطحي أو الخطأ، فنحن لم نكن في أي وقت من الأوقات قد أنشأنا حركتنا على أساس معاناة «شعبنا» اليهودي في روسيا أو في أي مكان آخر، هذه المعاناة لم تكن يوماً سبباً في تأسيس الحركة الصهيونية، والأسباب الأساسية للصهيونية كانت وستبقى محاولة دؤوبة حتى يملك اليهود المنزل الخاص بهم» كانت هذه كذبة بحد ذاتها غير أن فيها شيئاً من الحقيقة، وبكل تأكيد إن مؤسسي الصهيونية في أعماق أنفسهم لم يؤسسوا حركتهم على أساس «معاناة شعبنا اليهودي في روسيا أو في أي مكان آخر» فأي معاناة استأثرت باهتمام الصهاينة أنفسهم لليهود أو غير اليهود لم يكترثوا بها. غير أنه لايوجد أدنى شك، بأنهم لمحاصرة السياسيين الغربيين استخدموا حجة «معاناة شعبنا في روسيا» لدرجة أن هؤلاء السياسيين بدؤوا من «ودور ولسون» في عام ١٩١٢ عرض هذه الحجج مراراً على الرغم من أن المطالب الصهيونية قد أصبحت بدهية خلال هذا الأسبوع من التاريخ العالمي، غير أنه لم يعد بإمكانها ـ أي المطالب ـ

← لم تسبغ إلينا قط، ولم تحط من قدر أية مؤسسة من مؤسساتنا بل كانت توجه دائماً ضد البروليتاريا، أي ضد الغوغاء». الصهيونية في الاتحاد السوفيتي ـ يفغيني يفسييف دوره الفكري والسياسي في المواجهة، دراسة هاني مندس ـ بيروت الطبعة الأولى. المترجم ـ غ.ك.

الاستحواذ على أي اهتمام يذكر، لأن الحكومة البريطانية حسب شهادة السيد «داغديل»، أخذت على عاتقها الالتزام بهذه المسألة إرادياً، ولم يعد بإمكان مثل هذه الحجج أن تستخدم تأكيداً أكثر من ذلك أيضاً كما لو أن اليهود مازالوا يحتاجون إلى «ملجأ»، غير أن «لويد جورج» اتخذ كافة الإجراءات للاستيلاء على فلسطين «من أجل اليهود». وانفضحت جميع المشاريع الصهيونية الأساسية المتعفنة في تلك اللحظة نفسها، عندما أصبحت تدور مثل حجر الرحى تعرك رقاب الغرب، رغم أن هذه النقائص المستعصية كان لابدّ أن تقود من أساسها إلى الإخفاق الذريع في نهاية المطاف، شأنها في ذلك شأن الماسوني شبتاي زيفي في عام ١٦٦٦[1] ، فقد تسنى للتراجيكوميديا الصهيونية منذ ذلك الوقت أن تتظاهر باللعب حتى نهايتها الوخيمة.

على الأقل إن هذه المشاريع العفنة كانت ستموت موتاً حقيقياً خلال بضع سنوات، وتصبح من مدونات التاريخ مثل «حماقة بلفور»؛ لو لم تأتِها مساعدة من ظاهرة جديدة كلياً، هذه الظاهرة كانت وصول هتلر إلى السلطة، التي

---

(١) ـ كان شبتاي زيفي يرقب تطلع اليهود إلى العام ١٦٦٦ وبلَغَه أن فتاة بولونية يهودية جميلة الشكل اسمها (سارا) عرفت بمغامراتها الكثيرة أعلنت أن رؤيا أتتها تقول (بأنها ستتزوج عام ١٦٦٦ من المسيح المنتظر..) فأعلن من جهته أن الرؤيا قد أتته وأنه سيتزوج من فتاة بولونية ومن المرجح أن اتفاقاً مُسبقاً تم بين شبتاي وسارا لإعلان مثل ذلك الأمر.
وهكذا تم زواجهما فَعدّ الناس ذلك من المعجزات وقد أقيمت مراسم حفل الزواج في القاهرة آنذاك.
استغل شبتاي النبوءة التي تزعم أن المسيح المنتظر سيظهر في أيلول لذلك العام وهو (١٦٦٦) فاتجه إلى ازمير ونشط بين اليهود هناك وأعلن أنه المسيح المنتظر واستطاع اقناع السذج من اليهود بدعوته وأخذت شهرته بالانتشار إلى اليهود والأتراك والأوروبيين ولاسيما إلى بولونيا وألمانيا. وقسّم أتباعه إلى ثمانٍ وثلاثون منطقة وعين على كل منطقة ملكاً تابعاً له.. وأخذ يلبس طقوساً معينة...
تنبهت الحكومة العثمانية إلى خطورة أفكار ودعوة شبتاي ولا سيما بعد نجاحها فأمر الصدر الأعظم فاضل أحمد باشا في عهد السلطان محمد الرابع إلقاء القبض عليه وزُجّ في سجن (زندان قابي) ثم نقل إلى سجن (جنات قلعه). وفي الوقت نفسه ظهر حاخام يهودي آخر من بولونيا وهو (ناحيم كوهين) ادعى أنه المسيح المنتظر.. وأخذ يهاجم شبتاي وأرسل كتاباً إلى الحكومة العثمانية يقول فيه إن شبتاي يسعى لتأسيس دولة ضمن دولة. نقلاً عن المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي «المناضل» العددان ٢٢١ ــ ٢٢٢ حزيران، تموز ١٩٨٨ ، ص ٤٥ ــ ٤٦ . المترجم. غ. ك.

سدت لبعض الوقت الخلل في القلعة الصهيونية بعد إخفاق خرافاتها عن «الاضطهاد اليهودي في روسيا»، والتي أحدثت أمنية لدى بعض اليهود بالذهاب حتى إلى فلسطين. ولولم يظهر هتلر، لكان الصهاينة قد اختلقوه، وتم بمساعدته إعادة ما كان قد أشرف على الموت إلى انتعاشه مع مرور الوقت.

الروح اليهودية

إن الأوضاع القائمة في يومنا هذا، كان قد تنبأ بها الكاتب الألماني «ولهلم مار»، منذ ١٠٠ سنة مضت أو أكثر، (لقد تم تأليف هذا الكتاب في عام ١٩٥٥ ـ المترجمون الروس) حيث كان في حينه الثوري والمتآمر والمعين «للجماعات السرية»، تلك الجماعات التي حضَّرت للانتفاضات المخفقة في عام ١٨٤٨ (كانت قيادتها يهودية وفقاً لرأي دزرائيلي). وقد اتسمت مؤلفاته في ذاك الوقت، بالنزعة التلمودية الواضحة رغم أنه لم يكن يهودياً: وهي ـ نتاج صريح ضد المسيحية، وملحدة وفوضوية، ومن ثمّ، مثله في ذلك مثل باكونين اللذين تجمعهما صفات مشتركة كثيرة. فقد عرف تماماً الطبيعة الحقيقية للقيادة الثورية وكتب في عام ١٨٧٩يقول: «**لدي يقين راسخ، بأن قيام الأمبريالية اليهودية ـ مجرد مسألة وقت. والامبراطورية العالمية تخص اليهود وحدهم... الويل للمهزومين؟! ... وليس لدي أدنى شك، بأنه لن تمضي فترة أربعة أجيال، حتى لا تبقى هناك وظيفة واحدة، إلا وستصبح في أيدي اليهود، بما في ذلك أعلى الوظائف في الدولة... وفي هذه اللحظة توجد دولة وحيدة فقط وسط جميع الدول الأوروبية وهي روسيا، تتحمل أعباء الضغط اليهودي، وترفض الاعتراف بأي مساواة بسبب تدخل الغرباء في شؤونها الداخلية. وروسيا هذه ـ هي آخر برج محصن في أوروبا. وضدها تحديداً يحضّر اليهود ضربتهم القاضية. ونظراً لسوء الحال فإن الاستسلام الروسي ـ ربما كان هو الآخر مسألة وقت أيضاً** (كتبت في سنوات عربدة وسطوة الإرهاب الثوري في روسيا، أو ربما بعد سنتين أو قبل المحاولة السابعة بالحساب ـ حالفها النجاح في هذه المرة ـ وهي محاولة اغتيال القيصر المحرر

الكسندر الثاني ـ المترجمون الروس)، وفي هذه الامبراطورية المترامية الأطراف سيجد اليهود قاعدة ارتكاز متينة لهم، إذ يستطيعون عبرها لمرة واحدة وعلى الدوام إرباك أوروبا الغربية وهزّ أركانها. ودعا المتآمرون اليهود داخل روسيا إلى الثورة، التي لم يشهد مثيلها العالم بعد... وفي الوقت الحالي مازال اليهود يخشون الطرد من هذه الدولة (روسيا). غير أنه ما إن يتم طرح روسيا أرضاً، فلن يخافوا من أي شيء، وعندما يستولي اليهود على السلطة في الدولة الروسية... سيلجؤون إلى تدمير المنظمات الاجتماعية في أوروبا الغربية، ويحين موعد الساعة الأخيرة لأوروبا متأخراً مئة أو مئة وخمسين سنة» و«هكذا تتحقق نبوءة المجاهد القفقاسي الكبير الشيخ «شامل» الذي قال للقائد الروسي الذي انتصر عليه: **(قل لقيصرك إنه لم ينتصر علينا بقوة جيوشه وتعدد أسلحته، بل بفضل المؤامرات اليهودية التي غذاها في ربوعنا، فليحذر بدوره لأنهم سينالونه في يوم ما، دون أي ريب)**[1].

ويبين الوضع الحالي الذي تسببت به الحرب العالمية الثانية، على أن هذه التنبؤات تم تنفيذ أغلبها. ولا ينقصها سوى اللمسات الشكلية النهائية لها. وفيما يتعلق بهذه الجملة الأخيرة، فمن الجائز تماماً أن «مار» رأى أن الحالة ميئوس منها للغاية. لم يعلم التاريخ العالمي حتى تاريخه، لاقرارات عكسية ولا انتصاراً نهائياً ولا احتلالاً دائماً ولا أسلحة لا يمكن قهرها مطلقاً. تبدو الكلمات الأخيرة «لتاريخه» كأنها كلمات العهد الجديد دائماً: «هذه ليست النهاية». غير أنه لايترك مجالاً لأي شك، أن العصر الأخير الذي تنبأ به «مار»، في الفصل الثالث من الدراما سيكون في القرن العشرين، وهاهو يجري أمام أعيننا أيضاً مهما كانت نهايته، ومهما كانت عواقبه ومهما كانت استعداداتهم لوضعه حيز التنفيذ؛ فقد استطاع التلمود من جديد الاستحواذ على الروح اليهودية في أسره. وكان الكاتب والمؤرخ المشهور اليهودي من نيويورك «جورج سوكولسكي»، المذكور من قبلنا سابقاً، ألمح في كانون الثاني من عام ١٩٥٦ أنه «**ظهرت سابقاً معارضة لايستهان بها وسط اليهودية العالمية ضد الصهيونية، ولكن هذه**

---

(١) ـ المفسدون في الأرض «جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ» س. ناجي الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص. ٢٢٩ . المترجم ـ غ.ك.

المعارضة انتهت مع مرور بضع سنوات، وهناك حيث كانت لاتزال موجودة، فقد كانت عديمة الجدوى وكان يجب أن تختفي. وإن المعارضة في الولايات المتحدة الأمريكية ضد إسرائيل عديمة الشعبية كلياً». إن عدد الأصوات القليلة التي تحذر مازالت ترتفع أحياناً، وهي شبيهة بتلك التي كان يرفعها النبي القديم أرميا، وجميعها تخص اليهود تقريباً. ولاينحصر الأمر في أن الكتّاب والمطبوعات غير اليهودية أقل خبرة واطلاعاً وقصيرة النظر وأقل شجاعة، بل أصبحت منذ زمن بعيد كتابتها غير دقيقة مادامت الاعتراضات اليهودية يمكن أن تسمع إلى حدود معروفة بما أنها منبثقة عن «ذوينا» في ذلك الوقت، الذي تكون فيه الاعتراضات والانتقادات من قبل غير اليهود لانسمح بها اطلاقاً.

الذروة والأزمة

لقد تم تأليف هذا الكتاب مابين ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢ وأعيد النظر فيه من جديد خلال أعوام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ وتمت كتابة خاتمته في تشرين الأول وتشرين الثاني من عام ١٩٥٦ وكان هذا الوقت مناسباً لكي يتم تلخيص التأثير التلمودي الصهيوني على مجرى التاريخ البشري، لأنه في ذلك الوقت كان قد مضى نصف قرن من هذا التأثير «قرننا اليهودي» كما أنه منذ تلك اللحظة بدأ هذا التأثير يطفو على سطح الحياة السياسية، بعد أن كان تحت الماء مدة تزيد أو تنقص عن ١٨٠٠ عام. وفي هذه السنوات وتحديداً في عام ١٩٥٢ جرت أحداث مشابهة في علم البيولوجيا (الأحياء)، عندما ظهر فجأة على سطح المحيط الهندي صنف من الحيوانات السمكية اللاحشوية التي كانت في عداد الحيوانات المنقرضة منذ ملايين السنين الماضية. إن ظهور هذا الأنموذج من الحيوانات قوض بقوة نظرية الارتقاء والتطور «لداروين»، والمعاناة الأكثر أيضاً، كانت كما تبين بعد مضي بعض الوقت، هي أن جماجم «بيل داونت» ذائعة الصيت بدت مزيفة. وعندما ظهر فجأة اللاويون الصهاينة في مطلع قرننا الحالي على سطح الحياة السياسية للقرن العشرين، كان هذا أيضاً بمنزلة مفاجأة شبيهة بظهور ذلك الصنف من الحيوانات السمكية اللاحشوية من أعماق الزمن. وكان الاقتراح الإنكليزي بخصوص أوغندا عام ١٩٠٣ من أولى الخطوات التي أصبحت معروفة للرأي العام، مشيراً إلى أن السياسيين الغربيين، كانوا منذ فترة بعيدة يساومون «القوى اليهودية» كوحدة متكاملة. وأن استقبال «بلفور» في عام ١٩٠٦ «لحاييم وايزمان» في أحد الفنادق[1]، بعد أن كان اليهود قد رفضوا

---

(١) ـ يقول حاييم وايزمان في كتابه «Trial sError» في معرض حديثه عن أول مقابلة له مع «بلفور» سنة ١٩٠٦ ، أي قبل إعطاء الوعد المشؤوم المشهور بأحد عشر عاماً ما يلي: ←

العرض بشأن أوغندا يمكن النظر إليه كخطوة ثانية في خضم الأحداث المتشابكة وخطوة أولى على الطريق المحتوم بالقضاء والقدر لتوريط الغرب بالكامل في النشاط الصهيوني بشأن فلسطين[1].

وفي هذا العام ١٩٥٦ احتفلت الثورة العالمية ذات الأصول التلمودية التي رأى مؤلف هذا الكتاب بأنها مؤكدة بصورة لاتدحض بالذكرى الخمسين لقيامها (إذا ما حسبنا هذه السنوات من «البروفة الرئيسية» للثورة الروسية عام ١٩٠٥ التي استغلت اللحظة المناسبة لهزيمة روسيا في حربها مع اليابان، حيث تكالبت على روسيا تلك القوى «تحت الماء» بمساندة المال الأمريكي والأسلحة الإنكليزية ــ المترجمون الروس) والتي عدت بمنزلة عوامل دائمة لحياتنا السياسية. ومن البدهي أن جذور هذه الثورة «تحت الماء» ممتدة بعيداً لفترة طويلة عبر الهزات الثورية في أوروبا عام ١٨٤٨ وحتى الثورة الفرنسية وعصر «ويسهاوبت» وقبل ذلك بكثير في إنكلترا وقائدها «أوليفير كرومويل». وفي النهاية لقد كان

← «سألني بلفور»: لماذا يعارض بعض اليهود الصهاينة مشروع «أوغندا» معارضة شديدة، مع أن الحكومة البريطانية كانت تسعى مخلصة لتعمل كل ما يخفف من تعاسة اليهود وحل مشكلتهم؛ فالمشكلة واقعية وتستدعي حلاً واقعياً. وكان جوابي له أشبه بالمحاضرة عن الصهيونية، وقد شددت كثيراً على الجانب الروحي للصهيونية، مشيراً إلى أنه ليس من شيء يستطيع أن يبقي هذه الحركة حية فاعلة إلا الإيمان الديني الراسخ المتخذ له مرتكزاً من التعابير السياسية الحديثة؛ وبأن هذا الإيمان يجب أن يتركز على فلسطين، وفلسطين فقط، وأن أي انحراف عن فلسطين يكون بمنزلة الكفر بهذا الإيمان. نقلاً عن مجلة «اتجاه» أسبوعية سياسية فكرية، بيروت، العدد الخامس ص٤٨٧ . المترجم غ.ك.

(١) ــ صدر تصريح الحكومة البريطانية يوم الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧ باسم «وعد بلفور» كان ذلك التصريح مقتضباً ونصه الآتي: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وهي مستعدة لاتخاذ كل التدابير التي من شأنها أن تعمل على بلوغ تلك الغاية، على أن يفهم ضمنياً بانه لن يسمح بأي أجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها القوميات غير اليهودية القاطنة في فلسطين ولا بالحقوق او بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر». طلع الرئيس الأميركي ويلسون على الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية بتفسير خاص للتصريح ذهب إلى أبعد ممّا ذهبت إليه الحكومة البريطانية، فقد صرح يقول: «إنني أعلن بأن الأمم الحليفة قد قررت، وبدعم كامل من حكومتنا وشعبنا، أن تضع اسس الدولة اليهودية في فلسطين» من كتاب «الصهيونية بلا قناع» ايفان دونيف تعريب فرات الجواهري الصادر عن دار الفارابي ــ بيروت ١٩٧٤ . ص٢٥ . المترجم ــ غ.ك.

عام ١٩٥٦ هنا أيضاً عاماً جديداً من الانتخابات الهزلية العادية للرئيس الأمريكي التي تجلت فيها الأمور أكثر من أي وقت مضى، حيث تم التلاعب بالوضع القائم وشله بضغط من جهة الصهيونية. وبعبارة أخرى، لو أن مؤلف هذا الكتاب استطاع التخطيط لظهور هذا الكتاب قبل فترة، عندما بدأ بتأليفه في عام ١٩٤٩ لما كان بالامكان التعبير عما قصده، وكان من الصعب انتقاء الكلمات أكثر مما هي في هذه اللحظة المناسبة، أي في خريف عام ١٩٥٦ لكي يلخص وصف العملية وعواقبها حتى هذا التاريخ، للإشارة أيضاً إلى اقتراب نهايتها لمرحلة الأوج ونقطة الذروة في وصف تطور الأحداث ونهاية الأزمة، التي حاولوا الوصول إليها حتماً.

ولم يراود المؤلف خلال فترة إعداد هذا الكتاب أية أوهام محددة فيما يتعلق بـإمكانية طباعته، للأسباب الواضحة لكل إنسان يقرؤه: فأي أمل بطباعته في القرن اليهودي كان بمنزلة مهزلة ويعد ذلك مضحكاً. غير أن عدم ظهور الكتاب إلى الوجود للآن لن يفقده أهميته، حتى ولو كان ذلك بعد /٥/ سنوات أو /١٠/ سنوات أو لسنوات عديدة أكثر. وتوقع المؤلف أن يرى كتابه النور في تلك اللحظة، حينما يتحطم في نهاية الأمر نظام الرقباء السريين، الذين اقتفوا أثر أي بحث يخص «المسألة اليهودية» خلال الثلاثين سنة الأخيرة، وعدّوا ذلك بمنزلة هرطقة. وسيأتي وقت في يومٍ ما يصبح فيه بالإمكان إجراء نقاش علني حول هذه المسألة. وما هو مكتوب في هذا الكتاب يمكن أن يبدو ممتعاً لدرجة ما (إن الطبعة الأولى لكتاب «جدل حول صهيون» باللغة الإنكليزية، كانت قد طبعت من قبل زملاء المؤلف بعد وفاته في عام ١٩٧٨ وهذا يعني أنه لم يتم طباعته إلا بعد ٢٢ سنة من انتهاء تأليفه، وتعد الترجمة الروسية الترجمة الأولى الوحيدة التي نقلت هذا الكتاب إلى لغة أجنبية (كما تعد الترجمة العربية هي الثانية بعد الترجمة الروسية حيث نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية لأول مرة عام ١٩٩٦ ــ المترجم غ.ك). وبغنى عن الإشادة، فإن هذا الكتاب لم يفقد أهميته في يومنا هذا بل على العكس تماماً إن ما كتب فيه يعد تأكيداً حقيقياً على الحقائق السياسية المعاصرة، والاستيعاب الكامل لها يمكن أن يتوقف على قراءة «جدل حول صهيون» لأول مرة ــ المترجمون الروس). على كل حال، حتى لانقع في أي إشكال مستقبلاً، فإن مؤلف هذا الكتاب، انتهى من تأليفه في

تشرين الأول وتشرين الثاني من عام ١٩٥٦ كما ذكرنا سابقاً، وعندما التفت المؤلف حول نفسه شاهد أن كل شيء مسترسل كما هو في المفكرة اليومية، هكذا تماماً كان توقعه على أساس الحقائق المعروضة فيه. وكان عام ١٩٥٦ العام الذي سرت فيه الأنباء عن وقوع الحرب قريباً، حيث كانت في هذه المرة قوية وملحة أكثر من أي وقت مضى منذ الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، وانبثقت هذه الأنباء من قبل الحركتين اللتين كان لا بد أن تظهر عنهما تلك الأنباء بسبب ما ارتكبه القادة السياسيون في الغرب عام ١٩٤٥ . وتعالى الصراخ عن الحرب من فلسطين، في هذا المكان الذي قام فيه الغرب بتجميع الصهاينة عنوة من روسيا ودول أوروبا الشرقية، حيث نشر الغرب الثورة التلمودية بمساعدته، وإذا لم يكن ذلك بقوته فبماله. ويرى مؤلف هذا الكتاب أنه من المفيد أن يذكر أن هاتين الحركتين كانتا هما الثورة الشيوعية، والثورة الصهيونية، حيث تطورتا كما يشهد بذلك حاييم وايزمان في مكان واحد وفي أماكن مختلفة من روسيا في نهاية القرن التاسع عشر، وكثيراً ما عاشتا في وفاق ووئام مع بعضهما بعضاً في داخل هذه العائلة اليهودية أو تلك.

إن الصراخ الذي تعالى مرتين خلال السنوات الأخيرة على لسان السياسيين الغربيين كان قوياً كالعادة، والأسباب المباشرة في كل حالة من هذه الحالات هو ظهور فزع غيّبهم عن الوعي، حيث احتل المرتبة الأولى الصراخ الجديد عن «اليهود الفقراء»، إذ تم الايحاء للجماهير قبل فترة طويلة من بداية هذه الحرب (التي أمكن تجنبها في هذه المرة) أنه إذا ما بدأت الحرب فيجب عليها بالدرجة الأولى أن تقود إلى تحقيق مصالح اليهود أو الدفاع عنهم (أو عن إسرائيل). وقد أكد المؤلف مراراً أن أي حرب عالمية ثالثة إذا ما اندلعت فستتحلى بهذه الطبيعة تحديداً، بما أن تطور الأحداث في مرحلة أعوام ١٩١٧ ــ ١٩٤٥ قد أدى إلى هذه النتيجة المؤكدة، أما أحداث ١٩٥٣ ــ ١٩٥٦ فقد أكدتها بوضوح أكثر. والحروب التي نقف على عتبتها في ١٩٥٣ ــ ١٩٥٦ كان يجب أن تقود الغرب بصراحة إلى هذا المخطط، وفي كلا الحالتين، هذا اعتراف علني وجلي أكثر بكثير من ذي قبل مما كان في فترة كلا الحربين العالميتين الماضيتين، عندما لم يكن هناك وجود لفكرة بأن هذا الكتاب سيرى

النور، و«الرأي العام» كثير النسيان ـ إذا لم يتضح أنه كان لتلك الفترة قد انجرَّ إلى حرب عالمية جديدة ـ تناسى الأزمات الحربية منذ زمن طويل، أو الأزمات «شبه الحربية» خلال أعوام ١٩٥٣ و١٩٥٦ ولذلك لايحمّل نفسه عناء تذكرهم.

وضمن قائمة المتهمين المقدَّمة في عام ١٩٥٣ إلى المحاكمة العلنية في موسكو (لكنها لم تنعقد في هذه المرة)، كانت قد ظهرت نصف دزينة من اليهود، (وهذه مهمة جداً لاختلافها عن المحاكمات المماثلة في الثلاثينيات هناك أيضاً)، الذين أشير إليهم بشكل خاص، كما هم بصفتهم جماعة مجرمة متهمة بجرائم خطيرة أو خيالية. وأصبح واضحاً بأن العقوبات التي ستصدر كان يجب ألّا تقع عليهم وحدهم. وتعالى بسرعة في أجواء السياسة الغربية صراخ تاريخي عن «اليهود» ووصفهم بأنهم حمير شاردة «للإبادة» المقبلة. بلغ هذا الصراخ أبعاد الأخطار المباشرة للحرب، غير أن ستالين وعلى غير موعد جرّب تغيير سير العملية، لتهدأ الضجة على أثرها في الغرب. إن هذه الحادثة لم تدع مجالاً لأي شك، حسب رأي المؤلف، في أنه إذا مابدأت الحرب «ضد الشيوعية» (وقد تحدث وكتب سياسيو الغرب والصحف في تلك السنوات كما لو أنها أحداث محتملة تماماً) فإنها وفي هذه المرة يكون قد تم تدبيرها من أجل اليهود كما تم إعلان ذلك بشكل واضح خلافاً لما هو عليه حال الحروب السابقة. أما ما اقتضى الحديث به لانقاذ البشرية المستعبدة من الشيوعية، فقد جرى الحديث عنه مراراً بشكل جزئي جداً، كما كان عليه الحال حينها عام ١٩٤٥ .

وفي تموز من عام ١٩٥٦ دوَّت من جديد أخطار الحرب، عندما أقدمت مصر على تأميم قناة السويس، أي أنها أعادت سيادتها علىالقناة واستردتها من سيطرة اتحاد الاحتكارات العالمية، هذه السيطرة القائمة لتاريخه، وعلّل رئيس وزراء بريطانيا هذا الخطر أمام الرأي العام البريطاني خلال الأيام الأولى للأزمة، على أساس أن ما أقدمت عليه مصر وجه طعنة قاتلة «لشريان طرق المواصلات البريطانية الحيوية» غير أنه، انتقل بسرعة إلى مواضيع أكثر حساسية، حسب رأيه) وحجته في ذلك «إذا ما خضعنا لمصر في هذه المرة، ففي المرات القادمة سيكون تصرفها هو الهجوم على إسرائيل)، وحينها بدأت الصحافة العالمية تزعق

بالإجماع على أن إشراف مصر على قناة السويس ستعاني منه بالدرجة الأولى وأكثر من الجميع الدولة الصهيونية، وبعبارة أخرى، إن الحرب في الشرق الأوسط إذا ما نشبت يجب أن تكون حرباً من أجل اليهود.

وفي النهاية، في هذا العام ١٩٥٦ أقيمت تمثيلية عادية لانتخاب رئيس أمريكي، لسبع مرات متتالية بإشراف المخرجين الصهاينة وفي المرة الثالثة بتمويل كامل منهم علناً في نيويورك. وقد تحولت الحملة الانتخابية إلى سباق من أجل كسب «أصوات الناخبين اليهود»، زد على ذلك أن كلا الحزبين المتنافسين (الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي في امريكا) سعيا إلى تفوق أحدهما على الآخر بـإعطاء ضمانات ووعود لليهود بتزويد الدولة الصهيونية بالأسلحة والمال والضمانات السياسية. وعلى عتبة الحرب في هذه المنطقة من العالم، قدم قادة الحزبين السياسيين في أمريكا وعداً صريحاً علنياً بتقديم كافة أشكال الدعم والمساندة لإسرائيل في أي وقت من الأوقات، بغض النظر عن حدوث أشياء معينة.

هذه النتائج العملية، التي تضمّنها كتابنا هذا منذ بدايته كان توقعها سهلاً جداً. والاستنتاج بشأن مستقبلنا يعد أمراً مفروغاً منه: إن الملايين من سكان الغرب المعاصر قُيِّدت بسبب ذنب ارتكبه ساستهم وعدم مبالاتهم الشخصية ببرميل البارود المزود بفتيلة مشتعلة، هذه الفتيلة التي أصبحت قصيرة جداً في نظرنا. حيث يقترب الغرب في علاقاته مع صهيون من نقطة الذروة، التي بدأت علناً في مطلع القرن العشرين، وستكون النهاية كذلك حتماً كما أمكن توقعها في بداية هذه العبودية الإقطاعية الجديدة.

تم طبع الكثير من المؤلفات بعد الحربين العالميتين في قرننا الحالي، التي حللت بشكل ممتاز أسباب الحروب وبيّنتها خلافاً لما تحدثت به الجماهير أو «سواد الناس» في بداياتها، وكما يبدو فقد تمّ على الأغلب تحديد المسؤولية عن الحرب، واستخدمت هذه المؤلفات دائماً بنجاح، لأن مطالبات البحث والتحليل تحل محل الثقة المحتومة خلال الحرب. ولكن هذه المطبوعات كانت غير مؤهلة لكي تترك أثراً لفترة طويلة، بما أن الجماهير ستقع لدرجة ما في بداية أي حرب قادمة، تحت تأثير ضغط المحرضين، كما كان سابقاً، لأن إمكانياتهم في مواجهة الدعاية الجماهيرية محدودة، وسم الدعاية قادر على خلق مفعول ثمل. ومن

عادة الجماهير أنها تميل إلى غضّ نظرها حين اقتراب الخطر، ويصعب القول ما إذا كانت هذه المعلومات الكاملة والعامة قد استطاعت قبل بداية الحرب من التغلب على هذه الطبيعة الغرائزية لدى الجماهير. وكما هو واضح حتى الآن لم يخطر ببال أحد أن يجرب القيام بأي عمل من هذا القبيل. إن أحد الأهداف المتواضعة التي وضعها هذا الكتاب لنفسه يعد تبيان أصول وطبيعة الحروب، والمسؤولية عنها أيضاً يمكن أن تكون مقررة قبل بدئها، وليس بعد أن تصل إلى الطريق المسدود فقط. ويتضح لنا بأن محتويات هذا الكتاب كافية، لتبيان ذلك بوضوح والبراهين عنها تجد الاثباتات خلال سير الاحداث، وتبين للمؤلف أيضاً، أن هذه البراهين وكما هي نتائجها اثبتت بشكل قوي في الاحداث التي عصفت بالغرب أعوام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ ، لذلك فإن المؤلف عازم على إرجاء ما تبقى لخاتمة هذا الفصل لتلخيص الأحداث الهامة في هذه السنوات:

١ ـ في الدولة التي استعبدتها الثورة.

٢ ـ داخل وحول الدولة الصهيونية.

٣ ـ فيما يسمى «بالعالم الغربي الحر» وتبين للمؤلف أن بـإمكان هذه المواضيع أن تضيف الكلمات الختامية لروايته: والنهاية ليست وراء الجبال.

١ ـ الثورة:

لقد دمرت الثورة العالمية نصف أوروبا المستعبدة من قبلها في الأراضي التي انتصرت فيها، حيث أعقبها بعد وفاة جوزيف ستالين في عام ١٩٥٣ انتفاضات شعبية خلال أعوام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ . وغمرت الآمال بقية العالم المتتبع لما يجري مجدداً، هذه الآمال تنحصر في أنه سيأتي يوم رائع تدمر فيه الثورات نفسها بنفسها، وستنال الشعوب والدول حريتها مجدداً. أصبح المغزى الواضح للأحداث ضبابياً من جديد بسبب التدخل التعسفي «للمسألة اليهودية»، سيئة الصيت في كل حدث من هذه الأحداث. ولايسمح للجماهير العريضة في «قرننا اليهودي» بالحصول أو مناقشة المعلومات عن أية حوادث جسيمة ما، عدا تلك التي لها معنى «لليهود».

وقد كتب المراسل «غاريسون سولسبيري» من موسكو، والمطلع جيداً على

دوافع وفاة «ستالين»، أنه بعد «ستالين» حكم روسيا مجموعة أو زمرة «أكثر خطورة من ستالين، تتألف من مالينكوف، ومولوتوف وبولغانين، وكاغانوفيتش وقال المراسل: إنه من الممكن جداً بهدف الاستيلاء على السلطة أن تكون هذه الزمرة قد قتلت ستالين، وقد أشارت أدلة كثيرة إلى ذلك «إذ كان في الثاني من آذار قد حصل لدى ستالين في الحقيقة نزيف دموي في الدماغ، فهذه الحالة استدعى النظر إليها كإحدى المصادفات الغريبة في التاريخ».

إن وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي إلى تلك الفترة لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، ووفقاً للتقديرات اليهودية الجديدة في الغرب، فإن عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي كان زهاء (٢) مليون يهودي، أي ١٪ من أصل ٢٠٠ مليون من عدد سكان الدولة، (إن هذه المعلومات مأخوذة من الاحصائية السوفيتية السنوية حزيران عام ١٩٥٦).

وفي هذا العام نفسه، عندم طرح النائب «كيت كلاردي» سؤالاً على الشاهد اليهودي أمام لجنة الكونغرس الأمريكي: ألا يبعث في نفسك الرعب ما «تفعله مع اليهود» روسيا السوفيتية؟! فأعطاه هذا الشاهد جواباً ساخراً: إنهم في الاتحاد السوفياتي مازالوا في ظل المساواة أكثر من غيرهم» وظلوا طبقة ممتازة مثلما كانوا في السابق. لقد كانت موجات الاستياء الصاخبة في الغرب، شبيهة بثقب في كأس ماء، ولم تمتلك أي أسس عملية. ومع ذلك، احتدموا غيظاً حتى التهديد المباشر بشن الحرب، ولأمكنهم بسهولة اجتياز هذه الحدود، لو لم يقتل «ستالين» في الوقت المناسب. كان يمكن أن يكون لجميع هذه الأشياء سبب وحيد وهو: لقد ناهض «ستالين» الصهيونية، وعدّ القادة السياسيون الغربيون معارضة الصهيونية خلال عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ مساوية في نظرهم «للهتلرية» وبمنزلة استفزازات حربية. وتؤكد هذه الأحداث أن التحريضات الدعائية كان يمكن أن تطلق أبواقها في أي لحظة يتم فيها كبس الزر، وتوجه في أي جهة كانت مستقلة عن حاجة اللحظة لذلك (لانستثني حتى أمريكا نفسها في نهاية الأمر)، عن طريق ايصال هذه التحريضات الدعائية لدرجة الاحتدام غيظاً، لكي يضطروا إلى تنفيذ جميع الالتزامات الضرورية بسهولة، والتي يمكن أن تُطلب منهم في المستقبل.

٢ ـ الدولة الصهيونية:

لقد عد ظهور «الدويلة» الصغيرة تحت اسم «إسرائيل» في هذه السنوات ظاهرة تاريخية منقطعة النظير، فكّر بإنشائها وأقام إدارتها اليهود الخزر، خصوصاً ان سكانها ليسوا من اليهود «الساميين»، بل من اليهود الخزر، الذين تعود أصولهم إلى روسيا. وأقيمت هذه «الدويلة» على أساس التقاليد القديمة للعشيرة، التي لم يكن ولا يمكن أن يكون بين شعوبها الحد الأدنى للقرابة الدموية والتاريخ المشترك، ونمت بتعصب شوفيني همجي على أساس التطبيق الحرفي لشريعة اللاويين اليهود القدماء، ولم تمتلك بمساحتها واقتصادها الضئيل مقومات إقامة هذا الكيان بصورة مستقلة وحدها، وعاشت منذ إعلان كيانها مستخدمة المال والأسلحة التي ابتزها أنصارها المتنفذون ومؤسسوها المؤهلون من الدول الغربية العظمى، وتفوقت خلال السنوات الأولى القليلة لقيامها بلغة الحرب، وأصبحت أعمالها الحربية أكثر من أعمال جميع الذين كانوا في يوم ما معروفاً عنهم أنهم مشعلو الحروب ومحرضوها، وهددت يومياً العرب بالإبادة والاستعباد المكتوبين لهم في شريعة اللاويين (سفر التثنية).

لم تخف يوماً أمام الجميع أن سلطتها في عواصم الدول الغربية كافية لكي لاتسمح لحكوماتهم بأن تعارضها في أي شيء، وتوفّر لها المساندات المطلوبة في جميع الظروف. وقدمت نفسها كما لو أن أمريكا بالاخص مستعمرة لها، وتلاءمت السياسة الأمريكية مع هذه الفكرة. فأصدرت القوانين التي تحرم الزواج المختلط (مابين العرب واليهود) كما منعت تغيير الدين. لا تختلف هذه القوانين بشيء عن «قوانين نورمبرغ الهتلرية» سيئة الصيت، التي كان على ألمانيا المهزومة أن تدفع الثمن غالياً بسببها لإسرائيل. وعاش على تخوم «إسرائيل» (بموجب قرار التقسيم رقم ١٨١ الذي صدر عام ١٩٤٧ عن الأمم المتحدة حول فلسطين وأدى إلى إنشاء الكيان الصهيوني ـ المترجم غ.ك) العرب الفلسطينيون في فقر مدقع، بسبب اغتصاب أراضيهم وطردهم إلى أراضٍ قاحلة، ليسكنوا في نهاية الأمر في مخيمات للاجئين؛ وازداد عددهم خلال ثماني سنوات من قرار

التقسيم حتى وصل إلى مليون فلسطيني. وواصلت «إسرائيل» هجماتها المستمرة على العرب الفلسطينيين وشردتهم، وارتكبت المجازر البشعة بحقهم، مما اضطرهم للنزوح واللجوء إلى الدول العربية المجاورة، هذه المجازر التي ذكّرت باستمرار بأن مصير مذبحة دير ياسين معلقة في رقاب الصهاينة: «**إبادة حتى آخر رجل وامرأة وطفل، ولم تدع الصهيونية أي شيء حي يتنفس**». والدول الغربية التي أنشأت هذه «الدويلة» الغريبة وسط العرب، تفوهت بجبن بكلمات لامت فيها هذه «الدويلة»، في الوقت الذي كانت ترسل إليها الأموال وكل ما تحتاجه للحرب، وكأنهم كانوا يخافونها، وأمّنوا الأدوات التدميرية ضد العرب الفلسطينيين الذين لم يعودوا يملكون السلطة.

وحسب الفكرة التي شكلتها عن نفسها، كان يمكن أن تمنى هذه «الدويلة» بالإخفاق الكامل الشبيه بذلك الذي تكبده «الوطن القومي اليهودي» مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية. وقد غلبت محاولات الهجرة منها على طابع الهجرة إليها، بغض النظر عن كل قوتها الشوفينية التي استخدمتها، في فترة كانت فيها مؤهلة لتحقيق الانتصار على الآخرين الذين أذعنوا لها. وبعد ثلاث سنوات من إنشائها، أي في عام ١٩٥١ فاق عدد الذين غادروها عدد الذين وصلوا إليها، وإن كنا لم نذكر ذلك سابقاً، فهذه «ثغرة غير متوقعة». وقد كشفت (صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون في نيسان عام ١٩٥٣) عن «الستار الحديدي» (الاتحاد السوفييتي سابقاً)، الذي كما هو معروف، لم تكن تحصل فيه الثغرة إلا إذا هم سمحوا بذلك عمداً. إن الدولة الثورية ـ الشيوعية، كان لها مصلحة بصراحة في تزويد «إسرائيل» بالسكان الثوريين الصهاينة، وبغض النظر عن كل ما حصل، فقد وصل إلى إسرائيل في عام ١٩٥٢ /٢٤٤٧٠/ مهاجراً، وغادرها في الفترة نفسها /١٣٠٠٠/. والمعلومات الاحصائية الأخيرة التي حصل عليها مؤلف هذا الكتاب في عام ١٩٥٣ تؤكد بأن عدد المهاجرين من إسرائيل تجاوز عدد المهاجرين إليها، وفقاً لمعطيات الوكالة اليهودية.

وقد وصف عضو الحزب الإسرائيلي «التحريفي» «غورفيج» في نيسان من عام ١٩٥٣ الفساد الذي أصاب الدويلة الصهيونية أمام اللقاء الصهيوني في

جوهانسبورغ[1]، وحسب كلماته لا يمكن غض النظر عن الواقع المضطرب لإسرائيل: «**إن الدولة تقف على حافة الإفلاس من الناحية الاقتصادية، وقد انخفض عدد المهاجرين إليها، فالعدد الكبير الذي غادر الدولة في الأسابيع الأخيرة كان أكثر من الذين وصلوا إليها، فضلاً عن ذلك فقد وصل عدد العاطلين عن العمل إلى مايقرب من /٥٠٠٠٠/ خمسين ألف شخص، والآلاف الكثيرة الأخرى تعمل في ظل تخفيض ساعات العمل**».

إن هذا الوضع المضطرب الذي تحدثنا عنه، أعطى «الدويلة اليهودية الجديدة» إمكانية العيش مدة غير محددة بمساعدة أمريكا عبر حقنها بالأموال الطائلة. وتؤكد «التعليقات» الشهيرة اليهودية أن مجموع المساعدات المالية من قبل أمريكا بدءاً من حزيران عام ١٩٥٣ وصلت إلى حدود /٢٩٣/ مليون دولار[2] وتم تقديم قروض مصرفية بعدها بمبلغ /٢٠٠/ مليون دولار بشكل تصدير واستيراد، وفي تشرين الأول من عام ١٩٥٢ كان ممثل البرنامج «المساعدات التقنية في «القدس» الذي أشرف على تنظيمه الرئيس الأمريكي «ترومان»»، أعلن أن إسرائيل حصلت بموجب هذا البرنامج على إعانات كثيرة، أكثر من جميع الدول الأخرى من مجمل الإعانات مقارنة بعدد السكان. وأكدت صحيفة نيويورك «هيرالد تريبيون» في ١٢ آذار عام ١٩٥٣ أن الولايات المتحدة الأمريكية «أمَّنت» لإسرائيل «أكثر من مليار دولار خلال ٥ سنوات منذ قيامها» باستثناء القروض الخاصة والتبرعات. وزيادة على ذلك، فقد دفعت ألمانيا الغربية أتاوة لإسرائيل بضغط من الحكومات الأمريكية مبلغ /٢٥٠/ مليون دولار سنوياً، ولم يتمكن المؤلف «دوغلاس ريد» من الحصول على معلومات رسمية عن مجموع الإعانات المقدمة لإسرائيل من قبل جميع الدول حتى عام ١٩٥٦ حينها أعلن الوفد السوري في منظمة الأمم المتحدة بعد العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ من قبل إسرائيل وبريطانيا وفرنسا، (إنه ابتداءً من عام ١٩٤٨ أرسلت أمريكا إلى إسرائيل مبلغ /١٥٠٠٠٠٠٠٠٠/ مليار ونصف مليار دولار بصفة تعويضات حرب، وتعويضات أخرى، ومساعدات مالية،

---

(١) ـ جوهانسبورغ: عاصمة جمهورية جنوب افريقيا. المترجم ـ غ.ك.

(٢) ـ يجب الأخذ بعين الاعتبار قيمة هذا المبلغ في تلك الفترة. المترجم ـ غ.ك.

وقروض وسندات (حتى تعويضات ألمانيا الغربية لم تدخل ضمن هذا الرقم، ولاكافة أشكال الاتاوات الأخرى المدفوعة من قبل الغرب[1]).

لم نرَ في التاريخ مثيلاً لهذا نهائياً، «دويلة» تأتيها الأموال بهذه الضخامة من وراء الحدود، لتسمح لنفسها بسهولة (في ظل هذه الإمكانيات المالية) القيام بالاعتداءات، وانتهاج سياسة عدوانية، وتهديد العالم أجمع. من المحتمل أن سلوك هذه «الدويلة» الجديدة أصبح استثنائياً بفضل ضخامة السيل المقدم من الدول الغربية، وبصورة رئيسية المساعدات المالية وغيرها من أمريكا.

٣ ـ سنوات الذروة (الأوج):

سارت الشعوب الغربية قدماً في الطريق خلال الأعوام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ للإيفاء بالتزاماتها لمساندة الثورة والصهيونية، التي قدمها قادتهم السياسيون لهاتين القوتين عبر جيلين، وخلال الحربين العالميتين.

---

(١) ـ وفي تشرين ١٩٤٨ ، كان تصريح الرئيس ترومان الذي أخذ المسؤوليات عن انكلترا التي خربتها الحرب بمنزلة فعل خضوع للصهيونية العالمية التي خدمها ويلسون وروزفلت. ومفاد هذا التصريح: «إننا نكفل دولة إسرائيل كبرى حرة وقوية بما فيه الكفاية التي تضمن لشعبها تأمين بقائها وأمنها». وقد كتب دافيد نيس في جريدة «لوموند» ١٧ آذار ١٩٧١ يقول بأن المساعدات الأميركية لاسرائيل بلغت بين ١٩٤٨ و ١٩٦٨ /١١/ مليار دولار. أضيف إليها تحويل الرساميل الخاصة (الأميركية) التي بلغت ٢٥ ملياراً. إلى هذه المعلومات الناقصة يقتضي إضافة عشرة مليارات دفعتها حكومة بون كتعويضعات وأتاوات للكيان الصهيوني إضافة إلى ٥ مليارات جمعتها المنظمات الصيهونية من فرنسا وانكلترا وإيطاليا وكندا بصرف النظر عن الهبات المجانية من الأسلحة الحربية وسائر المنتوجات التي وفّرتها حكومات هذه الدول قبل عام ١٩٥٨ . وأيضاً أكثر من مليارين جمعتهما المنظمات الصهيونية والبروتستنتية من افريقيا الجنوبية. وروسيا والكونغو (البلجيكي) وكينيا، ونيجيريا. وأوستراليا وهولندا، كما أن المستفيدين من الامتيازات في أميركا الجنوبية فرض عليهم من مليارين إلى أربعة مليارات. إذن، المجموع بحده الأدنى بلغ ٥٥ ملياراً من الدولارات حرم منها غير اليهود والمسيحيون والمسلمون، وخصص لتغذية مليونين ونصف المليون من اليهود مدة عشرين سنة، الذين طردوا الفلسطينيين من ديارهم واحتلوا أراضي بلدان عربية مجاورة (إشارة إلى احتلال شبه جزيرة سيناء والجولان والضفة الغربية عام ١٩٦٧) وهذا المبلغ يمثل ٢٤٨٠٠ دولار للفرد الواحد و ٦٦٠٠٠ دولار للعائلة المؤلفة من ثلاثة أشخاص. نقلاً عن كتاب «العار الصهيوني آفاته وكوارثه لوسيان كافرو». ديمارس عام ١٩٧٢ ص. ١٤٨ ـ ١٤٩ المترجم ـ غ. ك.

لقد أصبح واضحاً، أنه في ضوء الحربين العالميتين، ونتائج كل واحدة منها، بينت بأن أي حرب «للغرب» ضد «الشيوعية» يجب أن تكون مؤدية عملياً لهدف رئيسي وهو تزويد «الدويلة» الصهيونية بالمهاجرين الجدد من روسيا، وأي حرب في «الشرق الأوسط»، يشترك فيها الغرب، يجب أن تؤدي إلى تحقيق هدف رئيسي أيضاً وهو احتلال أراضٍ عربية جديدة لتوسيع مساحة «الدويلة» الصهيونية، لاستيعاب الكم الهائل من المهاجرين لاحقاً. وتلتقي عملياً هاتان الحربان ضد «الشيوعية» وفي «الشرق الأوسط» في شيء واحد، وهو أن كل واحدة منهما تُبقي غاية الحرب الأساسية مخفية عن الجماهير الشعبية المتحاربة إلى تلك اللحظة التي يتحقق فيها الغايات السابقة بشكل نهائي وكامل، وحتى تلك اللحظة التي تنتهي بها العمليات العسكرية نهائياً وتتدعم بأداة جديدة «للحكومة العالمية».

وكما ذكرنا سابقاً، فما إن أصبح «أيزنهاور» رئيساً لأمريكا، حتى استعجل ليؤكد لأحد «رؤساء» مجلس الكنيس الموحد الأميركي «ماكسيل إيبلا» بأنه «لايوجد لدى الشعب اليهودي صديق أفضل مني شخصياً»، وأضاف «ايزنهاور» أنه وأخوته قد ربتهم والدتهم على «تعلم العهد القديم» (كانت مدام ايزنهاور عضواً في إحدى الطوائف المسماة «شهود يهوه»). وتابع: لقد ترعرعْتُ على إيمان أن اليهود ـ الشعب المختار أهدوا ثقافتنا مبادئ أخلاقية عالية وأدبية أيضاً» حصل كل ذلك في أيلول عام ١٩٥٢ ونشر في جميع وسائل الاعلام اليهودية في العالم آنذاك[1].

واستناداً إلى تصريحات «ايزنهاور» كرئيس لأمريكا، فقد تم إبرام اتفاقية

---

(١) ـ وفي هذا الشأن صرح رئيس الوزراء الانكليزي كليمان أتلي: «كانت سياسة الولايات المتحدة في فلسطين خاضعة للناخب اليهودي، وللاعانات المالية التي يقدمها عدد كبير من الشركات اليهودية وحينما تعاون أيزنهاور مع السوفيات من أجل إيقاف العدوان الصهيوني على قناة السويس عام ١٩٥٦ لم يكن السيناتور جون كينيدي متحمساً لهذا التصرف، فاتصل به الصهاينة وأغووه برئاسة الولايات المتحدة وارسلوا إليه يقولون على لسان كلوتزنيك: إذا قلت ما ينبغي أن تقول يمكنك الاعتماد علي وإلا فلن أكون الوحيد ممن سيديرون ظهورهم لك» وفي عام ١٩٦١ قال كينيدي لـ بن غوريون بعد انتخابه رئيساً للولايات المتحدة: «اعرف أنني انتخبت بفضل اصوات اليهود في أمريكا ولهم الفضل في انتخابي فقل لي ما يمكنني فعله من أجل الشعب اليهودي». وجاء جونسون ليقدم خدمات أكثر من تلك التي قدمها سلفه، فهو الذي دعم عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ←

حول دفع أتاوة من قبل ألمانيا الغربية إلى إسرائيل، حيث أعلن وزير المالية الألماني ديلر صراحة أن حكومة بون لم تكن ترغب في أن تلعب دور المصرف الممول «للدويلة» الصهيونية، لكنها خضعت للضغوطات الأمريكية. وكتبت الصحف اليهودية في شهر ابريل من عام ١٩٥٣ تحت عنوان «إسرائيل تظهر قدرتها»،

← على العرب، وصار ٩٩٪ من اليهود الأمريكيين يدافعون عن الصهيونية الإسرائيلية، وأمطر الرئيس نيكسون إسرائيل بمختلف أنواع الطائرات الحربية، وقد رسم جيمي كارتر مسبقاً في كنيس اليزابيت في نيوجرسي، حيث قال كارتر بعد أن ارتدى لباس الحاخامات المخملي الأزرق «انني أبجل نفس الرب مثلكم، ونحن المعمدانيون (إن قول الرئيس كارتر »..ونحن المعمدون..» كما وردت في ترجمة كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ــ روجيه غارودي ــ بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٦ لايقصد بها المعمدين أي جميع المسيحيين بل هي المعمدانيون ــ وهذه طائفة مثلها في ذلك مثل «شهود يهوه»، لها عقيدتها الخاصة بها، حيث تؤمن هذه الطائفة بأن العماد الحقيقي لم يكن في نهر الأردن كما تمت عمادة السيد المسيح بل في خليج البصرة حيث اغتسل النبي إبراهيم هناك ــ المترجم غ.ك.) ندرس نفس التوراة مثلكم، ثم خلص إلى القول: إن بقاء إسرائيل لاينطلق من السياسة انه واجب اخلاقي» نقلاً عن كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية ــ روجيه غارودي ــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ . المترجم ــ غ.ك.

وفي خريف /١٩٨٧/ كما يذكر يفغيني يفسييف، نشرت صحيفة «نيويورك تايمز»: «ان كافة المرشحين للرئاسة الأميركية أجروا لقاءات مع مندوبي الصهاينة، تتعلق بمواقفهم من مشكلة الشرق الوسط، واعتبر ناجحاً في «الامتحان» من اعلن عن دعمه غير المحدود لأسرائيل»! من كتاب الصهيونية في الاتحاد السوفيتي يفغيني يفسييف، دوره الفكري والسياسي في المواجهة ــ دراسة هاني مندس ــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١ . المترجم ــ غ.ك.

وقد لعب اليهود دوراً هاماً في السياسة الأميركية. فمنذ عام ١٨٨٩ إلى ١٨٩٢ وسالومون هيرش Salomon Hirsh يمثل الولايات المتحدة في اسطنبول. وقد حلّ محله أوسكار سليمان ستروس Oscar salomon strauss من سنة ١٨٩٧ إلى ١٩٠٠ ومن عام ١٩٠٩ إلى ١٩١١ بعد أن أصبح منذ عام ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩ أميناً عاماً لوزارة الاقتصاد في واشنطن. ومن عام ١٩١٣ إلى ١٩١٦ فإن المدعو هنري مورجانتو وهو محامٍ ورئيس مصرف، كان هو الذي استلم مهام السفارة لدى الباب العالي. (ابنه استلم منذ عام ١٩٣٣ بفضل روزفلت منصب أمين عام المالية) ومن سنة ١٩١٦ الى ١٩١٩ خلفه الرابي ابرهام ايليكوس. كما أن لويس انشتاين Lewis Einstein كان سفيراً سابقاً في باريس ولندن وفي القسطنطينية وفي صوفيا. والرابي جوزيف شاوول كورنفليد فكان منذ ١٩٢٢ إلى ١٩٢٥ المبعوث الخاص في إيران. كما أن سفير روزفلت في تركيا كان اليهودي المحامي لورانس...» نقلاً عن كتاب الصهيونية والشعوب الشهيده «الحفل السّاهر الكبير» تأليف بيير هابيس ترجمة: مفيد عرنوق وإدوار عرنوق. دار النضال بيروت عام ١٩٩٠ ص٢٢١ المترجم ــ غ.ك . ومن جانبه «نوح دير» عضو مجلس بلدية نيويورك وجامع أموال ←

«لقد خرج جميع أعضاء السلك الدبلوماسي، وجميع الملحقين العسكريين الأجانب الحاضرين العرض العسكري العظيم للجيش الإسرائيلي في حيفا، والذي شارك فيه الأسطول الحربي الذي أجرى مناوراته، وتحليق الطيران الحربي فوق رؤوسهم، بانطباع مشرف، حيث حقق العرض أهدافه كاملة، وأثبت جاهزية إسرائيل في تقرير مصيرها في ساحات القتال».

هكذا بدأت المرحلة الرئاسية الجديدة في أمريكا في عام ١٩٥٣ تحت شعار «التزامات» جديدة في المستقبل تجاه إسرائيل مع موت ستالين الراقد في أضرحة موسكو، ونكون جاهزين مع إسرائيل في «تقرير مصيرها في ساحات القتال» والعمل ليل نهار مع نصف ألمانيا «الحرة» لتسديد الاتاوات لإسرائيل.

← ديمقراطي يروي أنه قبل زيارة نتنياهو الأخيرة إلى واشنطن همس كلينتون بأسماعه بالعبارة التالية: «أنا الرئيس الأكثر وداً لإسرائيل» وقد فرضت الفيتو مرتين في مجلس الأمن لمنع صدور قرار شجب بحقها، ولكني فقدت مصداقيتي أمام الدول العربية ولتنظر ماذا تكتب عني صحافتهم» نقلاً عن صحيفة الأهالي المصرية العدد ٨١٧ السنة العشرون الأربعاء ١٤ مايو ١٩٩٧ المترجم ــ غ. ك.

وفي اجتماع ضد المفسدين قال المندوب الياباني م. فوجيوارا M. Fujiwara في خطاب هام مايلي: «لايوجد حتى الآن في اليابان يهود متجنسون ولكن يوجد أساتذة وأطباء وموسيقيون من اليهود المطرودين من ألمانيا. إنهم يتمركزون شيئاً فشيئاً ودون ضجة على طريقة الجراثيم التي تعشش في الأمعاء ثم تنتشر منها إلى جميع أنحاء العالم. وإضافة إلى ذلك تأتينا مطبوعات محرضة من مصادر يهودية أوروبية على إشعال الحريق من أجل إرباك وحدة الإمبراطورية اليابانية مما يهدد بانقلاب اجتماعي تعمل اليهودية على تحقيقه.

إن الماسونية اليهودية هي التي تدفع الصينيين ليجعلوا من بلادهم قلعة أمامية للهجوم منها على اليابان التي ليست في الواقع في حرب مع الصين وإنما مع الماسونية التي يمثلها شان كان تشيك خليفة أستاذه يات سن Sun Yat sen والأداة الطيعة في يد مستشاره النشيط اليهودي دونالد. إن على الأمم الأجنبية المخدوعة بالأخبار اليهودية الملفقة، أن تفتح أعينها لتعلم أن الصراع الحالي ليس إلا حرباً تريد الماسونية اليهودية إشعالها. فالحرب التي تعلنها إذاً هي ضد الحكومة البلشفية اليهودية وسنواصل هذه الحرب حتى تدميرها. لقد ضحينا بستين ألفاً من جنودنا لانقاذ الصين من براثن اليهودية الماسونية. إن هذا الدم الغالي الذي أريق في الصين يمكن عدّه بمنزلة جرعات من الدم يلزمها حتى تتخلص من التنين ذي سبعة الرؤوس، أي اليهودية الماسونية». لم يطل الجواب عن هذا الخطاب الهام فقد تمّ قصف هيروشيما بالقنبلة الذرية بأمر الرئيس ترومان. نقلاً عن كتاب «الصهيونية والشعوب الشهيدة». المترجم ــ غ.ك.

الخاتمة

إذا كان مضمون هذا الكتاب قد خلق انطباعات قاتمة، فهذا ليس بسبب وجهة نظر المؤلف الخاصة، بل هو انعكاس لتلك الأحداث التي تم سردها. ورأى المؤلف عن طيب خاطر، بأنه كتب ليس كمراقب معني في هذا الشأن، بل كشخص معاصر ومشارك ومشاهد للأحداث التي وصفها كصحفي لم يكن مسموحاً له أن ينمّي مواهبه. لكنها تتلخص حسب رأيه في خدمة الحقيقة بلا خوف ولا وجل، وليس في خدمة أي مصلحة شخصية كانت. وتسنى للمؤلف مراقبة العدد الكثير من الأحداث ومنها كذلك حركة مسار المصالح القومية، أكثر مما كانت هذه من نصيب المؤرخين المعاصرين؛ واستطاع التحقق من خلال تجربته الخاصة، بأن الأمور لا تسير مصادفة، بل وفق مخطط مرسوم لها. وكل ما كتبه كان معبراً عن نفسه، لكن الاحتجاجات لم تكن ضد سير الحياة الطبيعية، بل ضد طمس أو إخفاء الحقيقة عن هذه الحياة. ويعد العمل الحالي ـ حديث شخص معاصر عن كيفية صنع التاريخ، وسيأتي مؤرخون بعده، سيحاولون على أساس نبش المقتطفات صنع تاريخ الأحداث بكل تفاصيله، وبهذا النجاح تحديداً، يمكن القيام بمحاولة تحديد الأحاسيس التي يتمتع بها الإنسان الملم بالحياة على أساس تشخيص هيكله العظمي، ومن الممكن أن يتسنى لهم التغلغل في التفاصيل الغامضة عن المؤلف في الوقت الراهن، وعلى الأغلب لابدّ أنهم سيجدون، أن كل ما سبق كان ضرورياً للوصول إلى تلك الحالة القائمة، التي هم أنفسهم فيها. ويرى المؤرخون هذه الحالة عادة مريحة جداً، وما بين الأساليب المذكورة لعرض الأحداث، هناك حقيقة ناصعة وكاملة، وهي أن دور المؤلف تحدده الاحتجاجات الفعالة للمساهم الفعال.

وكيفما كان الأمر، فإن المؤلف قد حلل الأحداث المستقبلية، لمُدوِّني التاريخ، الذين لن تحركهم أية عواطف أو أحاسيس، بل سيستخدمونها كمجهر، في الأماكن التي لعب فيها المؤلف دوره على مسرح الحياة، وهو من سيحرك كل هذا، ويمكن أن يساعد ذلك على تسويغ أو (فهم) ظهور العمل الحالي للمؤرخ الفعال والمعاصر الذي وصف الأحداث: فهو لم يدع أي شيء أصبح له معروفاً، فقد قدم كل مايعرفه بصورة عادلة صادقة، بقدر ما كان مؤهلاً لذلك. لقد رسم لوحة قرننا الحالي كما هي، مثلما تصورها لكونه شارك مباشرة في أحداثها، هذه الأحداث التي كانت مخفية عن الجماهير العريضة، وقدمت لهم فقط بذاك «التفسير» الذي رآه السياسيون ضرورياً لهم.

«لأَنَّهُ لَيْسَ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ، وَلاَ مَكْتُومٌ لاَ يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ» لُوقَا ٨=١٧ .

«وقد تمّت ترجمة العهد القديم مع العهد الجديد بعد صلب السيد المسيح بفترة طويلة، وبالرغم من كل المؤامرات والدسائس اليهودية ضد المسيحية، أصبحت الكنيسة تعتمدهما مرجعاً لها، وكأنهما جزءٌ واحدٌ لا يتجزأ» (وفقاً لإحدى الموسوعات المعاصرة).

الانجيل

«طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ» مَتَّى ٥=٩

«مَاجِئْتُ لِأَنْقُضَ (ناموس الانبياء) بَلْ لِأُكَمِّلَ» مَتَّى ٥=١٧

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ.» مَتَّى ٥=٤٣

«لاتَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ» مَتَّى ٦=١٩

«لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ» مَتَّى ١٦=٢٦

«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ.» مَتَّى ٢٢=٣٧ـ٣٨ـ٣٩ـ٤٠

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ.» مَتَّى ٢٣=٨

«وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ، فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ.» مَتَّى ٢٣=١١ـ١٢

«وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ

التوراة

«ثُمَّ كَلَّمَنِي الرَّبُّ»... «فِي هذَا الْيَوْمِ أَبْتَدِئُ أَجْعَلُ خَشْيَتَكَ وَخَوْفَكَ أَمَامَ وُجُوهِ الشُّعُوبِ تَحْتَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ خَبَرَكَ يَرْتَعِدُونَ وَيَجْزَعُونَ أَمَامَكَ.» ٢=٢٥

«وَإِيَّايَ أَمَرَ الرَّبُّ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَاماً لِتَعْمَلُوهَا فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا.» ٤=١٤

«وَلأَجْلِ أَنَّهُ أَحَبَّ آبَاءَكَ وَاخْتَارَ نَسْلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.» ٤=٣٧

«لِيَطْرُدَ مِنْ أَمَامِكَ شُعُوباً أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَيَأْتِيَ بِكَ وَيُعْطِيَكَ أَرْضَهُمْ نَصِيباً كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ.» ٤=٣٨

«وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. وَلاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْداً، وَلاتُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاتُصَاهِرْهُمْ.» ٧=٢

«تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ، لِأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْباً أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.» ٧=٥ـ٦

«وَتَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ الرَّبُّ إِلهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ، لَا تُشْفِقْ عَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَلاَ

الإنجيل	التوراة
أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ.» متّى٢٣=٣٠ـ٣١ «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هٰذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ، ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى.» متّى ٢٤=١٤ «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.» لوقا ٢٣=٣٤ «فَلَمَّا سَمِعُوا، رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتاً إِلَى اللهِ وَقَالُوا: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلٰهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا». أَعْمَالِ الرُّسُلِ٢٤: ٤ «فَلَمَّا سَمِعُوا ذٰلِكَ سَكَتُوا، وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ: «إِذاً أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضاً التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!». أَعْمَالِ الرُّسُلِ ١٨: ١١ «فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثاً لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ.» مِنْ رِسَالَةِ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ ١٣: ٤ ـ إِلٰهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ». إِلَى أَهْلِ أَفَسُسَ ٤=٦ ـ «لأَنَّ كَثِيرِينَ يَسِيرُونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَاراً، وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضاً بَاكِياً، .وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ.» مِنْ رِسَالَةِ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي ٣=١٨ . (الإنجيل، سفر الأعمال ورسائل الرسل)	تَعْبُدْ آلِهَتَهُمْ، لأَنَّ ذٰلِكَ شَرَكٌ لَكَ.» ٧=١٦ «وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلٰهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَاباً عَظِيماً حَتَّى يَفْنَوْا.» ٧=٢٣ «وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ، لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ.» ٧=٢٤ «كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ، مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ. مِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ يَكُونُ تُخُمُكُمْ.» ١١=٢٤ «وَأَمَّا مُدُنُ هٰؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلٰهُكَ نَصِيباً فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا.» ٢٠=١٦ «لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِباً، وَلٰكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِباً.» ٢٣=٢٠ «وتبيد جميع الأمكنة حيث الشعوب التي تمتلكها، وبذلك تخدم الرب إلهك» (جميع هذه الفقرات مذكورة في سفر التثنية)

الفهرس

يعمل هذا الكتاب على إزاحة القناع عن الخرافات والأباطيل المزعومة للعقيدة اليهودية. فهو يركّز على دراسة أحداث تاريخية متتابعة انعكست سلباً على التاريخ البشري منذ انهيار بابل وحتى عدوان ١٩٥٦ الثلاثي على مصر الذي كان المؤلف أحد مُتَتَبِّعيه، كما أنه يدرس الظروف الدولية التي رافقت إنشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية حيث عُدّ ظهور إسرائيل «الدويلة» ظاهرة تاريخية منقطعة النظير في التاريخ البشري وهي التي كان قد خطط لها اليهود الخزر. لقد أقيمت على أساس تقاليد العشيرة القديمة التي لم يكن ولا يمكن أن يكون بين شعوبها الحد الأدنى من القرابة الدموية ولا التاريخ المشترك. إضافة إلى ما سبق، ينفي المؤلف يهودية السيد المسيح وحق اليهود في استخدام مصطلح «معاداة السامية» وأن عليهم بدلاً من ذلك استخدام المصطلح الانكليزي «أبراكادابرا» أي الشيء المرعب.

لم يتح لهذا الكتاب أن يرى النور إلّا في عام ١٩٧٨ ، أي بعد موت مؤلفه بثلاث سنوات رغم أنه فرغ من تأليفه في عام ١٩٥٦ . ويعود ذلك إلى الحصار الذي فرضته عليه القوى الظلامية. وبعد صدوره للمرة الأولى في الانكليزية بحوالي ثلاثة عشر سنة أي في ١٩٩١ ترجم إلى الروسية.

ونظراً إلى أننا نحن سكان المنطقة العربية معنيون أكثر من غيرنا وتحديداً في هذه المرحلة التي لازالت في أوج ضغطها، قمنا بترجمته إلى العربية عسى أن يقوّي دائرة الضوء ليلفت انتباه من لازالوا يشيحون بأبصارهم في الاتجاهات الغائمة.

التوزيع

دار الحصاد ـ سورية ـ دمشق

ص.ب: ٤٤٩٠ ـ هـ/فا: ٢١٢٦٣٢٦